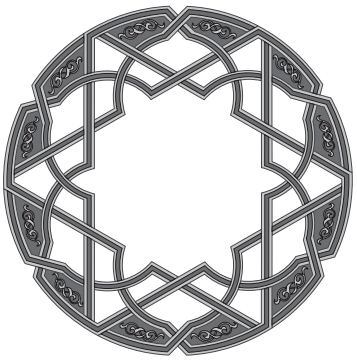

وقائع بحوث مؤتمر فتاوى الدفاع المقدسة

العلمي الدولي السادس

تحت شعار

المرجعية الدينية حصن الأمة الإسلامية

وبعنوان

فتاوى الدفاع المقدسة بين الماضي والحاضر

المرجعان سماحة السيد السيستاني (دام ظله الوارف)

وسماحة الشيخ جعفر كاشف الغطاء (قدس سره)

تشابه الأهداف واختلاف الأساليب

٣٠ مايو ٢٠٢٥ م غرة ذو الحجة ١٤٤٦ هـ

العنوان:(وقائع بحوث مؤتمر فتاوى الدفاع المقدّسة العلميّ الدوليّ السادس)

النَّاشر: جمعية العميد العلمية والفكرية – قسم النشر

الإشراف العام: السيد عقيل عبد الحسين الياسري

أ.د. شوقي مصطفى الموسوي

التدقيق اللغوي: أ.م.د. عمار حسن عبد الزهرة

المتابعة والتنفيذ: م.م.ضياء محمد حسن

الادارة الفنية: م.م. علي رزاق خضير

التصميم والإخراج الطباعي: احمد هاشم الحلو

عدد النّسخ: ٢٥٠

الطبعة الأولى

١٤٤٧هـ – ٢٠٢٦م

العتبة العباسية المقدسة. مؤتمر فتاوى الدفاع المقدسة العلمي الدولي (السادس : 2026 : كربلاء، العراق)، مؤلف.
وقائع وبحوث مؤتمر فتاوى الدفاع المقدسة العلمي الدولي السادس : تحت شعار المرجعية الدينية حصن الامة الاسلامية : وبعنوان فتاوى الدفاع المقدسة بين الماضي والحاضر : المرجعان سماحة السيد السيستاني (دام ظله الوارف) وسماحة الشيخ جعفر كاشف الغطاء (قدس سره) : تشابه الاهداف واختلاف الاساليب.-الطبعة الاولى.-كربلاء، العراق : العتبة العباسية المقدسة، جمعية العميد العلمية والفكرية، قسم النشر، 1447 هـ = 2026.
مجلد ؛ 24 سم
يتضمن إرجاعات ببليوجرافية.
النص باللغة العربية ؛ ومستخلصات باللغة العربية والانجليزية.
ISBN : 9789922262284
1. العراق--سياسة وحكومة--2014-2018. 2. كاشف الغطاء، جعفر بن خضر بن يحيى، 1156-1228 هجري--فتوى الجهاد الكفائي. 3. الحسيني السيستاني، علي، 1349 هجري- --فتوى الجهاد الكفائي. 4. الحوزة العلمية في النجف--تاريخ--القرون 19-21. 5. العراق. هيئة الحشد الشعبي--2016. 6. الارهاب--العراق--القرون 19-21. أ. العنوان.

LCC: DS79.77 .A35 2026
مركز الفهرسة ونظم المعلومات التابع لمكتبة ودار مخطوطات العتبة العباسية المقدسة
الفهرسة أثناء النشر

٢٦٩/٠٦
م ٦٨٨ المؤتمر العلمي الدولي (٦ : ٢٠٢٦ : كربلاء)
وقائع بحوث مؤتمر فتاوى الدفاع المقدسة العلمي الدولي السادس / المؤتمر .- ط١ . - كربلاء : جمعية العميد، ٢٠٢٦ .
٢٩٦ ص ؛ ٢٤ سم .
١ . الفتاوي الشرعية - مؤتمرات. ٢. الدفاع عن الاسلام
أ. العنوان

رقم الايداع
١٩١٧/ ٢٠٢٦
المكتبة الوطنية / الفهرسة اثناء النشر

رقم الايداع في دار الكتب والوثائق ببغداد (١٩١٧) لسنة ٢٠٢٦

ISBN: 9789922262284

دار الكفيل
للطباعة والنشر والتوزيع

المحتويات

١٠	فتوى الدِّفاع الكفائي، وتفاعل حوزة النَّجف الأشرف مع الأزمات المعاصرة، عرض للنتائج والآثار	الشيخ جاسم حمزة الكركوشي
٣٦	البعد الزَّماني والمكاني في فتوى الدِّفاع الكفائي- تحليل فكري حديث-	الشيخ حسين التميمي
٧٠	المرجعيَّة حصن المؤمنين المنيع: الشيخ كاشف الغطاء والسيِّد السيستاني أنموذجًا	الشيخ الدكتور حميد البغدادي
١٠٦	القيادة الرؤيويَّة للسيِّد اية الله العظمى علي السيستاني وأثرها في ترسيخ القيم للدفاع عن الوحدة الوطنيَّة - فتوى الجهاد المقدَّس أنموذجًا -	أ.د. يوسف حجيم سلطان الطائي أ.م.د. حسين محمد علي كشكول
١٥٤	فتوى الدِّفاع الكفائي والخطب المتعلِّقة بها دراسة تحليليَّة في ضوء مهارات الذَّكاء المنظومي	أ.د. رياض كاظم عزوز الكريطي م.م حسام كريم كاظم الجنابي
١٨٤	الأساس الدستوري لفتوى المرجع الدِّيني الأعلى بالدِّفاع الكفائي سنة ٢٠١٤م	أ.م.د. حيدر ناجي طاهر
٢٠٨	فتوى الجهاد الكفائي ودورها في مواجهة التطرف العنيف والإرهاب في العراق بعد عام ٢٠١٤	م.د. زينب غالب جعفر م.م. محمَّد غالب جعفر
٢٣٨	مرجعيَّة السيستاني ودورها في الحفاظ على الدَّولة ٢٠١٤-٢٠٢٠	م. عقيل فالح سلمان م.م. زهراء فوزي أبو خويط
٢٦٨	قيم أخلاقيَّة أوصى بها السيِّد السيستاني (دام ظله الوارف)، لأفراد الحشد الشعبي(المقدَّس)، وأوجب الالتزام بها	م.م. ظاهر حبيب موسى

كلمة الجمعية

الْحَمْدُ للهِ النَّاشِرِ فِي الْخَلْقِ فَضْلَهُ، وَالْبَاسِطِ فِيهِمْ بِالْجُودِ يَدَهُ، نَحْمَدُهُ فِي جَمِيعِ أُمُورِهِ، وَنَسْتَعِينُهُ عَلَى رِعَايَةِ حُقُوقِهِ، وَنَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ غَيْرُهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، أَرْسَلَهُ بِأَمْرِهِ صَادِعًا، وَبِذِكْرِهِ نَاطِقًا، فَأَدَّى أَمِينًا، وَمَضَى رَشِيدًا، وَخَلَّفَ فِينَا رَايَةَ الْحَقِّ، مَنْ تَقَدَّمَهَا مَرَقَ، وَمَنْ تَخَلَّفَ عَنْهَا زَهَقَ، وَمَنْ لَزِمَهَا لَحِقَ، آلَهُ الأَطْهَار (صَلَوَاتُ اللهِ عَلَيهِم).

عندما خلق الله تعالى الإنسان لم يتركه عفوَ الخاطر ينظِّم نفسه على وفق ما يشاء؛ وإنَّما أرسى له نُظمًا تتَّسق مع تكوينه والعلَّة من خلقه؛ ولمَّا كان الإنسان بطبعه قاصرًا عن فهم كثيرٍ من الحقائق الكبرى التي تنظِّم مسارات هذا الكون، فلم يكن قادرًا بنفسه على احتواء إدارته؛ بل إدارة نفسه وجنسه، والواقع يُثبت بما حدث من شواهد كثيرةٍ أدَّت إلى كوارث كبيرةٍ؛ نتيجة اعتماد الإنسان على وعيه في التقنين لإدارة جنسه، فأهلك كثيرٌ من نوعه ودمَّر أكثر في بيئته، ناهيك عن كثرة نظريَّاته ورؤاه لكيفيَّة الإدارة والضبط للحياة التي يعيشها؛ وكلُّ ذلك بحسب نظرنا منشؤه الانطلاق من النظرة الفرديَّة والمنفعة الشخصيَّة لجماعةٍ على الجماعات الأخرى، بغية التسيُّد وفرض نمط ثقافي يؤهل تلك الجماعة على النوع بأكمله، ومن هنا نشأ الاختلاف وساد الاقتتال والتصارع؛ لأنَّ المنشأ في التأسيس كانت نظرةً فرديَّةً خاصَّة.

ولذلك فإنَّ العقل الحرَ بعد إثبات خالق هذا الكون يوجب وجود نظامٍ يتَّصل بذلك الخالق؛ بوصفه العالم بطبيعته وما ينفعه وما يضُّره، وهذا ما نؤمن به ونؤول إليه، فالله تعالى عندما خلق الكون أرسى له نظام الإدارة عبر الاستخلاف، فربط هذا الإنسان به تعالى بواسطة هي الخلافة، ولا يتسنَّى لجميع النوع الإنساني تلقِّي الخطاب الإلهي ﴿إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا﴾ [المزَّمل: ٥]، والنهوض بوظائف خلافته في الأرض؛ لقصورهم في التكامل وتفاوتهم في درجاته اختار أكملهم لتلك الوظيفة؛ ليكونوا واسطةً بينه تعالى وبين خلقه، وأوجب الامتثال لهم على الآخرين جميعًا إلَّا أنَّه لم يجبرهم على ذلك الامتثال؛ إرادةً منه تعالى لتوثيق اختبارهم ﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾ [الإنسان: ٣]، فكان الأنبياء والرسل والأوصياء خلفاءَ لله تعالى في

أرضه، فبدأت سلسلتهم بالنبي آدم ﷺ ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [البقرة: ٣٠]، ثمَّ كانت تسلسلوا مع استمرار النوع الإنساني حتَّى وصل الأمر إلى خاتمهم رسولنا محمَّد ﷺ، فبلَّغ عن ربِّه وأرسى قواعد انتظام حياة الإنسان، ولمَّا أتَّم رسالته وأقام حجَّته وحان رحيله إلى بارئه نصَّب من بعده خلفاء بأمرٍ من الله تعالى؛ رعاية لنظام الكون وانتظام حياة الإنسان؛ إلَّا أنَّ الأخير بطبعه المائل إلى الاستحواذ على أكثر من حقِّه، وإيمان كثيرٍ من أفراد نوعه بالتسلُّط والسيطرة والجنوح نحو التمرُّد على الواجب الذي يُقابله حقٌّ من الحقوق، فكانت النتيجة على مرِّ العصور هي التمرُّد على خليفة الله تعالى من لدن السواد الأعظم، ولم يكن خلفاء النبيِّ محمَّد ﷺ بدعًا من غيرهم في ذلك؛ ولكنَّهم بذلوا الوسع في التبليغ وإرساء النُّظم الإلهيَّة؛ ولمَّا كانت بنية الكون بإرادة من الخالق العظيم أن تكون مؤيَّدةً بالأسباب والمسبِّبات، عمل الرسول الخاتم وأوصياؤه على تهيئة الأمَّة للانسجام مع الخليفة الإلهي بحسب وظيفته وما تتيحه ظروف عصره، فكان أمير المؤمنين علي ﷺ وما جرى في عصره وصولًا إلى الإمام الحسن ﷺ وما حدث من هدنة بينه وبين خصمه، وبعده الإمام الحسين ﷺ شاهرًا بسيفه، ثمَّ السجاد ﷺ والانعطافة من السيف إلى تربية الأمَّة وتزكيتها بالدُّعاء والعبادة، ثمَّ الباقر والصادق ﷺ ففتحوا أبواب العلم والمعرفة؛ لتنتقل الأمَّة بعدهما إلى انعطافةٍ جديدة، وكانت مع الإمام الكاظم ﷺ وغيبته في السجون، فكان الإمام يدير الأمَّة من سجنه، فتهيَّأت الأمَّة لمرحلةٍ لا يكون الإمام معهم بالمباشرة، ثمَّ تأتي مرحلة الرضا ﷺ، وبعدها الجواد ﷺ الذي تدخل فيه الأمَّة بطورٍ جديد، وهو صغر السن، فكان الإمام الجواد ﷺ حين تسلُّمه الإمامة لا يتجاوز التسع سنين، وهكذا فإنَّ الأمَّة قد تهيَّأت لغياب الإمام مع بقاء حجَّته وإدارته كما كان مع الإمام الكاظم ﷺ، والصغر السن كما كان مع حفيده الجواد ﷺ، لتأتي بعد ذلك مرحلة الإمام المهدي ﷺ بعد أبيه وجدِّه، فاجتمع معه صغر السن والغياب، وقد تهيَّأت الأمَّة لذلك سابقًا، وكان ينظِّم شؤون إمامته بوكلائه الخاصِّين، وهذه المرحلة بنفسها كانت تهيئة لمرحلة أخرى، وهي ما تسمَّى بالغيبة الكبرى، وبها أرجع الإمام المهدي ﷺ الأمَّة إلى رواة الحديث

بما يسمَّى بالمراجع في الوقت الحاضر، وهم يديرون الأمَّة نيابةً عن الإمام المهدي عجل الله فرجه الشريف بالوكالة العامَّة.

وقد أثبتت المرجعيَّة على طول العهد منذ الغيبة الصغرى وإلى يومنا هذا حرصها الشديد على رعاية الأمَّة، والفناء في سبيل الحفاظ عليها، والدِّفاع عن دين الله تعالى ونظامه، وتضحياتها في ذلك ما يصعب الإحاطة به فضلًا عن إحصائه، ولا نحتاج إلى التفتيش في بطون التاريخ لإثبات ذلك، فقد مثَّلت مرجعيَّتنا الدِّينيَّة في عصرنا الحالي متمثِّلةً بالمرجع الأعلى سماحة آية الله العظمى السيِّد علي الحسيني السيستاني (دام ظلُّه الوارف) خير شاهدٍ على سلامة هذا النهج المبارك، الذي يرتبط بالطريق الإلهي والنظام الرَّباني، فمثَّلت النظام الإلهي خير تمثيلٍ بنهجها الأبوي الذي يتجاوز المسلمين إلى غيرهم من الدِّيانات الأخرى، فأقرَّت حقوقهم ودافعت عن وجودهم عندما تعرَّض العراق إلى أشرس هجمةٍ إرهابيَّةٍ، فأفتت المرجعيَّة بالدِّفاع الكفائي، فكانت هذه الفتوى علامة فارقة في التاريخ الحديث؛ لما نتج عنها من أسسٍ محوريَّةٍ في التصدِّي للإرهاب وقوى الظلام، ورفع الروح المعنوية بإعادة ثقة الشعب العراقي بالقوات الأمنيَّة، وما نتج عنه من تحقيق للتوازن بين القوى الأمنيَّة التي كانت تعاني من الانهيار فتأسَّس لها رديفٌ شعبيٌّ عمل على رفع طاقاتها فأصبح الشعب برمَّته شريكًا في صناعة الأمن؛ لتكون بذلك فتوى الدِّفاع الكفائي بناءٌ استراتيجيٌّ يعمل على إرساء أسس المواطنة وإرساء شرعيَّتها حتَّى غدت هذه الفتوى صمَّام الأمان والانتظام وتصحيح المسار، فتغيَّرت على أساسها موازين القوى وتحوَّل الانكسار إلى نصرٍ مؤزَّرٍ يتجاوز المرحلة إلى بناء أسسٍ تنظيميَّةٍ على وفق رؤًى مستقبليَّة تكون المرجعيَّة فيها الرائد إلى طريق الأمان.

وإزاء ذلك كان لابدَّ من المراكز العلميَّة والدوائر البحثيَّة أن تدرس بوعيٍ هذه الفتوى المباركة، وما خلَّفته من آثارٍ امتدَّت إلى آفاقٍ متنوِّعة، فبرزت جمعيَّة العميد العلميَّة والفكريَّة بالريادة في ذلك فتبنَّت مؤتمرًا دوليًّا سنويًّا يرعى دراسة هذه الفتوى ونتائجها، وقد مرَّت منه نسخٌ، وها نحن مع نسخته السادسة التي جاءت بعنوان:

(فتاوى الدِّفاع المقدَّسة بين الماضي والحاضر تشابه الأهداف والأساليب، المرجعان: سماحة السيِّد السيستاني وسماحة الشيخ كاشف الغطاء)، وهذا الربط بين المرجعينِ إنَّما هو لبيان وحدة الانطلاق في التنظيم وإرساء المبادئ الأصيلة للإسلام وإن اختلفت الأدوار وتنوَّعت الوظائف، وكان نتاج هذا المؤتمر مجموعةً من البحوث درست جملةً من الأسس لهذه الفتوتينِ المباركتينِ ربطًا للحاضر بالماضي واستشرافًا للمستقبل؛ لتكون النتيجة اتِّساقًا في الرؤية والهدف، فتوزَّعت هذه البحوث بين دراسة تفاعل المرجعيَّة الدِّينيَّة مع الأزمات وانبثاق الحلول منها، والآخر درس البعد الزماني والمكاني للفتوى المباركة، وثالث درس المرجعيَّة بوصفها حصنًا منيعًا للأمَّة، وغير ذلك من البحوث التي درست القيادة المرجعيَّة والخطب التي توالت بعدها، ثمَّ الأساس الدستوري، ثمَّ الآثار المترتبة في مواجهة التطُّرف، والحفاظ على أمن الدَّولة، والقيم الأخلاقيَّة الناتجة عنها.

وقد عمل قسم النشر في جمعيَّة العميد العلميَّة والفكريَّة على جمع هذه البحوث ومراجعتها علميًّا ولغويًّا وضبطها على النحو الذي يستقيم مع أسس المنهج العلمي وضوابط النشر؛ لتكون مهيَّئةً بأفضل صورةٍ للقارئ الكريم.

وآخر دعوانا أنِ الحمد لله ربِّ العالمين والصلاة والسلام على محمَّدٍ وآله الطاهرين

جمعية العميد العلمية والفكرية

فتوى الدِّفاع الكفائي، وتفاعل حوزة النَّجف الأشرف مع الأزمات المعاصرة، عرض للنتائج والآثار

الشيخ جاسم حمزة الكركوشي
العتبة العباسيَّة المقدَّسة / قسم الشؤون الفكرية والثقافية

ملخَّص البحث

كان للحوزة العلميَّة منذ نشأتها الدَّور الرِّيادي والمحوري في بناء المجتمع على جميع الأصعدة، وبعض التحرُّكات والإصلاحات للحوزة الدينيَّة كان مقدِّرًا لها أن تغيِّر مسار الأحداث برمَّته أو أن تغيِّر موازين القوى، وتحوِّل الانتكاسة إلى نصر، ومن هذه التحرُّكات والأحداث الكبرى هي فتوى الدِّفاع الكفائي التي أطلقها المرجع الأعلى سماحة السيِّد السيستاني دام ظلَّه الوارف، التي كان الدور العظيم في اجهاض، ووأد المؤامرة الخطيرة للقوى الاستكبارية، التي كانت تخطِّط لزرع غدَّة سرطانيَّة جديدة في المنطقة، التي تشابه إلى حدٍّ بعيد الغدَّة السرطانيَّة التي تمَّ زرعها في فلسطين، فكانت الفتوى لتصحيح المسار، وإعادة الحياة للمجتمع العراقي بعد أن وصل الحال به إلى مرحلة الشلل التام ممَّا أدَّى إلى استقراره وانطلاقه نحو البناء العلمي والثقافي .

مشكلة البحث: ما هو دور حوزة النجف الأشرف، وما هو تفاعلها في الأزمات المعاصرة، وما هي نتائج فتوى الدفاع الكفائي وآثارها.

منهجيَّة البحث: المنهج المتبع في البحث هو المنهج الوصفي التحليلي.

أهداف البحث:

١- يهدف البحث إلى تسليط الضوء على حوزة النجف الأشرف، وتاريخ نشوئها، ودورها في إصلاح المجتمع وحماية الوطن، واقتلاع جذور الفساد، وإعادة الأمور إلى نصابها الصحيح، وكأنموذج لذلك فتوى الجهاد الكفائي على يد مرجع الأمَّة السيِّد السيستاني دام ظله .

٢- التطرُّق إلى نتائج الفتوى المباركة التي شكَّلت انعطافة مهمَّة في تاريخ العراق المعاصر، التي انبثق منها الحشد الشعبي المقدَّس بوصفه قوَّة عظمى وقفت بوجه الأطماع الخارجيَّة الحاليَّة والمستقبليَّة.

بعض نتائج البحث:

١-أنَّ لحوزة النجف الأشرف وعلى يد المرجع الأعلى سماحة السيِّد السيستاني (دام ظله) الدور الكبير في وأد الفتن وإزالة الأخطار المحدقة بالمجتمع العراقي، ومنها فتوى الجهاد الكفائي، التي كانت السبب في استقرار العراق وتوجهه نحو الاستقرار الأمني والاجتماعي.

٢- من أهمِّ نتائج هذه الفتوى المباركة تأسيس الحشد الشعبي المقدَّس بوصفه مؤسَّسة حكوميَّة، وقوى عظمى أفشلت المؤامرة الخطيرة الرامية إلى تمزيق العراق واحتلاله من لدن القوى الظلاميَّة التي كانت تروم إلى تدمير البلاد والعباد.

الكلمات المفتاحيَّة: فتوى الدفاع الكفائي- السيِّد السيستاني - حوزة النجف- الأزمات المعاصرة- القوى الظلاميَّة.

Abstract

Since its inception , the Religious Seminary has played a pivotal and pioneering role in building society across all levels. Specific movements and reforms undertaken by the religious seminary were destined to alter the entire trajectory of events, shift the balance of power, and transform setbacks into victories. Foremost among these major movements is the Sufficient Defence Edict issued by the Supreme Religious Authority, His Eminence Seid. Al-Sistani (may Allah prolong his life).

This Edict played a magnificent role in aborting and burying the dangerous conspiracy of arrogant powers that planned to implant a new cancerous tumour in the region—one bearing a striking resemblance to the cancerous tumour previously implanted in Palestine. The Edict served to correct the trajectory and restore life to Iraqi society after it had reached a state of total paralysis, leading to its stabilization and scientific and cultural development.

• Research Problem: What is the role of the Religious Seminary of Najaf? How does it interact with contemporary crises, and what are the results and effects of the Sufficient Defence Edict?

• Methodology: The research adopts a descriptive-analytical approach.

• Objectives:

1. To shed light on the Religious Seminary of Najaf: its history, its role in reforming society, protecting the homeland, uprooting corruption, and restoring order, using the Sufficient Defence Edict by the Highest Religious Authority, Seid. Al-Sistani, as a paradigm.

2. To address the results of this blessed Edict, which formed a critical turning point in contemporary Iraqi history, from which Al-Hashd emerged as a formidable force standing against current and future external ambitions.

• Key Results:

1. The Religious Seminary of Najaf, under the leadership of His Eminence Seid. Al-Sistani, has a significant role in burying sedition and removing dangers surrounding Iraqi society, most notably through the Sufficient Defence Edict, which directed Iraq toward security and social stability.

2. One of the most significant outcomes of this blessed Edict was the establishment of Al-Hashd as a governmental institution and a considerable power that thwarted the dangerous conspiracy aimed at fragmenting and occupying Iraq by dark forces seeking the destruction of the land and its people.

Keywords: Sufficient Defence Edict, Sayyid Al-Sistani, Religious Seminary of Najaf, Contemporary Crises, Dark Forces.

المقدِّمة

بيان موضوع البحث:

حوزة النجف الأشرف التي برزت بوصفها مؤسَّسة دينيَّة بعد هجرة الشيخ الطوسي إليها، كان لها أدوار كبيرة ومواقف متعدِّدة في الوقوف بوجه الطغيان والفساد، وإنقاذ البلد من الانحدارات التي مرَّت به عبر التاريخ، وفي هذا القرن كانت الملحمة الخالدة على يد زعيمها الخالد، التي تمثَّلت في فتوى الدفاع الكفائي للسيِّد السيستاني دام ظله زعيم الحوزة الفذ، والمرجع الأعلى للشيعة في العالم، التي انطلقت من رحم حوزة النجف الأشرف، التي كان لها الأثر الكبير والدور الرئيسي في إيقاف المد التكفيري، وإصلاح الأوضاع الفاسدة وإيقاف نزيف الدم العراقي، ممَّا أدَّى إلى عودة الحياة إلى المجتمع العراقي، واستقراره، لينعم بالسلام والأمان والحياة الآمنة المستقرة بعد أن بلغت القلوب الحناجر.

أهداف البحث:

١- يهدف البحث إلى تسليط الضوء على حوزة النجف الأشرف، وتاريخ نشوئها، ودورها في إصلاح المجتمع وحماية الوطن، واقتلاع جذور الفساد، وإعادة الأمور إلى نصابها الصحيح وخاصة في زماننا الحاضر؛ إذ انطلقت من النجف الأشرف الملحمة الخالدة فتوى الدفاع الكفائي على يد مرجع الأمَّة السيِّد السيستاني دام ظلَّه.

٢- ذكر صفحات من السيرة العطرة لصاحب الفتوى المباركة سماحة المرجع الأعلى السيِّد السيستاني دام ظله.

٣- التطرُّق إلى نتائج الفتوى المباركة التي شكَّلت انعطافة مهمَّة في تاريخ العراق المعاصر، التي انبثق منها الحشد الشعبي المقدَّس بوصفها قوَّةً عظمى وقفت بوجه الاطماع الخارجيَّة الحاليَّة والمستقبليَّة.

ـ منهج البحث: المنهج المتبع في البحث هو المنهج الوصفي التحليلي، وكذلك المنهج النقلي للقضايا التاريخيَّة الواردة في البحث.

ـ أسئلة البحث:

السؤال الأصلي: ما هي فتوى الدفاع الكفائي، وما تفاعل حوزة النجف مع الأزمات المعاصرة، وماهي النتائج والآثار؟

الأسئلة الفرعيَّة:

١- ما هي الحوزة العمليَّة، وما هو تاريخ نشوئها في العراق؟

٢- من هو السيِّد السيستاني (دام ظله) صاحب فتوى الدفاع الكفائي؟

٣- ما هو تفاعل حوزة النجف الأشرف؟ وما هي نتائج فتوى الدِّفاع الكفائي وآثارها؟

فرضيَّات البحث:

١- أنَّ الحوزة العلميَّة لها تعريفات لغويَّة واصطلاحيَّة، وأنَّ تاريخ نشوئها يعود إلى بداية القرون الأولى من انتشار الإسلام في البلاد الإسلاميَّة.

٢- أنَّ للسيِّد السيستاني دام ظله وقيادته للحوزة الشريفة، وإطلاقه لفتوى الدِّفاع الكفائي الدور الأساسي في إيقاف المدِّ التكفيري واستقرار المجتمع والعراق والمنطقة؛ بل والعالم

٣- لفتوى الدفاع الكفائي نتائج مباركة مرحليَّة ومستقبليَّة أدَّت إلى تغيير المعادلات على الأرض وتغيير موازين القوى.

خطَّة البحث

المبحث الأوَّل: بحوث تمهيديَّة في تعريف الحوزة وفي تاريخ نشوئها.

المطلب الأوَّل: تعريف الحوزة لغةً واصطلاحًا.

المطلب الثاني: نشوء حوزة النجف العلميَّة.

المبحث الثاني: فتوى الدفاع الكفائي، لمحة في صاحبها ونتائجها.

المطلب الأوَّل: سطور في سيرة صاحب فتوى الدفاع الكفائي آية الله العظمى السيِّد علي الحسيني السيستاني (دام ظلّه).

المطلب الثاني: فتوى الدفاع الكفائي، ومحوريَّتها في التفاعل مع الأزمات المعاصرة، الآثار والنتائج.

المبحث الأوَّل: بحوث تمهيديَّة، في تعريف الحوزة وفي تاريخ نشوئها.

المطلب الاول: تعريف الحوزة لغة واصطلاحًا

للحوزة تعريفات لغويَّة وأخرى اصطلاحيَّة نمرُّ عليها تباعًا

أ- التعريف لغة: عرِّفت الحوزة بتعريفاتٍ لغويَّة متعدِّدة منها:

١- الحوزة: الناحية. حوزة المملكة: ما بين تخومها. [١]

والحوز: الموضع إذا أقيم حواليه سد أو حاجز. وحاز اختبار الشيء ضمه وجمعه: حصل عليه.

٢- الحوزة من الحوز، من ناحية الاشتقاق، وهي كلُّ من ضمَّ شيئًا إلى نفسه فقد حازه واحتازه، والحيز ما انظمَّ للوراء، وكلُّ ناحيةٍ حيِّز والحوزة الناحية، وبالتالي تصبح المنطقة التي تضمُّ العلماء تسمَّى الحوزة بوصفها حازتهم وبانتقالهم تنتقل الحوزة[٢].

ب- التعريف اصطلاحًا:

١- هي المؤسَّسة العلميَّة التي تقام لغاية الدراسات العلميَّة الشرعيَّة التي تُمكِّن الطالب من معرفة الأحكام الشرعيَّة في مختلف مجالات حياته العلميَّة[٣].

٢- هي كيان علمي وبشري يؤهل للاجتهاد في علوم الشريعة الإسلاميَّة، ويتحمَّل مسؤوليَّة تبليغ الأمَّة[٤].

المطلب الثاني: نشوء حوزة النجف العلميَّة

حوزة النجف الأشرف قامت على آثار مدرسة الكوفة، فقبل هجرة الشيخ الطوسي إليها كانت فيها جذور علميَّة، وكانت تضمُّ بعض رجالات الفضل

والعلـم، اتخـذوا مـن النجـف الأشرف مقـرًّا لهـم، وبـدأت حلقـات الـدرس فيهـا بشـكل مبسـط، وذلـك بعـد ظهـور القـبر (الشريـف) لأمـير المؤمنـين عـلي بـن أبي طالـب ﷺ، ويشـير إلى ذلـك الشـيخ آغـا بـزرك الطهـراني قـدس سره: "إنَّنـي أذهـب إلى أنَّ النجـف كانـت مـأوى للعلـماء، ونـاديًا للمعـارف قبـل هجـرة الشـيخ إليهـا؛ ولكنَّهـم لم يسـتطيعوا أن يأمنـوا عـلى أنفسـهم وبـث علومهـم ورواياتهـم، وكان الفقهـاء والمحدثـون لا يتجاهـرون بشيء ممَّـا عندهـم، وكانـوا متبددين حتَّـى عـصر الشـيخ الطـوسي وإلى أيَّامـه؛ ولكـن بعـد هجرتـه، انتظـم الوضـع الـدراسي، وتشـكَّلت الحلقـات"(٥).

ومـن الشـواهد والمؤيِّـدات عـلى ذلـك مـا ذكـره السـيِّد بـن طـاووس في كتابـه (فرحـة الغـري) عـن زيـارة عضـد الدولـة البويهـي سـنة (٣٧١هـ) إلى الحـرم المطهر لأمـير المؤمنـين ﷺ، وتوزيعـه المـال عـلى الفقهـاء والفقـراء. فهـذه الروايـة تشـير إلى وجـود الفقهـاء ووجـود حركـة علميَّـة في أواخـر القـرن الرابـع الهجـري، وقبـل هجـرة الشـيخ الطـوسي إليهـا بقرابـة النصـف قـرن"(٦).

وفي هـذا الصـدد ذهـب الدكتـور مصطفـى جـواد: "بـأنَّ في النجـف اعلامـا بثـوا العلـم قبـل الشـيخ الطـوسي، ويصعـب التصديـق بـأنَّ الشـيخ أوَّل مـن جعـل النجـف مركـزًا علميًّـا"(٧).

وهـذا يعنـي أنَّ وجـود هـؤلاء الفقهـاء جـاء نتيجـة وجـود مـدارس فقهيَّـة مـن عهـد مبكـرٍ ليـس مـن السـهل تحديـده بسـبب قلَّـة المصـادر وشـحَّتها التـي تناولـت تاريـخ الحـوزة العلميَّـة في النجـف الأشرف في المراحـل التاريخيَّـة السـابقة لمجـيء لهجـرة الشـيخ الطـوسي بشـكلٍ دقيـق.

لـذا فنجـد أنَّ هنـاك شـذرات مـن الأخبـار، وهـي عـلى ندرتهـا تشـير إلى ذلـك، وأنَّ هنـاك مـن كان يقصدهـا لتلقـي العلـوم الإسـلاميَّة، وممَّـا يشـير إلى ذلـك أنَّـه ومنـذ أوائـل القـرن الثالـث للهجـرة نجـد أسـماء علميَّـة بـارزة تنتسـب إلى النجـف،

مثل شرف الدين بن علي النجفي، وأحمد بن عبد الله، وابن شهريار، وهناك أيضًا إجازات علميَّة تحمل اسم النجف. "وهذا يدلُّ على أنَّه كان فيها حركة علميَّة، وكان هناك جمهور من الفقهاء والعلماء، وكان لها شأن علمي ودراسي قبل وصول الشيخ الطوسي إليها، وإلى هذا يشير الشيخ الفضلي إلى أنَّه: "ربما كان هذا الوجود للحركة العلميَّة البذرة التي تعهد إصلاحها ورعايتها أبو جعفر محمَّد بن الحسن الطوسي الشهير بشيخ الطائفة، وعليه عُرف بأنَّه مؤسِّس جامعة النجف (الحوزة العلميَّة)، وذلك حينما هاجر إليها من بغداد سنة٤٤٩هـ"[٨]، وأنَّ هجرة الشيخ الطوسي إليها أثَّرت فيها تأثيرًا كبيرًا، ونقلتها نقلةً نوعيَّةً كبيرةً، إذ ((أعطى للحركة العلميَّة مركزها وطابعها الجامعي، وهو الذي حوَّل النواة إلى شجرةٍ باسقة مثمرة))[٩].

وكان سبب هجرة الشيخ الطوسي إلى النجف هو حوادث الفتن الطائفيَّة في بغداد، التي حدثت وبدأت بالتوسُّع بعد مجيء السلاجقة إليها عام ٤٤٧ هـ، حتَّى وصل الأمر إلى أنَّ السلطان السلجوقي طغرل بك أمر بإحراق مكتبة الشيعة التي أنشأها وزير بهاء الدولة بن عضد الدولة البويهي المعروف بأبي نصر سابور بن أردشير، وكانت كلّها بخطوط الأئمَّة المعتبرة وأصولهم المحرّرة، التي لم يكن في الدنيا أحسن كتبًا منها كما وصفها ياقوت الحموي[١٠].

وبعد انتقال الشيخ الطوسي إلى النجف صارت المركز العملي للتشيع حتَّى القرن السادس الهجري؛ إلَّا أنَّه وبعد سطوع نجم محمَّد بن إدريس الحلي في القرن السادس الهجري في الحلة خفت الإشعاع العلمي والفكري لحوزة النجف، وانتقلت الزعامة إلى مدينة الحلة، فقد تمكَّنت من أواسط القرن السادس إلى نهاية القرن الثامن التصدِّي لزعامة الحركة العلميَّة في الوسط الشيعي؛ إذ أنجبت مدرسة الحلة كبار العلماء ومراجع الدين كابن إدريس الحلي، والمحقق الحلي والعلامة الحلي وابن طاووس وغيرهم، إلَّا أن حصلت

نزاعات بين ملوك الطوائف بعد سقوط الدولة الأيلخانيَّة أضعفت الحركة العلميَّة فيها بشكل كبير إلى أن تمكَّن المحقِّق الأردبيلي من إعادة الريادة للمدرسة النجفيَّة مرَّة أخرى.

وبعد ذلك وفي القرن العاشر وكسائر الحوزات الشيعيَّة ابتليت الحوزة النجفيَّة بظهور المدرسة الإخباريَّة وتمركزها في كربلاء المقدَّسة، وتحول المركزية العلميَّة إليها، وخلال قرنين تقريبًا؛ بقي مركز المرجعيَّة يتنقَّل بين النجف وكربلاء؛ فكان آخر مرجع كربلائي هو الشيخ محمَّد باقر الوحيد البهبهاني المتوفَّى عام (١٢٠٦هـ/ ١٧٩٢م)، وبعد ذلك تمكَّن العلامة بحر العلوم وتلامذة الوحيد البهبهاني من بثِّ الروح العلميَّة في الحوزة النجفيَّة مرةً أخرى وإعادة النشاط الأصولي فيها؛ لتتحوَّل إلى أعظم جامعة دينيَّة علميَّة عرفها تاريخ الطائفة الإماميَّة، ولا تزال باقية يقصدها روَّاد العلم وأبناؤه من أقاصي البلاد الإسلاميَّة إلى هذه الساعة. ثمَّ ومنذ نهايات القرن الثامن عشر الميلادي استقرَّت المرجعيَّة العليا في النجف على يد علمين كبيرين، وهما السيِّد محمَّد مهدي بحر العلوم المتوفَّى عام (١٢١٢هـ/ ١٧٩٧م)، ثمَّ الشيخ جعفر كاشف الغطاء المتوفى عام (١٢٢٨هـ/ ١٨١٣م).

المبحث الثاني:

المطلب الأوَّل: سطور في سيرة صاحب فتوى الدفاع الكفائي آية الله العظمى السيِّد علي الحسيني السيستاني (دام ظلّه).

المطلب الثاني: المطلب الثاني: فتوى الدفاع الكفائي، ومحوريَّتها في التفاعل مع الأزمات المعاصرة، الآثار والنتائج.

تمهيد:

يتناول هذا المبحث في مطلبه الأوَّل صاحب الفتوى المباركة المرجع الأعلى سماحة السيِّد السيستاني وشذرات من سيرته العطرة، وصفحات من حياته

المباركة، ونشاطه العلمي وشخصيَّته الفذَّة التي كان لها الأثر الكبير في استجابة الجماهير العراقيَّة بمختلف فئاتها للفتوى المباركة التي أطلقها سماحته، والتي أدَّت إلى نتائجها المذهلة، التي أسقطت المؤامرة التي كان يراد لها تدمير البلاد والعباد، ويتناول المطلب الثاني كذلك فتوى الدفاع الكفائي المباركة وآثارها ونتائجها التي أدَّت إلى اسقاط المؤامرة، وإعادة الحياة إلى البلاد والعباد ونشوء الحد المبارك بوصفها قوًى عظمى بوجه الأطماع والمؤامرات.

المطلب الأوَّل: سطور في سيرة صاحب فتوى الدفاع الكفائي آية الله العظمى السيِّد علي الحسيني السيستاني (دام ظلّه)[١١].

سماحة السيِّد السيستاني هذه الشخصيَّة العظيمة، التي كان لها الفضل العظيم في إسقاط مؤامرة خطيرة نسجتها العقول الخبيثة، ونفذتها الأيادي الحاقدة على هذا البلد العظيم الصابر المجاهد، هذه الشخصيَّة الفذَّة التي كان لها من الخصوصيات التي جعلت الجماهير العراقيَّة للخروج المليوني لتلبية نداء سماحته، وفي هذا المطلب يتمُّ التطرُّق إلى حياته المباركة وسيرته العلميَّة وشخصيته الفذة، فهو آية الله العظمى السيِّد علي الحسيني السيستاني (دام ظلّه) تلميذ الإمام الخوئي الراحل (قدس سرّه)، والأكثر فضلًا وعلماً ونبوغًا وأهليَّةً.

أوَّلًا: الولادة المباركة

ولد سماحة السيِّد المرجع الأعلى (دام ظله) في التاسع من شهر ربيع الأوَّل من عام ١٣٤٩ هجريَّة في مدينة مشهد المقدَّسة في أسرة علميَّة معروفة؛ إذ إنَّ والده هو العالم المقدّس (السيِّد محمد باقر)، وأمَّا والدته فهي العلوية الجليلة كريمة العلَّامة (المرحوم السيِّد رضا المهرباني السرابي)، وجدّه هو العالم الجليل (السيِّد علي)، وأسرة السيِّد السيستاني (دام ظلّه) كانت تسكن مدينة (إصفهان) في القرن الحادي عشر الهجري، وكان من أبرز أعلامها حينئذ الفيلسوف الشهير (محمَّد باقر الداماد) صاحب كتاب القبسات، ومن أحفاده

العلم الكبير (السيِّد محمَّد) الذي تمَّ تعيينه في منصب (شيخ الإسلام) في بلاد (سيستان) في زمن السلطان حسين الصفوي فانتقل إليها وسكنها هو ومن بعده ذريته، وكان أوَّل من هاجر منهم إلى مشهد الرضا ﷺ هو المرحوم (السيِّد علي) المذكور أعلاه.

ثانيًا: النشأة المباركة:

نشأ (دام ظلّه) في مسقط رأسه المشهد الرضوي نشأةً علميَّة منذ نعومة أظفاره؛ إذ بدأ وهو في الخامسة من عمره بتعلُّم القرآن الكريم، ثمَّ دخل مدرسة دار التعليم الديني لتعلم القراء والكتابة ونحوهما، فتخرَّج من هذه المدرسة، وفي أواخر عام ١٣٦٨ هـ انتقل إلى قم المقدَّسة فنهل من حوزتها بحوث المرجع الكبير السيِّد حسين الطباطبائي البروجردي في الفقه والأصول، وتلقَّى عنه كثير من خبرته الفقهيَّة ونظريَّاته في علم الرجال والحديث، وكذلك حضر درس الفقيه الكبير السيِّد محمَّد الحجّة الكوهكمري (قدّس سرّه)، ومن ثمَّ غادر مدينة قم متَّجهًا إلى عاصمة العلم والفضل للحوزات العلميَّة النجف الأشرف في أوائل عام (١٣٧١ هـ)، فسكن (مدرسة البخارائي العلميَّة)، وحضر البحوث الفقهيَّة والأصوليَّة عند العلمينِ الكبيرينِ: السيِّد أبو القاسم الموسوي الخوئي (قدّس سرّه)، والشيخ حسين الحلّي (قدّس سرّه) ولازمهما مدّة طويلة، وحضر خلال ذلك أيضًا بحوث بعض الأعلام الآخرين منهم السيِّد الحكيم (قدّس سرّه)، والسيِّد الشاهرودي (قدّس سرّه).

ثالثًا: نشاطه العلمي والفكري

برز السيِّد السيستاني (دام ظلّه الوارف) على أقرانه في بحوث أساتذته بتفوق بالغ، وذلك في مواصلة النشاط العلمي وكثرة التحقيق وقوَّة الإشكال وسرعة البديهة والتتبُّع، وإلمامه بكثير من النظريات في مختلف الحقول العلميَّة، وما إن بلغ الحادية والثلاثين من عمره حتَّى حصل على (شهادة الاجتهاد

المطلق) من قبل أستاذه السيِّد الخوئي (قدّس سرّه)، وأستاذه الشيخ الحلي (قدّس سرّه)، علماً أنَّه لم يمنح السيِّد الخوئي شهادة الاجتهاد الَّا للقليل النادر من تلامذته، كما لم يمنح الشيخ الحلي قدس سره إجازة الاجتهاد المطلق لغيره (دام ظلّه)، وقد كتب له أيضًا شيخ محدّثي عصره العلَّامة الشيخ آغا برزك الطهراني (قدّس سرّه) شهادة يثني فيها على مهارته في علمي الرجال والحديث وهي مؤرخة كذلك في عام ١٣٨٠ هـ. وإجازة من ضمن ما كتب في إجازة الاجتهاد التي منحه إياه. اشتغل (دام ظلّه) بإلقاء محاضراته (البحث الخارج) في الفقه في ضوء مكاسب الشيخ الأعظم الأنصاري من أوائل عام ١٣٨١ هـ، ثم أعقبه بشرح العروة الوثقى، وخلال هذه السنوات كانت له محاضرات فقهيَّة أخرى تناولت كثيرًا من الأبواب الفقهيَّة. وابتدأ (دام ظلّه) من شعبان عام (١٣٨٤ هـ) بإلقاء محاضراته في علم الأصول، وقد شارف على إكمال دورته الثالثة في شعبان عام (١٤١١ هـ)، وتميَّز منهجه في التدريس على مناهج كثير من أساتذة الحوزة وأرباب البحث الخارج، ومن أهمِّ ميزاته في درسه: الأدب في الحوار، خلق التربية، الورع، الإنتاج الفكري.

رابعًا: شخصيَّته الفذَّة

إنَّ كلَّ من عاشر وعرف سماحة السيِّد السيستاني (دام ظلّه) واتَّصل به رأى فيه شخصيَّة فذّة من جميع الجوانب تتمتَّع بالخصائص الروحية والمثالية التي حثّ عليها أهل البيت عليهم السلام، والتي تجعل منه ومن أمثاله من العلماء المخلصين مظهرًا جليًّا لوصف (عالم رباني) وقوله عليه السلام: (مجاري الأمور بيد العلماء أمناء الله على حلاله وحرامه).

خامسًا: إمامته في الصلاة

كان (مدّ ظلّه) في عيادة أستاذه المرحوم الإمام الخوئي (قدّس سرّه) بسبب وعكة صحية ألَّمت به فطلب منه أن يقيم صلاة الجماعة في محرابه بدلًا عنه في جامع الخضراء

فلم يوافق على ذلك، وفي نهاية الأمر ومع إلحاح أستاذه استجاب لطلبه وأمّ المصلين من يوم الجمعة (٥/ جمادى الأولى/ ١٤٠٩ هـ) إلى الجمعة الأخيرة من ذي الحجّة عام ١٤١٤ هـ؛ إذ أغلق الجامع من قبل السلطة البعثيَّة الكافرة.

سادسًا: مرجعيَّته الدينيَّة

في السنوات الأخيرة من حياة سماحة الإمام الخوئي (رضوان الله عليه) توجّه أنظار كثير من الفضلاء إلى سيدنا الأستاذ (دام ظلّه) وقد اختاره الإمام الخوئي (قدّس سرّه) للصلاة في محرابه في جامع الخضراء كما تقدَّم فبدأ صيته ينتشر في أوساط العامَّة بعد أن كان محصورًا في الأوساط العلميَّة والحوزوية التي عرفته أستاذًا قديرًا في البحث الخارج طوال ربع قرن من الزمن. وعندما التحق الإمام الخوئي بالرفيق الأعلى في (٨/ صفر / ١٤١٣ هـ) أرجع إليه في التقليد جمع من العلماء الأعلام يأتي في مقدِّمتهم سماحة آية الله السيِّد علي البهشتي (قدّس سرّه)، وسماحة آية الله الشيخ مرتضى البروجردي (قدّس سرّه)، فقلّده كثير من المؤمنين في العراق وإيران وبلاد الخليج وباكستان والهند، وبعد وفاة آية الله العظمى السيِّد عبد الأعلى السبزواري في (٢٧/ صفر / ١٤١٤ هـ) رجع إليه معظم مقلديه في العراق وقسم في خارجه، وعندما توفي آية الله العظمى السيِّد محمد رضا الكلبايكاني (قدّس سرّه) في (٢٤ / جمادي الآخرة / ١٤١٤ هـ) عمّ تقليد سماحته (دام ظلّه) وبشكل سريع مختلف الأقطار الإسلاميَّة، ورجع إليه معظم المؤمنين في العراق والأحساء والقطيف وإيران ولبنان ودول الخليج وباكستان والهند والمغتربين في أوربا والأمريكيتين وأستراليا وغيرهم، وقد توسَّع الرجوع إليه أكثر فأكثر بعد وفاة آية الله العظمى الشيخ محمد علي الأراكي (قدّس سرّه)، وآية الله العظمى السيِّد محمَّد الروحاني (قدّس سرّه)، فأصبح أدام الله ظله الوارف اليوم هو المرجع الأعلى للطائفة الإماميَّة.

سابعًا: مسيرته الجهادية

كان النظـام البعثـي يسـعى بـكلِّ وسـيلة للقضـاء عـلى الحـوزة العلميَّـة في النجـف الأشرف منـذ السـنين الأولى مـن تسـلمه السـلطة في العـراق، وقـد قـام بعمليـات تسـفير واسـعة للعلـماء والفضـلاء وسـائر الطـلاب الأجانـب، ولاقـى سـيدنا المرجـع (مـدّ ظلّـه) عنـاءً بالغًـا مـن جـرّاء ذلـك، وكاد أن يُسـفّر مـرَّات عـدَّة؛ ولكـن عـلى الرغـم مـن ذلـك فقـد أصرّ (دام ظلّـه) عـلى البقـاء في النجـف الأشرف، وواصـل التدريـس في حوزتـه العلميَّـة المقدّسـة إيمانًـا منـه بلـزوم اسـتمرار المسـار الحـوزوي المسـتقل عـن الحكومـات تفاديًـا للسـلبيات التـي تنجـم عـن تغيـير هـذا المسـار. وفي عـام ١٤١١ هـ عندمـا قـضى النظـام عـلى الانتفاضـة الشـعبانية اعتقـل سـيِّدنا الأسـتاذ (دام ظلّـه)، ومعـه مجموعـة مـن العلـماء كالشـهيد الشـيخ مرتـضى البروجـردي والشـهيد الميرزا عـلي الغـروي، وقد تعرَّضـوا للتعذيب والاسـتجواب القـاسي في فنـدق السـلام، وفي معسـكر الـرزازة وفي معتقـل الرضوانيـة إلى أن فـرّج الله عنهـم ببركـة أهـل البيـت عليهم السلام.

وفي عـام ١٤١٣ هـ عندمـا تـوفي الإمـام السـيِّد الخوئـي (رضـوان الله عليـه) وتصـدَّى (دام ظلّـه) للمرجعيَّـة ـ حاولـت سـلطات النظـام السـابق تغيـير مسـار المرجعيَّـة الدينيَّـة في النجـف الأشرف، وبذلـت مـا في وسـعها في الحـطّ مـن موقـع السـيِّد الأسـتاذ (دام ظلّـه) ومكانتـه المتميـزة، وعندمـا وجـد النظـام أنَّ محاولاتـه قـد بـاءت جميعًـا بالفشـل خطّـط لاغتيالـه وتصفيتـه، وقـد كشـفت وثائـق جهـاز المخابـرات عـن عـدد مـن هـذه المخطّطـات.

وهكذا بقي سيدنا الأستاذ (دام ظلّه) رهين داره منذ أواخر عام ١٤١٨ هـ حتى إنَّه لم يتشرَّف بزيارة جدِّه الإمام أمير المؤمنين عليه السلام طوال هذه المدَّة.

وقـد تعـرَّض لضغـوط كثـيرة مـن أجهـزة النظـام وأزلامـه؛ ولكنَّـه قـاوم جميـع الضغوطـات إلى أن مـنَّ الله عـلى العراقيـين بـزوال نظـام الهـدام.

المطلب الثاني: فتوى الدفاع الكفائي، وتفاعلها مع الأزمات المعاصرة، عرض الآثار والنتائج

تمهيد

تعدُّ فتوى الدفاع الكفائي من أعظم الفتاوى التي صدرت في هذا القرن، وتأتي أهميَّتها من خطر المؤامرة الكبيرة التي تمَّ الإعداد لها في الغرف المظلمة، التي أريد لها تمزيق العراق وإبادة أهله وتشريدهم واحتلال البلاد وتدميرها، وتأتي أهميَّتها أيضًا من نتائجها المباركة كان من أهمِّها تأسيس الحشد الشعبي المبارك بوصفه قوَّةً عقائديَّة مؤسَّساتيَّة قادرة على حماية العراق وحفظه، وإسقاط المؤامرات والأخطار المحدقة به، ولها أيضًا كثير من النتائج العظيمة البركة على العراق وشعبه المجاهد، وعلى الدين والمذهب، ولولا هذه الفتوى المباركة لكان حال العراقيين لا يعلمه إلَّا الله تعالى، فقد كان يوم العاشر من حزيران عام ٢٠١٤ الموافق للثاني عشر من شهر شعبان المعظم عام ١٤٣٥ للهجرة يومًا غير كلِّ الأيَّام التي مرَّت على العراق والعراقيين، فقد أفاق فيه العراقيون على صدمةٍ عظمى تمثَّلت في دخول داعش إلى العراق؛ إذ تمكَّن التنظيم الإرهابي من فرض سيطرته على مدن الموصل وصلاح الدين بعد أن انهارت القطعات العسكريَّة الموجودة في تلك المحافظتين، وتركت مواقعها وأسلحتها، ونتيجة لذلك أخذ هذا التنظيم الإرهابي يزحف نحو مدن أخرى فاستولى على مدن الأنبار وديالى وجرف النصر؛ بل وصل إلى أطراف بغداد القريبة إلى المدن المقدَّسة في الكاظمية وكربلاء والنجف ممَّا شكَّل تهديدًا خطيرًا وحقيقيًّا على تلك المدن وعلى أهلها أرواحهم وأعراضهم وأموالهم، وسرعان ما شرع في إعدام الحياة قتلًا وذبحًا وسلبًا وسبيًا وارتكاب المجازر، وتخريب وتدمير كل ما يقع أمامه في هجمة بربريَّة مسعورة بعيدًا عن أي قيم إنسانيَّة، مخرجًا لكلِّ أحقاده مكشِّرًا عن أنيابه، ناشرًا الرعب والذعر في نفوس العراقيين الأمنين الذين أذهلتهم الصدمة من

هـذا التوسُّـع الوحـشي لهذه الحشـود البربرية التي اجتمعت مـن كلِّ حدبٍ وصوب لذبـح هـذا البلـد الجريـح الـذي خـرج تـوًا مـن ظلـم وجـور النظـام البعثـي الكافـر الـذي أهلـك الحـرث والنسـل، وأمام هـذه التحدِّيـات الكبيرة التي وقفـت الحكومة العراقيَّـة عاجـزة أمامهـا غـير قـادرة عـلى فعـل شيء إزائهـا . وبعـد أن أصيـب البلـد بالشـلل التـام وبلغـت القلـوب الحناجـر، وأمـام هـذا الليـل المظلـم الـذي جثـم على سـماء العـراق أشرقـت مـن النجـف الأشرف، ومـن رحـم حوزتـه الشريفـة شـمس المقاومـة الإسـلاميَّة الحقـة شـمس الحريـة، التـي أشرقـت عـلى نفـوس العراقيـين وأعـادت لهـم صبحهـم المشرق، ولتقـف أمـام هـذا الجـبروت العالمي وليتنفـس العراقيـون الصعـداء وليرجـع لهـم الأمـل والأمـن والأمـان، وذلك بعد مـرور ثلاثة أيـام مـن سـقوط الموصـل عـبر إعـلان فتـوى الدفـاع الكفائي، والدعـوة المباركـة لتنظيـم صفـوف الراغبـين بالتطـوع والقادريـن عـلى حمل السـلاح مـن دون تمييز بين طائفـة دون طائفـة أخـرى مـن طوائـف البلـد[١٢].

فعملـت هـذه الفتـوى المباركـة عـلى إخمـاد نـار الفتنـة الطائفيَّـة والاقتتـال الداخـلي وسـقوط البلـد بيـد قـوى الظـلام، التـي كان يعـدُّ لهـا خـارج الحـدود في الغـرف المظلمـة، وأسـهمت في توحيـد الـرأي العـام الداخـلي بـكلِّ أطيافـه تجـاه قضيَّـة مصـير البلـد والدفـاع عنـه ضـد هـذه التنظيـمات الإرهابيَّـة التـي تمكَّنـت مـن اسـتثمار الظـروف السياسـيَّة المعقَّـدة التـي يمـرُّ بهـا العـراق، التـي كان سـببها التدخـل الأمريكـي في الشـأن العراقـي ممَّـا نتـج عنـه الأزمـة التـي أدَّت عـدم تشـكيل حكومـة، بعـد انتخابـات العـام ٢٠١٤، لتحتـل ثلثـي مسـاحة العـراق[١٣].

لقـد مثَّلـت فتـوى "الدفـاع الكفائي"، تحـولًا كبـيرًا في الحـرب ضـد الجماعـات التكفيريَّـة التـي اسـتولت على مسـاحات شاسـعة مـن المـدن العراقية، ومنـذ اللحظة الأولى لانطـلاق الفتـوى المباركـة مـن الصحـن الحسـيني الشريـف اسـتجاب العراقيـون مـن مختلـف الطوائـف لنـداء المرجعيَّـة الدينيـة في الدفـاع عـن البلـد.

وهرعت هذه الجموع لتبلغ أعداد المتطوعين في صفوف القوات الشعبيَّة ما يقارب ١٢٠ ألف مقاتل[١٤]، وتدريجيًّا ارتفعت الأعداد لتصل إلى أكثر من ١,٥ مليون متطوع.

فأوقفت هذه الفتوى هذه الجموع الملبيَّة انهيار الدولة العراقيَّة واحتماليَّة سقوطها بيد تلك الجماعات الإرهابيَّة لا سيَّما بعد تهديداتهم بالزحف إلى بغداد والمدن المقدَّسة[١٥].

لقد أعادت القيادة الدينيَّة للسيِّد السيستاني (دام ظله الوارف) بهذه الفتوى المباركة الأمل في استعادة ما فقدوه من المدن والأراضي عبر الدعوة إلى التطوع في صفوف الحشد الشعبي المبارك. فتبدَّل الشعور بالقهر والتشتُّت والخذلان والانهزام الذي قد سيطر في بادئ الأمر على النفوس، إلى الشعور من جديد بالقوَّة والزهو والشموخ[١٦]، ولتعود الحياة بعدها إلى المجتمع العراقي الذي قطف ثمار هذه الفتوى المباركة من خلال الاستقرار الأمني الذي ساد العراق بعد هزيمة التنظيم، ممَّا كان له الدور الكبير في عودة الحياة إلى طبيعتها، واسترجاع الدولة هيبتها وإعادة النازحين إلى أماكنهم، واستمرار الحياة الاجتماعيَّة كما كانت عليه قبل داعش.

نتائج الفتوى المباركة[١٧]

كان للفتوى المباركة كثير من النتائج العظيمة التي ما كانت لتكون لولا حكمة المرجع المفدَّى السيِّد علي السيستاني (دام ظله)، التي ينعم العراق والعراقيون اليوم بآثارها ونتائجها المباركة، ومن هذه النتائج:

١- أدَّت فتوى "الدفاع الكفائي"، إلى تحول كبير في الحرب ضد الجماعات التكفيرية التي استولت على مساحات شاسعة من المدن العراقية. ممَّا كان يشكل خطرًا كبيرًا على الأمن والسلم المجتمعي في العراق، وقد أصدر المكتب الشريف للمرجعيَّة الدينيَّة العليا بيانًا أشار فيه إلى الأوضاع الأمنية الخطيرة التي تشهدها مدينة الموصل[١٨].

٢- كان من نتائج الفتوى المباركة إيقاف تمدد القوى الظلاميَّة والحد من سيطرتها على المدن الأخرى. ومن ثمَّ الحاق الهزيمة الكبيرة بها وإنهاء وجودها العسكري على الأرض العراقيَّة.

٣- أدَّت الفتوى المباركة إلى التفاف الجماهير العراقيَّة المؤمنة بكلِّ أطيافها حول المرجعيَّة الدينيَّة للسيِّد السيستاني دام ظله الوارف واستجابتهم للفتوى للدفاع أنَّ أرضهم وعرضهم؛ إذ اندفع أبناء الشعب العراقي، بأطيافهم وقومياتهم ودياناتهم كافَّة، للتطوع ضمن القوات الأمنية واليت كانت النواة لتأسيس (الحشد الشعبي)[١٩] المقدَّس، للدفاع عن العراق من التنظيمات الإرهابيَّة والقوى الظلاميَّة التي احتلت أراضيه.

٤- الفتوى المباركة أعادت الحياة للعراقيين، وفرصة كبيرة أمام انتكاسة الموصل واحتلالها من قبل تنظيم "داعش" الإرهابي ممَّا يكون دافعًا معنويًا للحدِّ من الفتن التي قد تمَّ التخطيط لها خارج الحدود العراقيَّة؛ لتكون وقودًا لحربًا أهليَّة بين أفراد الشعب العراقي الواحد[٢٠].

٥- شكَّلت الفتوى بعدًا وطنيًّا ترك الأثر الإيجابي في نفوس الشعب العراقي على اختلاف مذاهبه وقوميَّاته عبر التكاتف الملحمي البطولي في التصدي لزمر الإرهاب الداعشي، وإصرارهم على تحرير الأراضي التي احتلتها تلك الجماعات من خلال المعارك التي خاضتها قوات الحشد الشعبي بكلِّ أصنافها واسترجاعها الأراضي التي كانت تحت سيطرة الجماعات الإرهابيَّة في مشهد تلاحم بين مكوِّنات الشعب العراقي[٢١].

٦- أذابت الفتوى المباركة أيَّة فروقات أو نعرات طائفيَّة بين أبناء البلد الواحد، فقد كانت نداءً إلى جميع العراقيين من دون استثناء للدفاع عن البلد، وهذا ما يؤكِّده التطوع والمشاركة في الحشد الشعبي من قبل الشباب والرجال الكبار وبعض العلماء والشيوخ ورجال الدين، ومن أغلب المذاهب (الشيعة،

والسنة، والمسيحيين والايزيديين ..)، وابتعدت عن ذكر كلِّ ما يتعلَّق بالطائفة الشيعيَّة فكانت بوتقة وطنية[٢٢].

٧- أدَّت هذه الفتوى المباركة إلى تأسيس الحشد الشعبي المبارك[٢٣] الذي تشكَّل بالفتوى المباركة؛ ليكون القوَّة الرديفة والعمود الفقري المساند للقوات العسكريَّة العراقيَّة، الذي هو جزء من المنظومة العسكريَّة الرسميَّة التي تضمُّ بين صفوفها الفصائل التي قاومت الاحتلال الأمريكي، وبالتالي منحت الصفة الرسميَّة لهذا الكيان المهم للدفاع عن العراق عبر الغطاء القانوني الذي تم إقراره من قبل مجلس النواب ولذلك يعد الحشد الشعبي الجيش الرديف للجيش العراقي ويمتلك عقيدة عسكرية وقتالية ثابتة[٢٤].

٨- أثبتت فتوى الدفاع الكفائي أنَّ مرجعيَّة السيِّد السيستاني دام ظله مؤمنةً بطرق السلام والوئام ووسائلها في كلِّ المشاكل التي واجهت العراق منذ التغيير، في أبريل/ نيسان العام ٢٠٠٣، والإطاحة بالنظام البعثي البائد من خلال نوع الجهاد الذي تضمَّنته، وأنَّه جهاد دفاعي للدفاع عن النفس على قدر الحاجة والكفاية[٢٥].

٩- أنهت الفتوى المباركة الخطة الدوليَّة الخبيثة التي كانت ترمي إلى تمزيق وحدة العراق وتقسيمه إلى دويلات وأقاليم متناحرة، وأفشلت بذلك المخطَّط الخبيث الرامي إلى الغزو الغربي الأمريكي الإسرائيلي والصراع الطائفي والمذهبي في مختلف الدول الإسلاميَّة [٢٦].

١٠- أدَّت هذه الفتوى المباركة إلى استقرار المجتمع العراقي بعد إنهاء ظاهرة داعش إلى اللا عودة وانطلاقه نحو الأمان والاستقرار المجتمعي الذي من شأنه أن يهيأ الأرضيَّة الصحيحة نحو البناء والإعمار والحياة المستقرة .

١١- منعت إرجاع العراق إلى الوصاية الدوليَّة تحت ما يسمَّى البند السابع، وذلك برفع موجباته، وهو وجود داعش بوصفها خطرًا يهدد الأمن والسلم المجتمعي .

١٢- منعت هذه الفتوى من التدخل الدَّولي الأجنبي الذي اتَّخذ من وجود داعش ذريعة للتواجد العسكري في العراق والتدخل في شؤونه الداخليَّة . ممَّا سحب البساط من تحت أقدام الدول الاستكباريَّة وأفقدها جميع ذرائعها للبقاء فيه، والتدخل في شؤونه الأمنيَّة والسياسيَّة.

١٣- للفتوى المباركة نتائج مرحليَّة ومستقبليَّة بعيدة المدى، ستظهر آثارها للعيان جيلاً بعد جيل، وسينعم ببركاتها حتَّى الأجيال القادمة، فهي أذن الفتوى الخالدة إن شاء الله تعالى.

الخاتمة

نشأت حوزة النجف الأشرف بوصفها مؤسَّسة دينيَّة لها كيانها الخاص على يد الشيخ الطوسي قدس سره، وإن كانت حلقات الدرس قد عقدت فيها قبل انتقاله إليها، وكان العلماء قد هاجروا إليها وسكنوا فيها في مراحل سابقة؛ إذ إنَّها امتداد لحوزة الكوفة التي نشأت في زمان الإمام الصادق عليه السلام.

وكان لهذه الحوزة الدور الكبير في إصلاح الأوضاع الفاسدة تصحيح المسارات الخاطئة، فقد كان لحوزة النجف الأشرف على يد زعيمها السيِّد السيستاني (دام ظله) الدور الكبير في قلع الفساد وقطع يد الإرهاب الداعشي الذي صنعته الدول الاستكبارية؛ ليكون غدَّة سرطانيَّة أخرى في البلاد الإسلاميَّة على غرار غدَّة إسرائيل التي أوجدتها هذه الدول في الجسد العربي، فكانت الفتوى المباركة التي اقتلعت هذه الغدَّة إلى غير رجعة بيد أبناء المرجعيَّة الغيارى، الذين لبُّوا النداء وهبوا استجابة للفتوى المباركة، ولصاحبها المفدَّى، فكانت الفتوى انعطافة في تاريخ العراق الحديث أعادت له حريَّته واستقراره ومجده وحياته.

النتائج:

١- كان لحوزة النجف الدور الكبير في محاربة الفساد وقلع جذوره وإصلاح المجتمع واستقراره على يد رجالاتها العظام في كلِّ الأزمنة، وفي زماننا كان لهذه الحوزة المباركة الدور الكبير على يد المرجع الأعلى سماحة السيِّد السيستاني دام ظله في إطلاق فتوى الدفاع الكفائي.

٢- كان لهذه الفتوى المباركة الدور الأساسي والكبير في إيقاف التمدد الظلامي لقوى الشر، ومن ثمَّ القضاء عليه قضاء تامًّا، وإعادة الاستقرار إلى العراق .

٣- كان من ثمار هذه الفتوى المباركة نشوء الحشد الشعبي المقدس، الذي ولد من رحم هذه الأزمة ليكون قوَّة عقائديَّة حكوميَّة قادرة على دحر أي إعتداء مستقبلي، وحارسًا أمينًّا لهذا البلد العظيم.

٤- أعادت هذه الفتوى المباركة إلى العراق استقراره وأمنه وأمانه، ليقف على قدمه مرفوع الرأس بعد أكبر هجمة بربرية استهدفت وجوده وحياة أهله وأعراضهم.

٥- لهذه الفتوى المباركة كثير من النتائج العظيمة على العراق والعراقيين، وستظهر آثارها على المدى القريب والبعيد.

الهوامش

١-لويس معلوف. المنجد في اللغة.، ص ١٦٠.

٢-الرازي، محمد بن أبي بكر بن عبدالقادر ، مختار الصحاح ، ص١٦

٣-عدنان فرحان تنها. الحوزات العلميَّة: النشأة والتطور وآفاق المستقبل. (اطروحة دكتوراه)، ص٥.

٤-البهادلي، الحوزة العلميَّة في النجف، ص ٩٤.

٥-الخليلي، جعفر. موسوعة العتبات المقدسة، قسم النجف، ج٧، القسم الثاني،ص٢١.

٦-الفضلي، عبد الهادي. دليل النجف الأشرف. ص٣٩.

٧-الخليلي، جعفر ، ص ٢١-٢٢.

٨-الفضلي، عبد الهادي. دليل النجف الأشرف، ص ٣٩-٤٠.

٩-انظر: المصدر نفسه، ص ٤٠.

١٠-لاحظ: الحموي، ياقوت، معجم البلدان: ج ١،ص٥٣٤.

١١-انظر: هذه الترجمة لسماحة السيِّد السيستاني (دام ظله) كتبت بقلم أحد تلاميذه. موقع سماحة آية الله السيِّد علي السيستاني (حفظه الله)

١٢-انظر: أسعد كاظم شبيب. الخيار الصعب: قراءة في أبعاد فتوى الدفاع الكفائي ضد تنظيم داعش. في كتاب: في مواجهة داعش. ص٨٥

١٣-انظر العامري، عمار ياسر. الأبعاد السياسيَّة والاجتماعيَّة لفتوى الجهاد الكفائي ص: ١٤٦ نقلا عن مقال للباحث حمد كريم جبار الخاقاني.

١٤-مايكل نايتس. مستقبل قوات الأمن العراقية. ص: ٣٠.

١٥-الهاشمي، محمَّد صادق. رؤية في الحشد الشعبي خط المقاومة في العراق ص: ٤١.

١٦-ياسر عبد الحسين.. ص: ١٩.

١٧-نص الفتوى

إنَّ طبيعة المخاطر المحدقة بالعراق وشعبه في الوقت الحاضر تقتضي الدفاع عن هذا الوطن وأهله وأعراض مواطنيه، وهذا الدفاع واجب على المواطنين بالوجوب الكفائي، [...] ومن هنا فإن على المواطنين الذين يتمكنون من حمل السلاح ومقاتلة الإرهابيين دفاعًا عن بلدهم وشعبهم ومقدَّساتهم عليهم التطوع للانخراط في القوات الأمنية لتحقيق هذا الغرض المقدَّس.

١٨-خالد إسماعيل سرحان. دور فتوى الجهاد الكفائي للسيِّد السيستاني في تشكيل الحشد الشعبي ،ص: ١١٤.

١٩-أطلقت العديد من التسميات على تلك القوات الشعبية التي عدت رديفة للجيش

العراقي ومنها "الحشد الوطني العراقي" و" الحشد المقدس".. انظر: حسن سعد عبد الحميد. دور الأجهزة الأمنية العراقية في مكافحة الإرهاب بعد ٢٠٠٣ (وزارة الدفاع العراقية أنموذجًا). ٢٠١٦.

٢٠-عمار ياسر العامري. الأبعاد السياسية والاجتماعية لفتوى الجهاد الكفائي ص: ١٤٤ – ١٤٥.

٢١-عمار ياسر العامري.. ص:١٦١.

٢٢-ريناد منصور وفالح عبد الجبار. الحشد الشعبي ومستقبل العراق. ص: ١٤.

٢٣-ترجع كلمة الحشد الشعبي إلى كلمة مركبة مكونة من مقطعين؛ الأوَّل "الحشد، والثاني "الشعبي". فمن المعنى اللغوي لكلمة حشد (فعل) حشد يحشد حشدًا وحشدت الجماعة بمعنى تجمعت والجمع حشود، وحشد من الناس أي جماعة من الناس في مكان. أما معنى "الشعبي"، فينصرف إلى الاسم المنسوب إلى الشعب. وهو مشتق من "شعب" بمعنى الشيوع والإنتشار وتعني تعبئة أكبر عدد من الشعب في دلالة على الصفة العموميَّة للشعب والجماهيرية الواسعة.

ويمكن أن يعرف أنَّه مجموعة من أفراد الشعب العراقي انتظموا بشكل طوعي للدفاع عن البلد، ولهم هدف يتمثَّل بتحرير أراضيه من الجماعات الإرهابية.

(٦) مصدق عادل. التنظيم الدستوري للحشد الشعبي والتشكيلات المسلحة في العراق. دراسة في التأصيل الدَّولي والدستوري والتشريعات الوطنيَّة والمقارنة. ص: ٢٢.انظر: حمد كريم جبار الخاقاني.

٢٤-حسين عدنان هادي وانور عادل محمَّد. مرجع سبق ذكره: ص ص: ٢٩ – ٣٠.

٢٥-أسعد كاظم شبيب. الخيار الصعب: قراءة في إبعاد فتوى الجهاد الكفائي ضد تنظيم داعش. ص: ٦٥.

٢٦-عز الدين الخطيب التميمي، نظريات في الثقافة الإسلاميَّة ، ص٣١.

المصادر والمراجع

* ابـن الأثـير، الكامـل في التاريـخ، النـاشر: دار الصـادر – بـيروت، سـنة الطبـع: ١٣٨٥ ق / ١٩٦٥ م

* أسـعد كاظـم شـبيب. الخيـار الصعـب: قـراءة في أبعـاد فتـوى الجهـاد الكفائـي ضـد تنظيـم داعـش. في كتـاب: في مواجهـة داعـش. آيـة الله العظمـى السيسـتاني (دام ظلـه الـوارف) والحشـد الشـعبي بعـد أحـداث الموصـل، تحريـر: محمَّـد هاشـم البطـاط ورزاق فالـح وحيـد. الطبعـة ١. مركـز العـراق للدراسـات. بغـداد. ٢٠١٦م.

* البهـادلي، عـلي أحمـد، الحـوزة العلميَّـة في النجـف معالمهـا وحركتهـا الإصلاحيـة، دار الزهـراء للطباعـة، بـيروت، لبنـان.

* الخليـلي جعفـر. موسـوعة العتبـات المقدسـة، قسـم النجـف، ج٧، القسـم الثـاني، ط٢، بـيروت، مؤسسـة الأعلمـي للمطبوعـات، ١٩٨٧م.

* عبـد الحميـد حسـن سـعد. دور الأجهـزة الأمنيَّـة العراقيَّـة في مكافحـة الإرهـاب بعـد ٢٠٠٣ (وزارة الدفـاع العراقيـة انموذجًـا)، مجلـة اغـتراب، مركـز بـلادي للدراسـات والبحـوث الإسـتراتيجيَّة، العـدد ١، بغـداد. ٢٠١٦.

* خالـد إسـماعيل سرحـان، دور فتـوى الجهـاد الكفائي للسيِّد السيستاني في تشـكيل الحشـد الشـعبي مـن كتـاب: الحشـد الشـعبي، الرهـان الأخـير، الطبعـة ٢. مركـز بـلادي للدراسـات والأبحـاث الإسـتراتيجية – بغـداد. ٢٠١٥.

* رينـاد منصـور وفالـح عبـد الجبـار، الحشـد الشـعبي ومسـتقبل العـراق، مركـز كارينغـي للـشرق الأوسـط، بـيروت. ٢٠١٧.

* الفضـلي، عبـد الهـادي. دليـل النجـف الأشرف. النجـف الأشرف: مكتبـة التربيـة، ١٣٨٥هـ.

* عدنـان فرحـان تنهـا. الحـوزات العلميَّـة: النشـأة والتطـور وآفـاق المسـتقبل. (أطروحـة دكتـوراه)، قـم: المركـز العالمـي للعلـوم الإسـلاميَّة، ٢٠٠٦م.

* الخطيـب التميمـي عـز الديـن، نظريـات في الثقافـة الإسـلاميَّة، دار الفرقـان، عـمان سـنة ١٩٨٤ م.

* العامـري، عـمار يـاسر. الأبعـاد السياسـية والإجتماعيـة لفتـوى الجهـاد الكفائـي في كتـاب: في مواجهـة داعـش، آيـة الله العظمـى السيسـتاني (دام ظلـه الـوارف) والحشـد الشـعبي بعـد أحـداث الموصـل، تحريـر: محمـد هاشـم البطـاط ورزاق فالـح وحيـد. الطبعـة ١، مركـز العـراق للدراسـات، بغـداد. ٢٠١٦.

* الحائـري كاظـم، حـول أُطروحـة المرجعيَّـة الرشـيدة، مقدمـة مباحـث الأُصـول

* لويـس معلـوف. المنجـد في اللغـة. ط٣٥، طهـران، فرحـان إسـلام، ١٣٧٩ هـ،

* مايـكل نايتـس. مسـتقبل قـوات الأمـن العراقيـة، مركـز البيـان للدراسـات والتخطيـط. بغـداد. ٢٠١٦.

* الـرازي، محمـد بـن أبي بكـر بـن عبدالقـادر،

مختار الصحاح، (بيروت ١٩٨١)
* الهاشمي، محمد صادق، رؤية في الحشد الشعبي خط المقاومة في العراق: التأسيس والأستشراف، مركز العراق للدراسات، الطبعة ١. بغداد. ٢٠١٥.
* مصدق عادل، التنظيم الدستوري للحشد الشعبي والتشكيلات المسلحة في العراق. دراسة في التأصيل الدولي والدستوري والتشريعات الوطنية والمقارنة، الطبعة ١. بيروت. ٢٠١٧.
* الخاقاني، حمد كريم جبار، مقال على شبكة الإنترنت
* الحموي، ياقوت، معجم البلدان، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت – لبنان، سنة الطبع١٣٩٩ – ١٩٧٩ م.

البعد الزَّماني والمكاني في فتوى الدِّفاع الكفائي- تحليل فكري حديث-

الشيخ حسين التميمي
العتبة العباسيَّة المقدَّسة / قسم الشؤون الفكرية والثقافية

ملخَّص البحث

يتناول البحث دراسة البعد الزَّماني والمكاني في فتوى الجهاد الكفائي، من خلال تحليل فكري حديث يسلط الضوء على قدرتها على تجاوز حدود الزمان والمكان بوصفه استجابة استراتيجية للأحداث الطارئة. يُظهر البحث كيف أثَّرت هذه الفتوى على المجتمع فكريًا واجتماعيًا وسياسيًا، ويبحث في عمق منهجيتها ودلالاتها الشاملة.

بيان الموضوع: يمثِّل مفهوم الجهاد الكفائي أحد الركائز المهمة في الفكر الإسلامي؛ إذ تتَّسم فتواه بمرونة تطبيقها بما ينسجم مع المتغيرات الزمنيَّة والمكانيَّة، يهدف هذا البحث إلى تحليل هذه الفتوى من منظور فكري حديث، لفهم أبعادها وأثرها في صياغة استجابات فعالة للتحديات، مع التركيز على عمقها الزمني والجغرافي.

أهداف البحث:

١. تسليط الضوء على الأبعاد الزَّمانية والمكانيَّة لفتوى الجهاد الكفائي.

٢. تحليل الأسس الفكريَّة التي جعلت الفتوى صالحة للتطبيق عبر الزمان والمكان.

٣. استكشاف أثر هذه الفتوى على المجتمع من النواحي الفكريَّة والاجتماعيَّة والسياسيَّة.

٤. تقديم قراءة حديثة للمرونة التشريعيَّة التي تتميَّز بها الفتوى.

٥. استنتاج الدروس العمليَّة التي يمكن الإفادة منها في مواجهة التحدِّيات المعاصرة.

النتائج المتوقعة:

١. إبراز قدرة فتوى الجهاد الكفائي على التعامل مع التحديات المستجدة من دون التقييد بزمان أو مكان محدَّدين.

٢. توضيح العمق الفكري للفتوى بوصفها منهجًا تشريعيًّا يتسم بالمرونة والفعالية.

٣. تبيان أنَّ فتوى الجهاد الكفائي تتجاوز الحدود الزمنيَّة والمكانيَّة، وتظلُّ صالحة للتطبيق في كل العصور.

٤. كيفيَّة توافق هذه الفتوى مع احتياجات المجتمعات الإسلاميَّة المعاصرة في مواجهة التحديات المختلفة.

٥. توفير فهم أعمق لدور الفتوى في تعزيز وحدة الأمَّة الإسلاميَّة ورفع مستوى الاستجابة للأزمات.

٦. تقديم رؤى جديدة حول تطبيق الفتوى في إطار التحديات المعاصرة مثل الإرهاب والحروب الحديثة.

٧. تعزيز الفكر الديني والفكري الذي يدعم إعمال فتوى الجهاد الكفائي في السياقات المختلفة.

الكلمات المفتاحيَّة: البعد الزَّماني-البعد المكاني-فتوى الجهاد الكفائي-تحليل فكري

Abstract

This research examines the spatiotemporal dimension of the Sufficient Jihad Edict through a modern intellectual analysis, highlighting its ability to transcend temporal and spatial boundaries as a strategic response to emergent events. The study demonstrates how this Edict influenced society intellectually, socially, and politically, examining the depth of its method and its comprehensive implications.

• Statement of the Topic: The concept of Sufficient Jihad is one of the crucial pillars of Islamic thought. The Edict regarding it is characterized by an applicative flexibility that harmonizes with temporal and spatial variables. This research aims to analyze the Edict from a modern intellectual perspective, understanding its dimensions and impact in formulating effective responses to challenges, with a focus on its chronological and geographical depth.

• Objectives:

1. To highlight the temporal and spatial dimensions of the Sufficient Jihad Edict.

2. To analyze the intellectual foundations that rendered the Edict applicable across time and place.

3. To explore the impact of this Edict on society regarding political, social, and intellectual aspects.

4. To provide a modern reading of the legislative flexibility characterizing the Edict.

5. To deduce practical lessons applicable to facing contemporary challenges.

• Expected Results:

1. Demonstrating the Sufficient Jihad Edict's ability to deal with emerging challenges without being restricted to a specific time or location.

2. Clarifying the intellectual depth of the Edict as a legislative methodology characterized by flexibility and effectiveness.

3. Establishing that the Sufficient Jihad Edict transcends spatio-temporal borders, remaining valid for application in all eras.

4. Illustrating the Edict›s compatibility with the needs of contemporary Islamic societies in facing various challenges.

5. Providing a deeper understanding of the Edict›s role in reinforcing the unity of the Islamic Ummah and elevating the level of crisis response.

6. Offering new insights into the application of the Edict within the framework of modern challenges, such as terrorism and modern warfare.

7. Promoting intellectual and religious thought that supports the implementation of the Sufficient Jihad Edict in diverse contexts.

Keywords: Temporal Dimension, Spatial Dimension, Sufficient Jihad Edict, Intellectual Analysis.

المقدِّمة

إنَّ الدِّفاع الكفائي كأحد المفاهيم الإسلاميَّة يمثِّل ظاهرة فريدة تجمع بين المسؤوليَّة الجماعيَّة والفرديَّة، ويعكس استجابة شرعيَّة متجدِّدة للتحديات التي تواجه الأمَّة الإسلاميَّة في أوقات الأزمات، الحديث عن فتوى الدِّفاع الكفائي ليس مجرَّد استعراض لموقفٍ فقهيٍّ أو تاريخي؛ بل هو بحث في عمق الفكرة الإسلاميَّة عن المسؤوليَّة المشتركة في حماية الدين والوطن والإنسانيَّة، وقد برزت هذه الفتوى بشكل لافت في العصر الحديث من خلال مرجعيَّة سماحة السيِّد علي السيستاني (حفظه الله تعالى) الذي استطاع بحكمته وبصيرته النافذة أن يجعل من فتوى الدِّفاع الكفائي أنموذجًا عمليًّا يجسِّد عمق الشريعة الإسلاميَّة ومرونتها، فقد أثبت السيِّد السيستاني أنَّ القيادة المرجعيَّة ليست مجرَّد منصب ديني؛ بل هي عقل استراتيجي قادر على قراءة الواقع وفهم معطيات الزمان والمكان وتقديم حلول عمليَّة تستجيب لحاجات المجتمع.

وإنَّ فتوى الدِّفاع الكفائي التي أصدرها السيِّد السيستاني في مواجهة خطر الإرهاب[1] العالمي وتحديدًا تنظيم داعش الإرهابي شكَّلت نقطة تحول تاريخيَّة؛ إذ استطاعت توجيه الأمَّة نحو الوحدة وتحمل المسؤوليَّة الجماعيَّة في الدِّفاع عن الأرض والعرض والمقدَّسات. وما يميِّز هذه الفتوى أنَّها لم تصدر كرد فعل عاطفي أو قرار طارئ؛ بل جاءت بناءً على تحليل دقيق للظروف المحيطة واستشراف استراتيجي لآثارها على المجتمع، السيِّد السيستاني بعقليَّته الفريدة أعاد تعريف العلاقة بين الفتوى والواقع من خلال التأكيد على أنَّ أي فتوى، مهما كانت ضرورتها، يجب أن تراعي الزَّمان والمكان لضمان تحقيق الغاية منها بأقلِّ تكلفةٍ وأكبر فائدة.

إنَّ هذه الفتوى التي ارتبطت بأحداث تاريخيَّة معيَّنة تحمل في جوهرها دلالات عميقة تتجاوز حدود الزمان والمكان، فهي ليست مجرَّد نصوص

جامـدة أو مواقـف آنيـة؛ بـل هـي تعبـير عـن رؤيـة شـاملة تتصـل بجوهـر الشريعـة الإسـلاميَّة التـي تتَّسـم بالمرونـة والتكيـف مـع مختلـف الظـروف. ومـا يميِّـز فتـوى الدِّفـاع الكفائـي هـو بعدهـا الإنسـاني العميـق؛ إذ إنَّهـا لا تنطلـق مـن رغبـةٍ في تحقيـق مكاسـب آنيـة أو أهـداف فرديَّـة؛ بـل تهـدف إلى الحفـاظ عـلى المصالـح الكـبرى وحمايـة القيـم الإنسـانيَّة والدينيَّـة والمجتمعيَّـة، هـذه الفتـوى تـبرز كأداة ديناميكيَّـة تعيـد للأمَّـة وعيهـا بدورهـا ومسـؤوليَّتها في مواجهـة التحديـات الكـبرى، مـن هنـا تـأتي أهميَّـة دراسـتها مـن منظـور فكـري حديـث يسـتوعب أبعادهـا الزَّمانيـة والمكانيَّـة، خاصَّـة في ظـلِّ التحـولات الكـبرى التـي يعيشـها العـالم اليـوم، ومـا يشـهده مـن تحدِّيـات سياسـيَّة واجتماعيَّـة وأمنيَّـة تتطلَّـب تفعيـل مثـل هـذه المبـادئ بشـكل يواكـب روح العـصر ويسـتجيب لمتغيراتـه. دراسـة فتـوى الدِّفـاع الكفائـي تفتـح أفقًـا واسـعًا لفهـم العمـق الفكـري للشريعـة الإسـلاميَّة، وكيـف أنَّهـا تمتلـك القـدرة عـلى توفـير حلـول تتماشـى مـع المتغـيرات مـن دون أن تفقـد جوهرهـا الأصيـل، ممَّـا يجعلهـا أنموذجًـا فريـدًا يسـتحقُّ التحليـل والفهـم بعمـق يتجـاوز النظـرة التقليديَّـة، ليصـل إلى استكشـاف آفاقهـا كأداة للإصـلاح والتغيـير الإيجـابي في واقـع الأمَّـة.

- بيان موضوع البحث:

يتنـاول هـذا البحـث دراسـة فتـوى الدِّفـاع الكفائـي مـن منظـور "البعـد الزَّمـاني والمـكاني"، مـع التركيـز عـلى تحليـل كيفيَّـة تجـاوب الفتـوى مـع المتغـيرات الزمنيَّـة والمكانيَّـة المختلفـة. سيُسـتعرض دور هـذه الفتـوى في معالجـة الأزمـات المعـاصرة، وكيـف تتجـاوز الحـدود التقليديَّـة في تفسـيرها وتطبيقهـا، مـن خـلال منظـور فكـري حديـث يسـتجيب لاحتياجـات الواقـع الراهـن.

ـ أهميَّة البحث:

تكمن أهميَّة هذا البحث في تسليط الضوء على أهميَّة فتوى الدِّفاع الكفائي في عصرنا الحالي، ومدى قدرتها على التكيُّف مع التحدِّيات المعاصرة، إضافة إلى دورها في تعزيز المسؤوليَّة الجماعيَّة والعدالة الاجتماعيَّة. وكذلك يُسهم في فهم الكيفيَّة التي يمكن للفتوى أن تتجاوز الزَّمان والمكان، مع الحفاظ على جوهرها الشرعي، وبالتالي يُعدُّ إضافة جديدة لفهم تأثير الفكر الفقهي في الأزمات الراهنة.

ـ أهداف البحث:

دراسة البُعد الزَّماني والمكاني في فتوى الدِّفاع الكفائي.

تحليل كيف أنَّ هذه الفتوى تتجاوز الحدود التقليديَّة وتظل صالحة للتطبيق في مختلف السياقات.

استكشاف الدور الفاعل للمرجعيَّة الدينيَّة في إصدار فتوى الدِّفاع الكفائي.

تحديد آليَّات تطبيق فتوى الدِّفاع الكفائي في عصر الأزمات المعاصرة.

دراسة علاقة الفتوى بالظروف السياسيَّة والاجتماعيَّة الراهنة.

ـ منهج البحث:

سيعتمد البحث على المنهج التحليلي النقدي من خلال تحليل النصوص الفقهيَّة المتعلقة بفتوى الدِّفاع الكفائي ودراستها في إطار فكر المرجعيَّة الدينيَّة، مع مقارنة تاريخيَّة وواقعيَّة بين الفتاوى الصادرة في سياقات مختلفة. وسيتم أيضًا توظيف المنهج الاستنباطي لاستنباط الدَّلالات الحديثة للفتوى ومدى قابليَّتها للتطبيق في الزَّمن والمكان المعاصرين.

ـ أسئلة البحث:

السؤال الأصلي:

كيف يمكن تفسير فتوى الدِّفاع الكفائي في ضوء البُعد الزَّماني والمكاني، وما هي أبعادها الفكريَّة الحديثة؟

الأسئلة الفرعيَّة:

ما هو دور البُعد الزَّماني والمكاني في فتاوى الدِّفاع الكفائي؟

كيف تتجاوز فتوى الدِّفاع الكفائي حدود الزمان والمكان وتظل صالحة في مختلف الظروف؟

ما هي الأبعاد الفكريَّة التي تجعل من هذه الفتوى أداة فعالة في مواجهة التحدِّيات المعاصرة؟

كيف يعكس فكر المرجعيَّة الدينيَّة في السيِّد علي السيستاني (حفظه الله تعالى) هذا البُعد في فتوى الدِّفاع الكفائي؟

ـ فرضيَّات البحث:

فتوى الدِّفاع الكفائي تتجاوز البُعد الزَّماني والمكاني لتظل صالحة عبر الأوقات والأماكن المختلفة.

هناك علاقة مباشرة بين البُعد الزَّماني والمكاني ونجاح تطبيق فتوى الدِّفاع الكفائي في العصر الحديث.

يتمُّ تفسير فتوى الدِّفاع الكفائي بمرونة كبيرة بما يتوافق مع الواقع المعاصر، وهذا يعود إلى تفكير مرجعي ديني يواكب التحدِّيات.

ـ السابقة الدراسيَّة للبحث:

الدراسات السابقة تناولت فتاوى الدِّفاع بشكل عام، لكن لم تركز بالدرجة الكافية على الأبعاد الزَّمانية والمكانيَّة في فتوى الدِّفاع الكفائي تحديدًا. في هذا البحث، سيتم تحليل البُعد الفقهي للفتوى وكيفيَّة تأثير السياقات المختلفة عليها. من خلال هذا

البحث، سيتم تقديم إضافة جديدة في فهم كيفيَّة التفاعل بين الفتوى وواقع الأزمات المعاصرة، مستندًا إلى تطبيقات فقهيَّة معاصرة ذات طابع استراتيجي بعيد المدى.

التمهيد

يعـدُّ الدِّفـاع مـن المفاهيـم المركزيَّـة في الفكـر الإسـلامي؛ إذ يتسـم بالتنـوع والمرونـة وفقًا للظـروف الزَّمانيـة والمكانيَّـة، ويُعتبر وسـيلة أساسـية في الدِّفـاع عـن الديـن والمجتمـع. ومـن بـين أنـواع الدِّفـاع التـي تناولهـا الفقـه الإسـلامي، يـبرز الدِّفـاع الكفائـي كأحـد الأبعـاد الشرعيَّـة التـي تمثِّـل المسـؤوليَّة الجماعيَّـة لأفـراد الأمَّـة الإسـلاميَّة في التصـدِّي للتهديـدات الكـبرى التـي قـد تهـدد أمـن المجتمـع واسـتقراره. فتـوى الدِّفـاع الكفائـي، التـي ظهـرت في ظـلِّ العديـد مـن الأزمـات التاريخيَّـة، أثبتـت أنَّهـا ليسـت محكومـة بزمـن أو مـكان معين؛ بـل تمثِّـل تطبيقًـا لمبادئ الشريعـة التـي تواكـب التغيـرات، وتسـتجيب لحاجـات الأمَّـة في الأوقـات الحرجـة.

وفي هـذا الإطـار، تـأتي أهميَّـة دراسـة فتـوى الدِّفـاع الكفائـي في ضـوء "البُعـد الزَّمـاني والمـكاني" لتوضـح كيفيَّـة تجـاوب الفتـوى مـع تحديـات العـصر الحديـث، إذ يمكـن القـول إنَّ هـذه الفتـوى تتجـاوز حـدود الزَّمـان والمكان، مـا يجعلهـا صالحـة في مختلـف الظـروف والأوقـات. ولعـلَّ أبـرز مثـال عـلى ذلـك هـو فتـوى الدِّفـاع الكفائي التـي أصدرهـا المرجـع الأعـلى السـيِّد عـلي السيسـتاني (حفظـه الله تعـالى) في مواجهـة تنظيـم داعـش الإرهـابي في العـراق، التـي أظهـرت كيـف يمكـن للفتـوى أن تكـون اسـتجابة ديناميكيَّـة لأزمـة معـاصرة، ملتزمـة بمبـادئ الشريعـة في الوقـت نفسـه.

ودراسـة هذا الموضوع تمثِّل محاولة لتحليل الفكر الفقهي المتعلِّق بالدِّفاع الكفائي وكيفيَّـة تكيُّفـه مـع الأزمـات الحديثـة التـي تتطلَّـب فهـمًا عميقًـا ومرنًا للشريعـة. وكذا فـإنَّ البحـث في البُعـد الزَّمـاني والمـكاني لهـذه الفتـوى يعدُّ خطـوةً أساسـيَّة لفهم كيف يمكـن تطبيـق المبـادئ الفقهيَّـة في سـياقات متنوعة، ممَّـا يفتح الباب لاستكشـاف أفق جديـد في فهـم النصـوص الدينيَّة وكيفيَّـة تطويعها لمواجهـة تحديات العصر.

المبحث الأوَّل:

الإطار النظري لفتوى الدِّفاع الكفائي والبُعد الزَّماني والمكاني.

المطلب الأوَّل: الإطار النظري لفتوى الدِّفاع الكفائي:

إنَّ الدِّفاع هو من أعظم المفاهيم التي وردت في الشريعة الإسلاميَّة، ويعكس روح التضحية والفداء في سبيل الله، وفي هذا السياق يتنوع الدِّفاع في الإسلام بين جهاد النفس والمال والكلمة، ويُعتبر من أهم الوسائل التي يُدافع بها المسلمون عن دينهم وأوطانهم، ومن بين أنواع الدِّفاع المتعددة، يُعتبر الدِّفاع الكفائي أحد أهمِّ ألوان الدِّفاع التي تبرز في حالات الدِّفاع المشترك عن الأمَّة الإسلاميَّة ضد التهديدات الكبرى، يشير الدِّفاع الكفائي إلى تلك المسؤوليَّة التي تقع على عاتق الأمَّة الإسلاميَّة ككل، ويُطلب من أفراد المجتمع المشاركة فيها عندما يُستدعى الأمر، سواء كان ذلك لمواجهة تهديدات خارجيَّة أو لتصحيح وضع داخلي يعرض الإسلام والأمَّة للخطر، يختلف الدِّفاع الكفائي عن الدِّفاع العيني في أنَّه لا يتطلب من كلِّ فرد في الأمَّة أن يشارك فيه؛ بل يكفي أن يقوم به عدد من الأفراد إذا تحقَّق الهدف ونجحت الأمَّة في مواجهة التحديات.

ويُعتبر الدِّفاع الكفائي من أهم الموضوعات التي تناولها الفقه الإسلامي؛ إذ خصَّص لها العلماء العديد من المناقشات الفقهيَّة التي تناولت شروطه وأركانه والظروف التي تجعله واجبًا على الأمَّة. فمن منظور الشريعة، يُعد الدِّفاع الكفائي فرضًا على المسلمين عندما يكون هناك تهديد للأمَّة الإسلاميَّة أو اعتداء عليها، ويُعتبر من وسائل حماية الدين والنفس والمال والعرض ومن الناحية الفقهيَّة، فإنَّ الدِّفاع الكفائي يتطلَّب أن يتضافر جهود الأمَّة في مواجهة الأخطار، ولا يجوز لأيِّ مسلم أن يتخلَّف عن هذه المسؤوليَّة إلَّا في حالات معيَّنة تتعلَّق بالقدرة البدنيَّة أو الموانع الشرعيَّة. ويُعتبر الدِّفاع الكفائي بمثابة فريضة لا يجوز التفريط فيها، ويستمر في طبيعته الجماعيَّة طالما كانت الأمَّة بحاجة إلى التكاتف لمواجهة التحدِّيات التي تهددها.

وقد عاشت تلك التجربة سابقًا في أواخر القرن الثاني عشر الهجري، برزت حركة أتباع محمَّد بن عبد الوهاب (١١١١-١٢٠٧ هـ) في الجزيرة العربيَّة[٢]، وشنَّت هجومًا على عقائد الفرق الإسلاميَّة المختلفة، وخصوصًا المذهب الشيعي، زعمت هذه الحركة أنَّها تسعى لتنقيَّة الشريعة الإسلاميَّة ممَّا اعتبرته شوائب ومظاهر مبتدعة، وبدأت عمليًّا بمهاجمة ما وصفته بالشرك.

وامتدت آثار هذه الحركة إلى خارج حدود الجزيرة العربيَّة، فوصلت إلى العراق؛ إذ تعرَّضت مدينتا كربلاء والنجف لهجمات عنيفة في مواجهة هذا الخطر، تصدَّى الشيخ جعفر كاشف الغطاء [٣] بشجاعة للدِّفاع عن مدينة النجف ومقدَّساتها قاد بنفسه جهود المقاومة؛ إذ حمل السلاح وسلَّح العلماء والطلاب وأهالي المدينة لمواجهة المهاجمين، حتَّى تمكَّنوا من دفعهم والتصدِّي لاعتداءاتهم.

ولم يقتصر دور الشيخ جعفر كاشف الغطاء على الجانب العسكري؛ بل بادر أيضًا إلى حماية المدينة من الهجمات المستقبليَّة، فأمر بتشييد سور حول النجف لتعزيز أمنها وفي الجانب الفكري، ألَّف كتابًا بعنوان: **"منهج الرشاد لمن أراد السداد"**[٤]، الذي يُعدُّ من أوائل المؤلَّفات التي تناولت نقد عقائد الحركة الوهابيَّة والرد عليها، بهذا الجمع بين العمل الميداني والفكري، جسَّد الشيخ جعفر أنموذجًا متميِّزًا في الدِّفاع عن العقيدة وحماية المجتمع الإسلامي.

ولذا تميَّزت فتوى المرجعيَّة الرشيدة أنَّها سبقت الزَّمان والمكان كما سيجيئ في ثنايا البحث، ومن خلال ما تقدَّم في تفكيك تعريف الدِّفاع الكفائي في الفقه الإسلامي، يمكننا أن نتطرَّق إلى تطور هذا المفهوم عبر التاريخ الإسلامي؛ إذ بدأ الدِّفاع الكفائي كمفهوم واضح ومحدد منذ العصور الأولى في الإسلام في تلك المدَّة، كان المسلمون يتعرَّضون للتهديدات من أعداء الخارج، وكان الدِّفاع الكفائي يُفترض أن يكون في إطار الدِّفاع عن الأراضي الإسلاميَّة، وهذا ما ظهر بوضوح في غزوات النبي محمَّد ﷺ، على الرغم من أن الدِّفاع كان فرديًا في بعض

الأحيان، إلا أنَّ مفهوم الدِّفاع الكفائي كان موجودًا في حالات خاصَّة حين كان يُستدعى الجميع لملاقاة العدو وتوفير الحماية للأمَّة، وقد تواصل هذا المفهوم في العصور الإسلاميَّة اللاحقة؛ إذ كان يُعدُّ فرضًا جماعيًّا في الحالات التي تقتضي التكاتف الوطني لمواجهة التهديدات الكبرى، مثل غزو التتار أو الصليبيين ومع مرور الزمن، تطور هذا المفهوم ليشمل مجالات جديدة تتعلَّق بالأمن الاجتماعي والسياسي، مثل التصدِّي للفتن الداخلية، وتعبئة الأمَّة لمواجهة التحدِّيات الطارئة التي قد تهدِّد الوحدة الوطنيَّة أو الاستقرار الداخلي.

وفي العصر الحديث، ظهرت تحدِّيات جديدة فرضت إعادة النظر في مفهوم الدِّفاع الكفائي، خاصَّة مع تطور الأوضاع السياسيَّة والاجتماعيَّة في العالم الإسلامي، من بين هذه التحديات كان ظهور الجماعات الإرهابيَّة والتدخلات العسكريَّة الأجنبيَّة مع المجتمعات الإسلاميَّة، وهو ما دفع العديد من الباحثين المعاصرين إلى الاهتمام في إعادة تفسير الدِّفاع الكفائي بما يتناسب مع العصر واحتياجات الأمَّة من خلال فتوى المرجعيَّة، فقد أدرك الفقهاء المعاصرون إذ حظيت هذه الفتوى باهتمام واسع؛ إذ أثنى الشيخ ناصر مكارم الشيرازي عليها، وأصدر بدوره فتوى بوجوب الدِّفاع عن سيادة العراق، ونقل كذلك السيِّد جواد الشهرستاني، ممثِّل السيِّد السيستاني في إيران، تصريحًا عن السيِّد علي الخامنئي وصف فيه الفتوى أنَّها "إلهام رباني"، وصرَّح المتحدِّث باسم مكتب الشيخ بشير النجفي قائلًا: "إنَّ فتوى الجهاد الكفائي أظهرت أنَّ الشعب العراقي يتمسَّك بالقيم والمبادئ، وهو ما مكنهم من تحقيق هذا النصر العظيم"، وأكَّد سماحة الشيخ محمَّد إسحاق الفياض أنَّ هذه الفتوى كانت السبب الجوهري وراء الانتصار(٥).

ولذا نرى اليوم أن الدِّفاع الكفائي لا يقتصر فقط على الحروب العسكريَّة؛ بل قد يشمل مجالات أخرى مثل التصدِّي للفكر التكفيري، وحماية الاستقرار الداخلي، لذا يمكن القول إنَّ مفهوم الدِّفاع الكفائي تطور ليشمل أكثر من

مجرَّد التصدِّي للأعداء الخارجيين، وأصبح يشمل أيضًا التصدي للتحديات الداخليَّة التي قد تضعف الأمَّة أو تفرط في قيمها.

ولقد شهدت فتاوى الدِّفاع الكفائي عبر التاريخ تطورًا لافتًا يواكب الظروف والبيئة التي كانت تعيشها الأمَّة الإسلاميَّة[٦]، ففي المراحل السابقة، كانت فتاوى الدِّفاع الكفائي تقتصر على المعارك الكبرى ضد المعتدين، وكان تطبيق هذه الفتاوى مرتبطًا بالتهديدات الخارجيَّة المباشرة، أمَّا في العصر الحديث، فقد أخذت هذه الفتاوى بعدًا أوسع؛ إذ يمكن أن تتضمَّن التصدِّي للأزمات السياسيَّة والاقتصاديَّة والاجتماعيَّة التي تطرأ على الأمَّة، وهذا ممَّا قالوا فيه مثل وصف البابا فرنسيس، بابا الفاتيكان، المرجع الديني السيِّد علي السيستاني بأنَّه "رجل الله العظيم الحكيم"، وأكَّد أنَّ لقاءه معه كان تجربة عميقة الأثر على نفسه، قائلًا: "شعرت بالفخر". وأضاف: "إنَّه رجل متواضع وحكيم لم يسبق أن وقف لتحية أحد؛ لكنَّه وقف معي مرتين"[٧].

الصحفي السعودي جمال خاشقجي أشاد بمواقف السيستاني خاصَّة فيما يتعلَّق بتحريمه الاقتتال الطائفي ودوره في تعزيز السلم الأهلي، معتبرًا أنَّ السيِّد السيستاني نجح في تهدئة الأوضاع بين الطوائف وحرَّم قتل السنة. ورأى خاشقجي أنَّ السيِّد السيستاني يستحق جائزة الملك فيصل العالميَّة لخدمة الإسلام، ودعا كبار علماء المسلمين مثل شيخ الأزهر الطيب ومفتي السعوديَّة عبد العزيز آل الشيخ ويوسف القرضاوي إلى زيارته تقديرًا لدوره الكبير[٨]،[٩].

وهذا التطور في مفهوم الدِّفاع الكفائي يعكس قدرة الشريعة الإسلاميَّة على التكيف مع التغيرات الاجتماعيَّة والسياسيَّة، ويعكس في الوقت نفسه مرونة الفكر الفقهي الذي يضمن تحقيق المصلحة العليا للمجتمع الإسلامي في كل زمان ومكان.

ومن هنا، فإنَّ الدِّفاع الكفائي لا يعد مجرد مفهوم ثابت؛ بل هو مفهوم

ديناميكي يتطوَّر مع تطوّر الأحداث ويستجيب لمتغيرات العصر.

المطلب الثاني: البُعد الزَّماني والمكاني في فتاوى الدِّفاع الكفائي:

المقصود بـ البُعد الزَّماني والمكاني لفتوى الدِّفاع الكفائي هو أن آثارها وتأثيرها لم تقتصر على الزَّمان والمكان الذي أُطلقت فيه فقط (أي العراق عام ٢٠١٤ في أثناء اجتياح داعش)؛ بل تجاوزتهما إلى أبعاد أوسع، ويمكن توضيح ذلك كالتالي:

البعد الزَّماني: تعني أنَّ الفتوى لم تكن لحظيَّة أو مؤقتة؛ بل أثَّرت في مجرى الأحداث لسنوات لاحقة، وأسَّست لمواقف وطنيَّة مستمرة، منها بناء الحشد الشعبي، وتعزيز روح التضحيَّة والوطنيَّة، وتحقيق الاستقرار بعد سنوات من الفوضى.

البعد المكاني: يعني أنَّ تأثير الفتوى لم يقتصر على مناطق معيَّنة من العراق فقط؛ بل شمل جميع المحافظات؛ بل وتجاوز العراق ليشكل مصدر إلهام لحركات مقاومة في المنطقة، ورسالة عن دور المرجعيَّة في الدِّفاع عن الأوطان والكرامة.

وبمعنى آخر، الفتوى لم تكن مجرَّد قرار عسكري؛ بل حدث تاريخي غيَّر الواقع وترك أثرًا استراتيجيًا طويل المدى في العراق وخارجه.

ويعد الدِّفاع الكفائي من المفاهيم المركزيَّة في الفكر الإسلامي، وهو يمثِّل التزامًا جماعيًّا من الأمَّة الإسلاميَّة في مواجهة الأزمات والتهديدات التي قد تطرأ على الدين أو الأمَّة أو المجتمع[١٠]، يشمل الدِّفاع الكفائي المواقف التي تتطلَّب تضافر جهود المسلمين لمواجهة الخطر، ونركز على البُعد الزَّماني والمكاني في فتاوى الدِّفاع الكفائي كما اعترفت أحد الصحف الإلكترونية[١١].

وبينما كان سابقًا في عصر مرجعيَّة كاشف الغطاء رحمة الله عليه كانت الأمور واضحة من ناحية التهديد للمجتمع الإسلامي، وحتَّى لو كان هناك تخطيط فهو مكشوف للعيان، وأمَّا في عصر مرجعيَّة سماحة السيِّد السيستاني حفظه الله ورعاه لابدَّ أن نفهم أنَّ فتاوى الدِّفاع الكفائي لا تقتصر على وقت معين أو مكان محدد؛ بل هي فتاوى مرنة قابلة للتطبيق في مختلف الظروف

الزَّمانيـة والمكانيَّـة، الدِّفـاع الكفائـي يفـرض عـلى الأمَّـة أن تتوحـد في وجـه الأخطـار التي تهـدد وجودهـا؛ ولكـن هـذه الفتـاوى تختلـف حسـب طبيعـة الأزمة والزمـان والمـكان الـذي تحـدث فيـه، فـكل مـدَّة تاريخيَّـة تحمـل تحدياتهـا الخاصَّـة التـي قـد تتطلَّـب تفسـيرات مختلفـة لهـذه الفتـوى، ممَّـا يجعـل فتـاوى الدِّفـاع الكفائي أكثـر ديناميكيـة مـن غيرهـا مـن الفتـاوى، وعليـه يجـب تحليـل كيفيَّـة تفاعـل هـذه الفتـاوى مـع الأزمـات المختلفـة عـبر الزمـان والمـكان بشـكل منهجـي ومـدروس.

وفي العصور الإسلاميَّة الأولى، كان الدِّفاع الكفائي يتَّخذ طابعًا عسكريًّا بحتًا؛ إذ كانت فتاوى الدِّفاع تصدر في حالات الغزو أو الهجوم الخارجي على الأمَّة الإسلاميَّة في تلك الأوقات، كانت الفتاوى المتعلقة الدِّفاع الكفائي تقتصر بشكل رئيسي على التصدي للأعداء من خلال حملات عسكرية واسعة النطاق، وكانت هذه الفتاوى تتفاعل بشكل مباشر مع التهديدات المحددة التي كانت تواجهها الأمَّة الإسلاميَّة، كما كانت تعتمد على الجغرافيا المحدودة لتلك الحروب.

ومـع تقـدم الزمـن وتغـير الظـروف، أصبـح مفهـوم الدِّفـاع الكفائـي أوسـع وأشـمل، بحيـث لم يعـد يقتـصر عـلى الحـروب العسـكرية، بـل شـمل أيضًـا التصـدي للتحديـات المقبلـة التـي تشـكل خطـورة مـن الناحيـة الإقليميَّـة.

وفي العـصر الحديـث، شـهدت الأمَّـة الإسـلاميَّة العديـد مـن الأزمـات التـي أدَّت إلى توسُّـع مفهـوم الدِّفـاع الكفائي ليشـمل مجـالات متعـدِّدة عـلى سـبيل المثال، مـع ظهـور الجماعـات الإرهابيَّـة والتدخـلات الأجنبيَّـة في الـدول الإسـلاميَّة، تـمَّ إصـدار فتـاوى الدِّفـاع كفائـي للتصـدي لهـذه التهديـدات العسـكريَّة، كـما حـدث في العـراق عندمـا أصـدر المرجـع الدينـي الأعـلى السـيِّد عـلي السيسـتاني (حفظـه الله تعـالى) فتـوى الدِّفـاع الكفائـي في عـام ٢٠١٤ لمواجهـة تنظيـم داعـش[١٢]، هـذه الفتـوى كانـت بمثابـة اسـتجابة جماعيَّـة للأمَّـة الإسـلاميَّة ضـد تهديـد إرهـابي لم يكـن مقتـصرًا عـلى العـراق فقـط؛ بـل كان يشـكل خطـرًا عـلى أمـن المنطقـة والعـالم

الإسلامي ككل، وكذا فإنَّ فتاوى الدِّفاع الكفائي في هذه المدَّة أظهرت قدرة الفقه الإسلامي[١٣]، على التكيف مع الأزمات المستجدة؛ إذ تضمَّنت التصدِّي لمختلف أنواع التهديدات، سواء كانت عسكريَّة أو فكريَّة أو ثقافيَّة.

والبُعد الزَّماني في فتاوى الدِّفاع الكفائي في السياقات المعاصرة يتمثَّل في كيفيَّة تعامل الفتوى مع تحديات العصر الحالي؛ إذ تتنوَّع الأزمات التي يواجهها المسلمون اليوم إضافة إلى الحروب العسكريَّة، توجد تهديدات أخرى مثل انتشار الفكر التكفيري، والتدخلات السياسيَّة من قبل قوى أجنبيَّة في الشؤون الداخليَّة للدول الإسلاميَّة، وأصبحت فتاوى الدِّفاع الكفائي في العصر الحديث تشمل جوانب متعدِّدة، بدءًا من التصدِّي للتهديدات العسكريَّة إلى محاربة الأفكار الضالة والمتطرفة التي تهدد وحدة الأمَّة.

وأمَّا البُعد المكاني في فتاوى الدِّفاع الكفائي فيكمن في فهم كيفيَّة تفاعل هذه الفتاوى مع الجغرافيا المتغيرة للأمَّة الإسلاميَّة ففي السابق، كانت فتاوى الدِّفاع الكفائي تقتصر غالبًا على مناطق جغرافية محددة، مثل المناطق الحدودية التي كانت عرضة للهجمات من أعداء الخارج؛ لكن مع انتشار وسائل الاتصال الحديثة والعولمة، أصبح التهديد لا يقتصر على جغرافيا معيَّنة، بل يمتدُّ ليشمل مختلف الدُّول الإسلاميَّة، بل ودولًا غير إسلاميَّة أيضًا، على سبيل المثال في العصر المعاصر، قد يتعرَّض المسلمون في دول مختلفة لتهديدات مشتركة مثل الإرهاب أو التدخلات العسكريَّة من قوى خارجيَّة، وفي هذا السياق ظهرت فتاوى الدِّفاع الكفائي التي تطلب من الأمَّة الإسلاميَّة أن تتوحد في مواجهة هذه التهديدات العابرة للحدود الجغرافيَّة.

وإمَّا من ناحية التصدي وحماية الفكر الثقافي العقائدي التي تُعد من أبرز التهديدات المكانيَّة التي تواجه الأمَّة الإسلاميَّة في العصر الحالي، هذه الحرب الثقافيَّة تستهدف طمس الهُويَّة الإسلاميَّة من خلال نشر ثقافات وأيديولوجيَّات

دخيلة على المجتمعات الإسلاميَّة مثلما نبهت المرجعيَّة العليا في النجف الأشرف، حول هوية البلد الثقافيَّة (العادات والتقاليد، الدين، القيم النبيلة، والتاريخ الحضاري)[١٤]، وهي تشكل تهديدًا على مستوى واسع يمتدُّ عبر الدول الإسلاميَّة، وفي دول الغرب على حد سواء، تعد الحرب الثقافيَّة العقائديَّة حربًا غير مرئية؛ لكنها شديدة التأثير؛ إذ تعمل على تحريف مفاهيم الإسلام وتنشئة جيل بعيد عن هويَّته الثقافيَّة والدينيَّة، هذا النوع من التهديد يشكل ما يمكن تسميته بـ**"الحرب المكانيَّة"** التي تمتدُّ عبر الحدود وتتجاوز الزَّمان والمكان لتطال جميع جوانب الحياة الثقافيَّة والدينيَّة في المجتمعات الإسلاميَّة.

وفي هذا السياق، يصبح الدِّفاع الكفائي ضرورة لمواجهة هذه الحرب الثقافيَّة العقائديَّة، وذلك من خلال تعزيز الهُويَّة الإسلاميَّة ونشر الوعي الديني والفكري بين أبناء الأمَّة.

وإنَّ التصدِّي لهذه الحرب الثقافيَّة يتطلب تكاتف الجهود في أنحاء العالم الإسلامي كافَّة، وليس في حدود دولة معيَّنة وعليه، فإنَّ فتاوى الدِّفاع الكفائي في هذا السياق تصبح جزءًا من دفاع ثقافي وعقائدي يهدف إلى حماية الإسلام من حملات التشويه التي تسعى إلى تقويضه على الصعيدين الداخلي والخارجي، هذا الدِّفاع الثقافي يجب أن يشمل المؤسسات الدينيَّة والفكريَّة والتعليمية في العالم الإسلامي كافَّة، ويستدعي جهدًا جماعيًّا للحفاظ على الهُويَّة الإسلاميَّة ودرء محاولات التأثير السلبي التي قد تهدد وحدة الأمَّة.

إذن، فإنَّ فتاوى الدِّفاع الكفائي في العصر الحديث لا تقتصر على الحروب العسكرية؛ بل تشمل أيضًا التصدي للأخطار الفكريَّة والثقافيَّة التي تهدد الهُويَّة الإسلاميَّة، ومع تطور وسائل الاتصال والعولمة، أصبح التهديد الثقافي والعقائدي أحد أبرز التحديات المكانيَّة التي تتطلَّب استجابة كفائيَّة جماعيَّة، وفي هذا السياق، يصبح من الضروري أن يتضافر الجهد الإسلامي لحماية الهُويَّة الإسلاميَّة من

الحروب الثقافيَّة التي قد تضعف الأمَّة الإسلاميَّة وتجعلها عرضة للتفكك والتمزق.

المبحث الثاني:

فتوى الدِّفاع الكفائي في ضوء فكر المرجعيَّة الدينيَّة وتطبيقات فتوى الدِّفاع الكفائي في العصر الحديث.

المطلب الأوَّل: فتوى الدِّفاع الكفائي في ضوء فكر المرجعيَّة الدينيَّة:

إنَّ فتوى الدِّفاع الكفائي التي أطلقها السيِّد علي السيستاني حفظه الله تعالى تمثِّل أنموذجًا متفرِّدًا في الحكمة القياديَّة المستمدَّة من عمق الفكر الإسلامي الأصيل، وقد جاءت هذه الفتوى في وقت عصيب كان يمرُّ به العراق حينما تعرَّض لهجوم إرهابي شرس من قبل تنظيم داعش الذي استباح الأرض والعرض والمقدَّسات، وهدد وجود الدولة ككيان سياسي واجتماعي وأمام هذه الأزمة غير المسبوقة كان لابَّد من تدخل قيادي حاسم ينقذ البلاد، ويضع حدًّا للخطر الداهم الذي كاد أن يعصف بكلِّ شيءٍ هنا برزت حكمة السيِّد السيستاني -أدام الله ظله الوارف- بوصفه المرجع الأعلى للأمَّة ومصدر الثقة والاطمئنان لجماهير المسلمين عندما أصدر فتوى الدِّفاع الكفائي التي كانت بمثابة صرخة استنهاض ضمير الأمَّة ونداء لإعادة التوازن وحماية المقدَّسات والأنفس.

والسيِّد السيستاني المعروف بورعه وتقواه يمثِّل الامتداد الحقيقي لنهج أهل البيت عليهم السلام **فهو حكيم متأسِّي بالإمام الحسن عليه السلام الذي عرف بحكمته وسعيه لإرساء السلام وصون الدماء، وهو في الوقت نفسه يمتلك روح التضحية والدِّفاع التي تجلت في شخصيَّة جدِّه الإمام الحسين عليه السلام الذي ضحَّى بكلِّ ما يملك لإقامة الحق ومواجهة الظلم، ومثلما كان الحسن والحسين عليهما السلام سيدي شباب أهل الجنة سواء قاما أو قعدا فإنَّ السيِّد السيستاني يجسِّد في قيادته للأمَّة هذا الجمع المتوازن بين الحلم والحزم، وبين السِّلم والدِّفاع ممَّا يجعل منه شخصيَّة قياديَّة فريدة من نوعها**

في العصر الحديث.

وعندما ننظر إلى فتوى الدِّفاع الكفائي نجد أنَّها تعبِّر عن عمق الفكر الإسلامي ومرونته وقدرته على مواجهة الأزمات، إذ إنَّها ليست مجرَّد دعوة لحمل السلاح؛ بل هي مشروع متكامل يهدف إلى تحقيق الأمن والاستقرار وإنقاذ المجتمع من الانهيار استنادًا إلى القيم الشرعيَّة والمبادئ الإسلاميَّة العُليا، فقد جاء في نصِّ الفتوى تحديد واضح لمعالم الدِّفاع بأنَّه واجب كفائي وليس عينيًا بمعنى أنَّه إذا قام به العدد الكافي لتحقيق الهدف سقط عن البقيَّة، وقد أكَّد السيِّد السيستاني على ضرورة أن يكون الدِّفاع تحت إطار القانون واحترام القيم الإنسانيَّة وعدم اللجوء إلى الانتقام أو الطائفيَّة ممَّا يعكس عمق الوعي بالواقع الاجتماعي والسياسي وأهميَّة الحفاظ على الوحدة الوطنيَّة.

وإنَّ مرونة الفقه الإسلامي التي ظهرت جليًا في هذه الفتوى ترتكز على المبادئ الكليَّة للشريعة التي تهدف إلى حفظ النفس والدين والعقل والعرض والمال، وهي المقاصد العُليا التي تتطلَّب من الفقيه النظر إلى مآلات الأفعال والبحث عن حلول تتناسب مع الظروف الراهنة دون الإخلال بجوهر الدين، وهذا ما جسَّده السيِّد السيستاني عندما جعل الفتوى منطلقًا لحماية العراق بمختلف مكوِّناته دون النظر إلى الانتماءات الطائفيَّة أو العرقيَّة، فقد كانت الفتوى نداءً لكلِّ العراقيين للدِّفاع عن بلدهم ومقدَّساتهم ممَّا أدَّى إلى استجابة واسعة من مختلف الأطياف، التي ترجمت عمليًّا في تشكيل قوات الحشد الشعبي التي لعبت دورًا محوريًّا في دحر الإرهاب وإعادة الاستقرار.

والأثر الذي أحدثته فتوى الدِّفاع الكفائي لا يقتصر على الجانب العسكري أو الأمني؛ بل يتعدَّاه إلى الجانب الاجتماعي؛ إذ إنَّها أسهمت في تعزيز الوحدة الوطنيَّة وتجسيد التضامن بين أبناء الشعب العراقي، وكذا فإنَّها قدَّمت صورة ناصعة عن الإسلام الذي يدعو إلى السلام والعدالة ويرفض الظلم

والعـدوان؛ إذ حـرص السـيِّد السيسـتاني عـلى توجيـه المقاتلـين للالتـزام بالقيـم الإسـلاميَّة في المعركـة والتعامـل مـع الأسرى والمدنيـين بـروح الرحمـة والإنسـانيَّة ممَّـا أكسـب الفتـوى احترامًـا واسـعًا داخـل العـراق وخارجـه، مثلـما عـبَّر سـفير السـلام السـويدي: فتـوى الدِّفـاع الكفائـي صنعـت السـلام في العـراق[١٥].

وفي ضـوء هـذه القـراءة لفتـوى الدِّفـاع الكفائي يمكننـا القـول إنَّهـا ليسـت مجرَّد حكـم فقهـي أطلـق في لحظـة طارئـة؛ بـل هـي أنمـوذج عمـلي يـبرز مرونـة الفقـه الإسـلامي في التعامـل مـع الأزمـات وقدرتـه عـلى تقديـم حلـول واقعيَّـة تنطلـق مـن روح الديـن ومقاصـده العُليـا[١٦]، وكـذا فهـي تؤكِّـد عـلى الـدور المحـوري للمرجعيَّـة الدينيَّـة بوصفهـا صمَّام الأمـان للأمَّـة وقائـدًا حكيمًا يقـرأ الواقـع بعـين بصـيرة ويسـتشرف الحلـول بعمـق ووعـي، وفي هـذا السـياق تظـل فتـوى الدِّفـاع الكفائـي علامـة فارقـة في تاريـخ العـراق الحديـث، وشـاهدًا عـلى حكمـة السـيِّد السيسـتاني وحنكتـه القياديَّـة التـي جعلتـه بحـقٍّ صـمام الأمـان ومجـدد الفكـر المرجعـي في عـصره.

المطلب الثاني: تطبيقات فتوى الدِّفاع الكفائي في العصر الحديث:

إنَّ الفتـوى التـي صـدرت مـن المرجعيَّـة العُليـا لسـماحة السـيِّد عـلي السيسـتاني حفظـه الله تعـالى تمثِّـل أنموذجًـا عمليًّـا لتطبيـق الفقـه الإسـلامي في مواجهـة الأزمـات الحـادة، وهـي ليسـت حكـمًا نظريًـا مقتـصرًا عـلى الظـرف الـذي صـدر فيـه وإنَّـما أصبحـت منطلقًـا لدراسـة الحـالات المعـاصرة وتطبيقاتهـا في مختلـف المجتمعـات الإسـلاميَّة؛ إذ تجـاوز أثرهـا حـدود العـراق ليكـون مصـدر مهـم في تعزيـز مفاهيـم الدِّفـاع عـن القيـم والمقدَّسـات وصيانـة الأوطـان في مواجهـة المخاطـر[١٧].

وفي العـراق شـكَّلت فتـوى الدِّفـاع الكفائـي نقطـة فارقـة في التحـول، عندمـا اسـتجاب الشـعب بمختلـف مكوِّناتـه لهـذا النـداء التاريخـي؛ إذ اجتمـع

المسلمون من جميع الطوائف والأعراق ليشكلوا قوَّة متماسكة تجسَّدت في الحشد الشعبي الذي أعطى دورًا حاسمًا في تحرير الأراضي العراقيَّة من قبضة الإرهاب، لم يكن هذا التلاحم مجرد تحرك عسكري؛ بل كان رسالة واضحة عن الوحدة الوطنيَّة، والإرادة الشعبيَّة القادرة على تجاوز الطائفيَّة والعرقيَّة، إذ أثبت العراقيون أنَّ الدِّفاع عن الوطن لا يعرف حدودًا مذهبيَّة أو عرقيَّة؛ بل هو واجب جماعي يلتزم به الجميع[١٨].

وأمَّا على المستوى الإقليمي والدَّولي فقد ألهمت فتوى الدِّفاع الكفائي المجتمعات الإسلاميَّة في مختلف البلدان لتطوير مفهوم الدِّفاع بمعناه الكفائي، القائم على حماية الإنسان والدين والمقدَّسات بعيدًا عن الاستخدامات الخاطئة لهذا المفهوم التي شوهت صورته لدى بعض الناس، فقد أدركت هذه المجتمعات أنَّ الدِّفاع ليس مجرَّد سلوك عسكري؛ بل هو استراتيجيَّة شاملة لحماية الحقوق وإعلاء القيم الإنسانيَّة من خلال تطبيق هذه الفتوى في مختلف الظروف، بدأت العديد من المجتمعات العمل على تعزيز قدراتها الدِّفاعية وتنظيم صفوفها في مواجهة التحديات المستقبليَّة.

وتُظهر دراسة حالات معاصرة كيف أنَّ فتوى الدِّفاع الكفائي أصبحت أنموذجًا يُحتذى به في أوقات الأزمات[١٩]، ففي بعض الدُّول الإسلاميَّة تمَّ الإفادة من روح هذه الفتوى لتوحيد الصفوف الداخليَّة وتعزيز روح التضامن والتكافل الاجتماعي؛ إذ انعكس هذا الأنموذج في حالات التصدي للاحتلال والعدوان ومواجهة الإرهاب؛ إذ أدركت الشعوب أنَّ الالتفاف حول قيادتها الدينيَّة والسياسيَّة في اللحظات الحرجة هو السبيل الوحيد لتحقيق الأمن والاستقرار، وكذلك فإنَّ هذه الفتوى أسهمت في إعادة بناء مفهوم الشهادة كأحد أسمى أشكال التضحيَّة

الـذي لا يقتـصر عـلى القتـال فحسـب؛ بـل يشـمل التضحيـة بالوقـت والمـال والجهـد مـن أجـل الصالـح العـام[٢٠].

وفي العـراق تحديـدًا نجحـت الفتـوى في تحسـين وتحصـين البـلاد مسـتقبلًا مـن خـلال إعـداد جيـل واعٍ ومـدرب عـلى الاسـتعداد الدائـم للقتـال والدِّفـاع عـن الوطـن، فقـد أصبحـت ثقافـة الاسـتعداد والشـهادة جـزءًا مـن الهُويَّـة الوطنيـة العراقيَّـة؛ إذ رسـخت هـذه الفتـوى أهميَّـة الفهـم العميـق للمخطَّطـات الجديـدة التـي تسـتهدف البـلاد وضرورة التكاتـف الشـعبي لمواجهتهـا، وكذلـك سـاعدت عـلى تعزيـز الروابـط بـين مختلـف مكوِّنـات الشـعب العراقـي مـن عـرب وكـرد وتركمـان وسـنة وشـيعة ممَّـا أدَّى إلى خلـق بيئـة مـن التلاحـم العرقـي والدينـي لم تكـن موجـودة بمثـل هـذه القـوَّة قبـل الفتـوى.

وعـلى المسـتوى الفكـري أسـهمت فتـوى الدِّفـاع الكفائـي في تعزيـز الوعـي الإسـلامي بمفهـوم الدِّفـاع الحقيقـي؛ إذ أدرك النـاس أنَّ الدِّفـاع الكفائـي ليـس أداة للعـدوان أو الهيمنـة؛ بـل وسـيلة لحمايـة الأرواح والمقدَّسـات وردع الظلـم والعـدوان، وكـذا فـإنَّ الفتـوى فتحـت آفاقًـا جديـدة لتطويـر الفقـه الإسـلامي في ظـلِّ الظـروف المتغيـرة، إذ تـمَّ توظيـف النصـوص الشرعيَّـة بـما يتناسـب مـع حاجـات العـصر ومتطلباتـه، وهـذا مـا جعلهـا أنموذجًـا يمكـن تطبيقـه في أي مـكان وزمـان إذا اسـتدعت الـضرورة[٢١].

ولقـد أثـرت فتـوى الدِّفـاع الكفائـي عـلى المجتمعـات الإسـلاميَّة مـن حيـث تعزيـز مفهـوم الوحـدة في مواجهـة الأخطـار المشـتركة؛ إذ سـاعدت هـذه الفتـوى عـلى إعـادة بنـاء الثقـة بـين الشـعوب وقياداتهـا الدينيَّـة والسياسـيَّة؛ إذ أدرك الجميـع أنَّ المصلحـة العامَّـة تقتـضي العمـل المشـترك مـن دون النظـر إلى الاختلافـات الثانويـة، وكـذا فإنَّهـا عـزَّزت الإحسـاس بالمسـؤوليَّة الفرديَّـة

والجماعيَّة تجاه القضايا الكبرى للأمَّة الإسلاميَّة[٢٢].

ويمكن القول إنَّ فتوى الدِّفاع الكفائي ليست مجرَّد فتوى لحظيَّة صدرت في سياق أزمة معيَّنة؛ بل هي مشروع فكري واجتماعي شامل أثبت قدرة الفقه الإسلامي على الاستجابة للأزمات الحديثة بمنهجيَّة متكاملة، هذه الفتوى قدمت درسًا مهمًا للمجتمعات الإسلاميَّة حول أهميَّة الاستعداد والتحصين لمواجهة التحديات المستقبليَّة وتعزيز التلاحم بين مكوِّناتها على أسس العدالة والإنسانيَّة والأخلاق، ممَّا يجعلها تجربة تستحق الدراسة والتأمل للإفادة منها في مواجهة الأزمات المعاصرة والمستقبلية.

المطلب الثالث: فتوى الدِّفاع الكفائي في ضوء حديث "الحسن والحسين إمامان إن قاما أو قعدا": دراسة في القيادة الحكيمة للسيِّد السيستاني:

وحديث النبي محمد ﷺ: **"الحسن والحسين إمامان قاما أو قعدا"** [٢٣]، يحمل دلالات عظيمة تعكس مكانة الإمامين الحسن والحسين عليهما السلام كقادة للأمَّة في جميع الأحوال، سواء في حال القيام بالدِّفاع والنهوض بالأمَّة أو القعود واتخاذ موقف الحكمة والصبر. هذا الحديث النبوي ينطبق بشكلٍ كبير على الدور الذي قدمه السيِّد علي السيستاني (حفظه الله) في فتوى الدِّفاع الكفائي؛ إذ مثَّل امتدادًا عمليًّا لنهج الإمامين الحسن والحسين عليهما السلام، جامعًا بين الحكمة القياديَّة والتضحية في سبيل الدِّفاع عن الأمَّة.

السيِّد السيستاني وارتباطه بالحديث:

الإمامة في القيادة الحكيمة (القعود):

الإمام الحسن عليه السلام اختار الصلح مع معاوية، وهو قرار ينبع من الحكمة والبصيرة للحفاظ على الأمَّة الإسلاميَّة ومنع الانقسامات. السيِّد السيستاني جسد هذا البعد من القيادة؛ إذ قاد الأمَّة بحكمةٍ وصبر،

متمسِّكًا بمبادئ الوحدة الوطنيَّة، ومراعيًا التنوع الطائفي والعرقي في العراق. قبل إصدار فتوى الدِّفاع الكفائي، كان يدعو دائمًا إلى ضبط النفس والعمل على حفظ كيان الدولة والمجتمع في وجه المخاطر.

الإمامة في القيادة النهضويَّة (القيام):

الإمام الحسين ﷺ نهض بوجه الظلم والطغيان في كربلاء؛ إذ كان قراره بالقيام يعكس شجاعة القائد الذي يرفض الاستسلام للباطل مهما كان الثمن، السيِّد السيستاني في فتوى الدِّفاع الكفائي أظهر هذا الجانب عندما دعا العراقيين للنهوض دفاعًا عن الوطن والمقدَّسات في وجه تنظيم داعش الإرهابي، فكانت دعوته بمثابة استنهاض للأمَّة وتحفيزها للوقوف بوجه الخطر المحدق الذي هدَّد كيان العراق وشعبه.

"إن قاما أو قعدا" في فتوى الدِّفاع الكفائي:

إنَّ الفتوى التي أصدرها السيِّد السيستاني كانت تجسيدًا عمليًا للمرونة القياديَّة التي يظهرها الحديث الشريف، عندما اقتضى الظرف القيام والحركة لمواجهة الخطر، دعا إلى الدِّفاع الكفائي بشروط واضحة ومنضبطة في الوقت نفسه، حرص على ضبط النفس ومنع الفوضى، ممَّا يعكس الجانب "القعودي" من الإمامة، وهو التريث والحفاظ على وحدة المجتمع في ظلِّ التحديات المستقبليَّة لاستيعاب ما يتطلَّب ملحمة وطنيَّة قادمة.

قيادة شاملة للأمَّة:

ومثلما أنَّ الإمامين الحسن والحسين ﷺ إمامان بغضِّ النظر عن الظرف أو الفعل، كذلك السيِّد السيستاني حفظه الله كان ولا يزال قائدًا روحيًا ودينيًا شاملًا؛ إذ امتدَّت رؤيته لتشمل جميع مكوِّنات الشعب العراقي، فتواه لم تكن دعوة طائفية أو فئوية؛ بل كانت نداءً لكلِّ العراقيين للدفاع

عـن الوطـن والمقدَّسـات، مـع احـترام القيـم الإنسـانيَّة وحقـوق الإنسـان، ممَّـا أدَّى إلى توحيـد الصفـوف وتعزيـز التلاحـم الوطنـي.

الأثر المستدام للقيادة:

والحديـث عـن الإمامـين الحسـن والحسـين ﷺ لا يقتـصر عـلى زمانهـما؛ بـل يمتـدُّ كمنهـج للأمَّـة عـبر العصـور، السـيِّد السيسـتاني اسـتلهم هـذا النهـج في قيادتـه؛ إذ لم تكـن فتـوى الدِّفـاع الكفائـي مجـرد اسـتجابة ظرفيـة؛ بـل كانـت قـرارًا مدروسًـا وضـع أسسًـا لتحصـين العـراق ومسـتقبله، وأعـاد للأمَّـة ثقتهـا بمرجعيَّاتهـا الدينيَّـة.

والسـيِّد السيسـتاني في فتـوى الدِّفـاع الكفائـي جسـد روح الحديـث النبـوي "الحسـن والحسـين إمامـان قامـا أو قعـدا"؛ إذ جمـع بـين حكمـة القعـود المتمثِّلـة في ضبـط النفـس والعمـل عـلى الوحـدة الوطنيَّـة، وبـين شـجاعة القيـام في الدعـوة إلى الدِّفـاع والدِّفـاع عـن الأرض والمقدَّسـات. قيادتـه أثبتـت أنَّ المرجعيَّـة الدينيَّـة هـي امتـداد عمـلي لمنهـج أهـل البيـت ﷺ، قـادرة عـلى مواجهـة التحديـات بأفـق إنسـاني شـامل وبصـيرة اسـتثنائيَّة تحقـق مصالـح الأمَّـة وتحصنهـا مـن المخاطـر.

الخاتمة

إنَّ فتوى الدِّفاع الكفائي التي أطلقها السيِّد علي السيستاني حفظه الله تعالى لم تكن مجرَّد استجابة ظرفيَّة لحدث عابر؛ بل كانت حدثًا مفصليًّا أعاد تشكيل الوعي الديني والاجتماعي والسياسي في العراق وخارجه، فهي أظهرت قدرة المرجعيَّة الدينيَّة على التعامل مع الأزمات بمنهجيَّة حكيمة تستند إلى القيم الإسلاميَّة الأصيلة ومبادئها العليا، وكذا فإنَّ الفتوى لم تقتصر على حماية العراق في لحظة حرجة؛ بل وضعت أسسًا مستقبليَّة لتحصين البلاد والمجتمعات الإسلاميَّة من أي تهديدات محتملة.

واليوم ومع استقرار الأوضاع نسبيًا في العراق تبقى آثار الفتوى حاضرة في الوعي الجمعي والقضاء على الفكر الجمعي السلبي، فقد عزَّزت مفهوم الاستعداد الدائم للدفاع عن الوطن وأعادت بناء مفهوم الوحدة الوطنيَّة على أسس متينة تتجاوز الخلافات العرقية والطائفية، وكذا هي أصبحت أنموذجًا يحتذى به في مختلف الدُّول الإسلاميَّة لمواجهة التحديات الكبرى بروح جماعيَّة ومنهجيَّة متكاملة.

فإنَّ فتوى الدِّفاع الكفائي تمثِّل دروسًا خالدة في الحكمة القيادية ومرونة الفقه الإسلامي وقدرته على معالجة الأزمات المعاصرة، بروح تتوافق مع حاجات العصر ومتطلباته واليوم يجب على المجتمعات الإسلاميَّة أن تستلهم من هذه التجربة قيم الوحدة والتضامن والعمل المشترك لبناء مستقبل آمن ومستقر للأمَّة الإسلاميَّة بأسرها.

النتائج

١. أثر فتوى الدِّفاع الكفائي على العقل الجمعي السلبي:

لقد شكَّلت فتوى الدِّفاع الكفائي منعطفًا تاريخيًّا في إعادة بناء العقل الجمعي للمجتمع؛ إذ أسهمت في القضاء على المظاهر السلبيَّة التي كانت تؤثِّر على وحدة الأمَّة وقوَّة نسيجها الاجتماعي، وقد أضعفت هذه الفتوى القدرات التكوينيَّة للعقل الجمعي السلبي الذي كان يعزِّز التشتت والتقاعس عن مواجهة التحديات الكبرى، وكذا فإنَّها ركَّزت على استنهاض الهمم وترسيخ قيم التعاون والتضامن الإنساني والخيري، ممَّا أدَّى إلى تقوية الأواصر المجتمعيَّة الإيجابيَّة، بهذه الفتوى، تمَّ تجاوز الحواجز النفسيَّة والفكريَّة التي كانت تحول دون توحيد الصفوف لتحقيق الأهداف المشتركة، ممَّا أثبت قدرة المجتمعات على الاستجابة الفعَّالة في الأوقات الحرجة.

٢. فتوى الدِّفاع الكفائي التي أصدرها السيِّد علي السيستاني جسَّدت روح حديث النبي ﷺ **"الحسن والحسين إمامان إن قاما أو قعدا"**؛ **إذ** جمع بين الحكمة والتضحية. ففي حين مثل الإمام الحسن ﷺ القيادة الحكيمة القائمة على ضبط النفس وتوحيد الأمَّة، أظهر الإمام الحسين ﷺ شجاعة الرفض للظلم والثبات في مواجهة التحديات، وسماحة السيِّد السيستاني -حفظه الله ورعاه- استلهم هذا النهج في استجابته لأزمة العراق، داعيًا إلى الدِّفاع الكفائي في مواجهة داعش مع الحفاظ على وحدة المجتمع، وفتواه لم تكن طائفيَّة؛ بل نداءً للوطنيَّة والتضحية، ممَّا أسهم في تحصين العراق وبناء تلاحم وطني قوي.

٣. فتوى الدِّفاع الكفائي لم تكن استجابة آنية لخطر محدق فحسب؛ بل كانت رؤية استراتيجيَّة تجاوزت حدود الزَّمان والمكان. فقد أعادت رسم معادلة القوَّة في العراق، ودفعت الشعب إلى الوقوف صفًّا واحدًا في وجه الإرهاب.

هـذه الفتـوى أسَّسـت لمرحلـةٍ جديـدة مـن الوعـي الوطنـي، وأسـهمت في إعـادة هيبـة الدَّولـة ومؤسَّسـاتها. بفضلهـا، بـرز العـراق كدولـة قـادرة عـلى حمايـة سـيادتها والتصـدي للتحديـات الكـبرى، وكـذا أعطـت بعـدًا دوليًّـا لصـورة العـراق؛ إذ أصبـح يُنظـر إليـه كبلـد صامـد يمتلـك إرادة شـعبيَّة حيَّـة وقيـادة رشـيدة، هـذه الفتـوى نقلـت العـراق مـن مرحلـة الدِّفـاع إلى مرحلـة التأثـير.

٤. مرونة الفقه الإسلامي في مواجهة الأزمات:

فتـوى الدِّفـاع الكفائـي قدمـت أنموذجًـا عمليًّـا لمرونـة الفقـه الإسـلامي وقدرتـه عـلى الاسـتجابة للأزمـات المعـاصرة مـن خـلال اسـتيعاب التحدِّيـات، ووضـع حلـول تتناسـب مـع الواقـع دون المسـاس بجوهـر القيـم الشرعيَّـة.

٥. تأثير الفتوى على الوحدة الوطنية:

أبـرزت الفتـوى دورهـا في توحيـد مكوِّنـات الشـعب العراقـي بمختلـف أطيافه وأعراقـه، ممَّـا خلـق تلاحمًـا وطنيًّـا غـير مسـبوق، وأثبتـت أنَّ الأزمـات الكـبرى يمكـن أن تتحـول إلى فـرص لتعزيـز النسـيج الاجتماعـي.

٦. تعزيز مفهوم الدِّفاع الكفائي:

أعـادت الفتـوى صياغـة مفهـوم الدِّفـاع الكفائـي ليصبـح أداة لحمايـة الوطـن والمقدَّسـات وضـمان العدالـة والسـلام، بعيـدًا عـن الصـور المشـوهة التـي ارتبطـت بهـذا المفهـوم؛ نتيجـة الاسـتغلال الخاطـئ لـه في بعـض السـياقات.

٧. إحياء ثقافة الاستعداد والتضحية:

أسـهمت الفتـوى في زرع ثقافـة الاسـتعداد الدائـم والتضحيَّـة مـن أجـل حمايـة الأوطـان والقيـم، مـا أدَّى إلى ظهـور جيـل واعٍ ومؤهـل للدفـاع عن بلـده ومواجهة أي تهديـدات مسـتقبليَّة.

٨. تحصين العراق من التهديدات المستقبليَّة:

بفضـل التجربـة التـي رسـختها الفتـوى، بـات العـراق أكثـر اسـتعدادًا لمواجهـة

المخطَّطات الجديدة التي تستهدف أمنه واستقراره، سواء على المستوى العسكري أو الاجتماعي.

٩. أنموذج يُحتذى به في الدُّول الإسلاميَّة:

تجاوزت آثار الفتوى حدود العراق لتلهم المجتمعات الإسلاميَّة في التعامل مع أزماتها؛ إذ أصبحت مثالًا على كيفيَّة توظيف المرجعيَّة الدينيَّة لحل القضايا المعقدة وتعزيز التضامن بين الشعوب.

١٠. التأكيد على القيادة الحكيمة للسيِّد السيستاني:

أثبتت الفتوى أنَّ السيِّد السيستاني يمثل أنموذجًا للقيادة الدينيَّة الراشدة التي تجمع بين الحكمة والرؤية الاستراتيجيَّة، ممَّا جعله صمَّام أمان للأمَّة وقائدًا قادرًا على مواجهة المعضلات الكبرى.

١١. إبراز دور الشهادة بوصفها قيمة أخلاقيَّة:

أعادت الفتوى مفهوم الشهادة إلى مكانته الحقيقية كقيمة إنسانيَّة عُليا تتمثَّل في التضحية بالنفس من أجل الحقِّ والعدالة وحماية المجتمع، ممَّا ألهم أجيالًا جديدة لمواصلة هذا النهج.

التوصيات

١. دعوة المؤسَّسات التربوية والجامعيَّة إلى إدراج مضامين الفتوى ضمن المناهج الوطنيَّة، بوصفها أنموذجًا معاصرًا في صناعة الوعي الجماهيري والدِّفاع الوطني.

٢. إنشاء مركز دراسات متخصِّص في تحليل فتاوى الأزمات الكبرى ودورها في بناء المجتمعات، مع التركيز على تجربة فتوى الدِّفاع الكفائي كنموذج حيّ.

٣. الإفادة من تجربة الفتوى في بلورة سياسات أمنيَّة واجتماعيَّة معاصرة ترتكز على التكامل بين المرجعيَّة الدينيَّة والدولة المدنية.

٤. استخدام الوسائط الرقمية الحديثة (فيديو، بودكاست، رسوم تفاعلية)

لنشر القيم التي حملتها الفتوى بلغة تتناسب مع الأجيال الشابة.

٥. تطوير خطاب ديني جديد يستلهم من الفتوى أسس الوحدة الوطنية والتعايش المجتمعي، ويركِّز على العوامل الروحيَّة والمعنويَّة في مواجهة التحديات.

٦. اقتراح مشروع قانون وطني يُعنى بحماية قيم الفتوى وتوثيقها في ذاكرة الدولة العراقيَّة كتراث معنوي وركيزة أمنيَّة.

٧. تشجيع الإنتاج الثقافي والفني (أفلام، مسرحيات، روايات) التي توثق البعد الإنساني والنهضوي للفتوى في مواجهة الإرهاب والفساد.

٨. إطلاق منتديات حواريَّة شبابيَّة تحت عنوان "من فتوى الدِّفاع إلى نهضة الأجيال"، لتعزيز الإفادة من هذه التجربة في بناء الحاضر وصناعة المستقبل.

الهوامش

١ – مجلة لارك كليَّة الأدب، جامعة واسط، (فتوى الجهاد الكفائي وقانون الحشد الشعبي ودورها في القضاء على الإرهاب)، المؤلفون: الباحثة وجناء رزاق عبد النصيراوي، جامعة قم – كلية القانون –قسم القانون العام.

٢ – مُحمّد بن عبد الوهاب (١١١٥ هـ – ١٢٠٦ هـ) (١٧٠٣م – ١٧٩١ م)، مؤسِّس الحركة الوهابيَّة التي مركزها بلاد الحرمين، تحالف مع محمَّد بن سعود أمير إحدى القبائل النجديَّة لتأسيس حكم تكون الإمامة فيه للأوَّل والإمارة للأخير.

٣ – الشيخ جعفر بن خضر بن يحيى بن مطر بن سيف الجناجي النجفي المعروف بالشيخ جعفر كاشف الغطاء (١١٥٦ هـ – ١٢٢٨ هـ)، هو رجل دين وفقيه شيعي عراقي من مشاهير فقهاء..

٤ – منهجُ الرَّشاد لِمَن أراد السَّداد هو كتاب كلامي في نقد الأفكار الوهابيَّة، ألفه كاشف الغطاء (١١٥٦ ـ ١٢٢٨هـ)، كُتب هذا العمل ردًّا على رسالة عبد العزيز بن سعود أحد ملوك.

٥ – موقع ويكي شيعة، فتوى الجهاد الكفائي.

٦ – موسوعة فتوى الدفاع الكفائي، دراسة في الأهميَّة والمضامين الجزء الثالث أنموذجًا، أ. د. مقدام عبد الحسن الفياض.

٧ – "كيف كان لقاء علي السيستاني وانطباعه عنه.. بابا الفاتيكان يوضح". مؤرشف من الأصل في ٢٠٢٤-٠٨-١٧. أطلع عليه بتاريخ ٢٠٢٤-١٢-١٨.

٨ – جمال خاشقجي on Twitter: "هاهو مقالي الذي دعوت فيه منح السيستاني جائزة خدمة الإسلام ونشرته بالوطن ٢٠٠٥ لتحريمه الاقتتال الطائفي. http: / /t.co /EdTveGUHrN" نسخة محفوظة ١١ أكتوبر ٢٠١٨ على موقع واي باك مشين.

٩ – موقع ويكيبيديا موسوعة الحرة (علي السيستاني).

١٠ – ''فتاوى المرجعية ودورها في حفظ الكرامة والهوية فتوى الجهاد الكفائي للسيد علي الحسيني السيستاني'دام ظله' أنموذجًا''، بقلم طالب الدكتوراه: م.م. محمد حسن يوسف الذبحاوي، مراجعة: أ.د. عدي حاتم عبد الزهرة المفرجي.

١١ – العربيَّة، نشر في: ١٤ يونيو ٢٠٢١: ٠٨:٢٠ م، آخر تحديث: ١٤ يونيو ٢٠٢١: ٠٩:٢٠ م، عنوان الموضوع: "الحشد الشعبي".. عصيانٌ مدنيٌ وديني!-زمنيَّة الفتوى.

١٢ – موقع مكتب سماحة المرجع الديني الأعلى السيِّد علي الحسيني السيستاني، خطبة النصر من الصحن الحسيني الشريف لممثِّل المرجعيَّة الدِّينية العليا في كربلاء المقدَّسة فضيلة العلَّامة الشيخ عبد المهدي الكربلائي في (٢٦/ ربيع الأول/ ١٤٣٩هـ) الموافق (١٥/ ١٢/ ٢٠١٧م)، استفتاء حول استمرار فتوى الدفاع الكفائي إلى حين الانتصار التام على الإرهابيين.

١٣ – أ.م.د صلاح محمَّد حسين شمسه، جامعة الكوفة- كلية التربية الأساسيَّة، مباني الجهاد

الدفاعي في الفقه الإسلامي فتوى الجهاد الكفائي للسيِّد السيستاني أُنموذجا.
١٤ – أقلام: موقع الكتروني مقالة للكاتب حسن الجوادي: ٢٠٢٢/ ١٠/ ١٩.
١٥ – موقع ابنا نيوز: ٢٣ فبراير ٢٠١٨: المقال بعنوان: سفير السلام السويدي: فتوى الجهاد الكفائي صنعت السلام في العراق.
١٦ – موقع مكتب سماحة المرجع الديني الأعلى السيِّد علي الحسيني السيستاني، نصائح وتوجيهات للمقاتلين في ساحات الجهاد (١٢/ ٢/ ٢٠١٥).
١٧ – موقع وكالة الأنباء العراقيَّة، موضوع بعنوان: (الجهاد الكفائي.. فتوى رسمت منعطفًا تاريخيًا وسياسيًا لعراق جديد).
١٨ – الرئيسية / المحفوظات / مجلد ٢ عدد ٦٩(C) (٢٠٢٣): أعمال المؤتمر العلمي الدولي الحادي والعشرون لمركز دراسات الكوفة وتحت عنوان (ذاكرة الحشد الشعبي وأمن المجتمع ثنائية الحياة والبناء) – عدد خاص بتاريخ ٢٧ – ٢٨ / آذار / ٢٠٢٢ م / د. علياء سعيد إبراهيم، شعبة المكتبات والاصدارات / العتبة العلوية المقدسة، مجلة مركز دراسات الكوفة–جامعة الكوفة، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي.
١٩ – مؤسَّسة الهدى للدراسات الاستراتيجية، أهميَّة فتوى الجهاد الكفائي في مواجهة الإرهاب، الباحث: د . حيدر محسن الشّويليّ، جامعة ذي قار _ كلية التربية للعلوم الصرفة.
٢٠ – موقع العتبة الحسينية، موضوع بعنوان: (صدى فتوى جهاد (الوجوب الكفائي) بعد عام على انطلاقها)، ٠٨/ ٠٦/ ٢٠١٥.
٢١ – (قراءة في كتاب.. الأبعاد السياسية والاجتماعية لفتوى الجهاد الكفائي)، ١٢:٥٥ PM – ٢٠١٦-٠٢-٢٨، للمؤلف الكاتب والباحث السياسي (عمار ياسر العامري) كتابه الثالث (الأبعاد السياسية والاجتماعية لفتوى الجهاد الكفائي) عن مؤسَّسة أديان للطباعة في السماوة لعام ٢٠١٦، وقد خرج الكتاب عن (١٢٠) صفحة من القطع الصغير، وكان الكتاب يحتوي على مقدِّمة وثلاث مباحث واستنتاجات فضلًا عن الملاحق، معتمدًا بذلك على (ثلاثون مصدر) متنوع من كتب ومراجع، وأيضًا خطب ومحاضرات، ومقالات ودراسات ومراسلات.
٢٢ – موقع مركز حمورابي للبحوث والدراسات الاستراتيجية، موضوع البحث: (جدل العلاقة بين مفهوم الحرب الشعبية وفتوى الجهاد الكفائي في فكر المرجع الديني الأعلى سماحة آية الله العظمى السيد علي السيستاني دام ظله: الكاتب: اللواء الركن المتقاعد الدكتور عماد علّو الربيعي الخبير في شؤون العسكريَّة والاستراتيجية، كانون الأول ٢٠٢٣.
٢٣ – الشيخ الصدوق، علل الشرائع: ١/ ٢١٢، سنة الطبع: ١٣٨٥ – ١٩٦٦ م، الناشر منشورات المكتبة الحيدرية ومطبعتها – النجف الأشرف، تحقيق وتقديم: السيِّد محمَّد صادق بحر العلوم.

المصادر والراجع

* مُحمّد بن عبد الوهاب (١١١٥ هـ - ١٢٠٦ هـ) (١٧٠٣م - ١٧٩١ م)، مؤسس الحركة الوهابيّة التي مركزها بلاد الحرمين، تحالف مع محمد بن سعود أمير إحدى القبائل النجديّة لتأسيس حكم تكون الإمامة فيه للأول والإمارة للأخير.

* الشيخ جعفر بن خضر بن يحيى بن مطر بن سيف الجناجي النجفي المعروف بالشيخ جعفر كاشف الغطاء (١١٥٦ هـ - ١٢٢٨ هـ)، هو رجل دين وفقيه شيعي عراقي من مشاهير فقهاء..

* منهجُ الرَّشاد لِمَن أراد السَّداد هو كتاب كلامي في نقد الأفكار الوهابية، ألفه كاشف الغطاء (١١٥٦ ـ ١٢٢٨هـ)، كُتب هذا العمل ردا على رسالة عبد العزيز بن سعود أحد ملوك.

* مجلة لارك كلية الادب، جامعة واسط، (فتوى الجهاد الكفائي وقانون الحشد الشعبي ودورها في القضاء على الإرهاب)، المؤلفون: الباحثة وجناء رزاق عبد النصيراوي، جامعة قم-كلية القانون -قسم القانون العام.

* موقع ويكي شيعة، فتوى الجهاد الكفائي.

* موسوعة فتوى الدِّفاع الكفائي، دراسة في الأهميَّة والمضامين الجزء الثالث انموذجًا، أ. د. مقدام عبد الحسن الفياض.

* "كيف كان لقاء علي السيستاني وانطباعه عنه.. بابا الفاتيكان يوضح". مؤرشف من الأصل في ٢٠٢٤-٠٨-١٧. اطلع عليه بتاريخ ٢٠٢٤-١٢-١٨.

* جمال خاشقجي on Twitter: "ها هو مقالي الذي دعوت فيه منح السيستاني جائزة خدمة الاسلام ونشرته بالوطن ٢٠٠٥ لتحريمه الاقتتال الطائفي. http://t.co/EdTveGUHrN" نسخة محفوظة ١١ أكتوبر ٢٠١٨ على موقع واي باك مشين.

* موقع ويكيبيديا موسوعة الحرة (علي السيستاني).

* ''فتاوى المرجعيَّة ودورها في حفظ الكرامة والهُويَّة فتوى الجهاد الكفائي للسيد علي الحسيني السيستاني'دام ظله' أنموذجًا''، بقلم طالب الدكتوراه: م.م. محمد حسن يوسف الذبحاوي، مراجعة: أ.د. عدي حاتم عبد الزهرة المفرجي.

* العربية، نشر في: ١٤ يونيو: ٢٠٢١: ٢٠:٠٨ م، آخر تحديث: ١٤ يونيو: ٢٠٢١: ٢٠:٠٩ م، عنوان الموضوع: "الحشد الشعبي".. عصيانٌ مدنيٌ ودينيٌ!-زمنية الفتوى.

* موقع مكتب سماحة المرجع الديني الاعلى السيِّد علي الحسيني السيستاني، خطبة النصر من الصحن الحسيني الشريف لممثّل المرجعيَّة الدينيَّة العليا في كربلاء المقدّسة فضيلة العلاّمة الشيخ عبد المهدي الكربلائي في (٢٦/ ربيع الأول/ ١٤٣٩هـ) الموافق (١٥/ ١٢/ ٢٠١٧م)، استفتاء حول استمرار فتوى الدِّفاع الكفائي إلى حين الانتصار التام على الإرهابيين.

* أ.م.د صلاح محمد حسين شمسه، جامعة

الكوفة- كلية التربية الأساسية، مباني الجهاد الدِّفاعي في الفقه الإسلامي فتوى الجهاد الكفائي للسيد السيستاني أنموذجا.
* أقلام: موقع الكتروني مقالة للكاتب حسن الجوادي: ٢٠٢٢/ ١٠/ ١٩.
* موقع ابنا نيوز: ٢٣ فبراير ٢٠١٨: المقال بعنوان: سفير السلام السويدي: فتوى الجهاد الكفائي صنعت السلام في العراق.
* موقع مكتب سماحة المرجع الديني الاعلى السيِّد علي الحسيني السيستاني، نصائح وتوجيهات للمقاتلين في ساحات الجهاد (١٢/ ٢/ ٢٠١٥).
* موقع وكالة الانباء العراقيَّة، موضوع بعنوان: (الجهاد الكفائي.. فتوى رسمت منعطفًا تاريخيًا وسياسيًا لعراق جديد).
* الرئيسية / المحفوظات / مجلد ٢ عدد ٦٩(C) (٢٠٢٣): اعمال المؤتمر العلمي الدولي الحادي والعشرون لمركز دراسات الكوفة وتحت عنوان (ذاكرة الحشد الشعبي وأمن المجتمع ثنائية الحياة والبناء) - عدد خاص بتاريخ ٢٧ - ٢٨ / آذار / ٢٠٢٢ م / د.علياء سعيد إبراهيم، شعبة المكتبات والاصدارات / العتبة العلوية المقدسة، مجلة مركز دراسات الكوفة-جامعة الكوفة، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي.
* موقع العتبة الحسينية، موضوع بعنوان: (صدى فتوى جهاد (الوجوب الكفائي) بعد عام على انطلاقها)، ٠٨/ ٠٦/ ٢٠١٥.
* موقع مركز حمورابي للبحوث والدراسات الاستراتيجية، موضوع البحث: (جدل العلاقة بين مفهوم الحرب الشعبية وفتوى الجهاد الكفائي في فكر المرجع الديني الأعلى سماحة آية الله العظمى السيِّد علي السيستاني دام ظله: الكاتب: اللواء الركن المتقاعد الدكتور عماد علّو الربيعي الخبير في شؤون العسكرية والاستراتيجية،كانون الأول ٢٠٢٣.
* الشيخ الصدوق، علل الشرائع: ١/ ٢١٢، سنة الطبع: ١٣٨٥ - ١٩٦٦ م، الناشر منشورات المكتبة الحيدرية ومطبعتها - النجف الأشرف، تحقيق: تحقيق تقديم: السيِّد محمد صادق بحر العلوم.
* مؤسسة الهدى للدراسات الاستراتيجية، أهميَّة فتوى الجهاد الكفائي في مواجهة الإرهاب، الباحث :د . حيدر محسن الشّويليّ، جامعة ذي قار-كلية التربية للعلوم الصرفة.
* (قراءة في كتاب.. الابعاد السياسيَّة والاجتماعيَّة لفتوى الجهاد الكفائي)، ١٢:٥٥ PM - ٢٠١٦-٠٢-٢٨، للمؤلف الكاتب والباحث السياسي (عمار ياسر العامري) كتابه الثالث (الإبعاد السياسيَّة والاجتماعيَّة لفتوى الجهاد الكفائي) عن مؤسسة أديان للطباعة في السماوة لعام ٢٠١٦، وقد خرج الكتاب عن (١٢٠) صفحة من القطع الصغير، وكان الكتاب يحتوي على مقدمة وثلاث مباحث واستنتاجات فضلًا عن الملاحق، معتمدًا بذلك على (ثلاثون مصدر) متنوع من كتب ومراجع، وأيضا خطب ومحاضرات، ومقالات ودراسات ومراسلات.

المرجعيَّة حصن المؤمنين المنيع: الشيخ كاشف الغطاء والسيِّد السيستاني أنموذجًا

الشيخ الدكتور حميد البغدادي
أستاذ البحث الخارج في الفقه والأصول / الحوزة العلميَّة في قم المقدَّسة

ملخَّص البحث

قال تعالى: ﴿**وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَٰذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا**﴾ النساء: ٧٥.

وعن أمير المؤمنين عليه السلام: (**أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ الْجِهَادَ بَابٌ مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ، فَتَحَهُ اللَّهُ لِخَاصَّةِ أَوْلِيَائِهِ، وسَوَّغَهُمْ كَرَامَةً مِنْهُ لَهُمْ ونِعْمَةٌ ذَخَرَهَا، والْجِهَادُ هُوَ لِبَاسُ التَّقْوَى، ودِرْعُ اللَّهِ الْحَصِينَةُ وجُنَّتُهُ الْوَثِيقَةُ، فَمَنْ تَرَكَهُ رَغْبَةً عَنْهُ أَلْبَسَهُ اللَّهُ ثَوْبَ الذُّلِّ وشَمِلَهُ الْبَلَاءُ**) الكافي، ٩: ٣٦٠.

الجهاد في سبيل الله ذروة سنام الإسلام، وناشر لوائه، وحامي حماه، يعتبر الجهاد والقتال في سبيل الله من الأحكام الشرعيَّة المهمَّة ومن أركان الإسلام، ووجوبه من ضروريَّات الدين ومن بديهيَّات أحكام الإسلام، وقد دلَّ على أصل وجوبه آيات كثيرة في القرآن الكريم، وروايات متواترة عن النبي صلى الله عليه وآله وأئمَّة أهل البيت عليهم السلام.

وتعرَّض له الفقهاء في تضاعيف كتبهم وبحثوه في دراساتهم الاستدلاليَّة، وبات وجوب الجهاد من الأحكام الواضحة في شريعتنا عند جميع المسلمين، يقول الشيخ يحيى بن سعيد الحلّي: "**أمَّا وجوبه فمن الكتاب، وممَّا علم من دين النبي** صلى الله عليه وآله **ضرورة**"[1].

والجهاد ابتدائي ـ **قتال يبدأه المسلمون ضد غيرهم لدعوتهم إلى الإسلام** ـ **ودفاعي**

ـ قتال لرد من يريد القضاء على الدين الإسلامي أو التعدي على الأراضي الإسلاميَّة ـ وكلاهما من سنخ الوجوب الكفائي **ـ إذا قام به بعض المسلمين سقط عن الباقين، وإذا تركه الجميع استحقوا العقاب جميعًا ـ** فلابد من حفظ الشريعة الإسلاميَّة والدفاع عنها، وكذلك دفاع المؤمن عن دينه وأرضه ووطنه، وكلّ شيءٍ أمرته الشريعة أو العقل بالدفاع عنه، وبذل النفس والنفيس في سبيله.

وللجهاد شروط شرعيَّة لابدَّ من تحققها، ويترتب عليه واجبات وأحكام.

وتعدُّ المرجعيَّة الدينيَّة للشيعة الإماميَّة واتباع مذهب أهل البيت ﷺ من بداية عصر الغيبة الكبرى، وإلى يومنا هذا ـ الملجئ الآمن والحصن المنيع والواقي للأمَّة وللمؤمنين خصوصًا عند اشتداد الأزمات والأوقات الصعبة، فهي صوت العقل الراجح والكلمة الرشيدة، والموقف الشجاع والواعي، الذي يحقِّق الاعتدال والإصلاح في المجتمع، الذي لا يستطيع القيام بذلك سواها من حيث الإرشاد والإعداد الفكري، والتعبئة الشاملة والدعم اللوجستي، والمعنوي على وفق متطلبات المرحلة، واقتضاء الظروف السياسيَّة والاجتماعيَّة والاقتصاديَّة، وهذا ما نجده بشكل واضح من خلال الدور المتميِّز لها على طول التأريخ.

تعدُّ الحَوزة العلميَّة حلقة وصل بين أئمّة أهل البيت ﷺ والمؤمنين. وحوزة النجف هي الجامعة الكبرى للشيعة اهل البيت ﷺ، تخرّج العشرات من العلماء والباحثين والخطباء والمجتهدين على مدى عمرها وسنينها المتوالية، وعلى الرغم من ظروفها الصعبة في الغالب مختلفة، لم تتخلَّف عن هدفها الأساس فهي المركز في الحركة الفقهيَّة الحوزويَّة والاجتماعيَّة والجهاديَّة عند الشيعة، ومن أولى أولويَّاتها، الدفاع عن الوطن، وحمايته من الأخطار التي يتعرَّض لها.

وقد ظهر على امتداد هذه المدَّة ـ الغيبة الكبرى ـ قادة من الطراز الأوَّل، استوعبت حياتهم جميع آمال الأمَّة وآلامها، ومن هؤلاء الشيخ جعفر الجناجي النجفي المعروف بكاشف الغطاء (١١٥٦ـ ١٢٢٨هـ)، صاحب النفوذ الاجتماعيّ

والسِّياسيّ الكبيرين، الذي تسنَّم مقاليد المرجعيَّة العُليا بعد وفاة السيِّد مهدي بحر العلوم (١١٥٥ـ ١٢١٢هـ)، فعندما هاجم الإرهابيين والتكفيريين الوهابيَّة العراق وغزوا مدينتي كربلاء والنجف الأشرف وأظهرو وحشيَّة وبربريَّة، نهض الشيخ جعفر مدافعًا عن المدينة ومقدَّساتها وأهلها، وأفتى بوجوب التصدِّي لهم، وتسليح العلماء والطلاب وبقيَّة أهالي المدينة، وكان رحمه الله في مقدِّمتهم حاملًا سلاحه بيده، ولعلَّه أوَّل مجتهد قاد بنفسه جهادًا دفاعيًّا ضد أعداء الإسلام.

وفي عصرنا هذا كانت نقطة التحول التي أدهشت العالم أجمع هي فتوى الدفاع الدفاعي الكفائي التي أطلقها المرجع الأعلى السيِّد علي الحسيني السيستاني مد ظله في (١٣ حزيران عام ٢٠١٤ م)، التي دعا فيها أبناء العراق إلى التطوع لحمل السلاح بوجه عصابات داعش بعد اجتياحهم أجزاء واسعة من العراق، وقد كان العراق حينها ذاهب إلى نفقٍ مظلم لولا فتواه المباركة التي قلبت المعادلة من خلال امتثال الجماهير العراقيَّة، التي هرعت وقدمت من كلِّ المحافظات العراقيَّة لقتال الأعداء، فوقف أبناء العراق للدفاع عن وطنهم بعد أنْ راهن الجميع على عدم قدرتهم من الخروج من الأزمة، والمنهج المعتمد هو المنهج التحليلي الاستقرائي على وفق الاتِّجاه الاجتهادي المتعارف في الحوزات العلميَّة.

الكلمات المفتاحيَّة: الحكم الشرعي، الجهاد، الدفاع، الدفاع الكفائي، الشروط، الواجبات، الأحكام، الشيخ كاشف الغطاء، السيِّد السيستاني.

Abstract

The Almighty said: And why should ye not fight in the cause of Allah and of those who, being weak, are ill-treated (and oppressed)? Men women and children whose cry is: “Our Lord! rescue us from this town whose people are oppressors; and raise for us from Thee one who will protect; and raise for us from Thee one who will help!” (Quran 4:75). And from the Commander of the Faithful (P.B.U.H.): “Now then: Verily, Jihad is a gate among the gates of Paradise, which Allah has opened for the most distinguished of His intimate servants and has permitted them to enter it as a generous favor from Him and a bestowed blessing He has stored up. Jihad is the garb of piety, the impregnable shield of Allah, and His most reliable protection. Therefore, whoever abandons it out of aversion will be clothed by Allah in the garment of abasement and encompassed by tribulation.” (Al-Kafi, 9: 360).

Jihad in the way of Allah is the pinnacle of Islam, the spreader of its banner, and the protector of its sanctity . Jihad and fighting in the way of Allah are considered among the most important legal rulings and pillars of Islam. Its obligation is a necessity of the religion and an axiom of Islamic rulings, evidenced by numerous Quranic verses and consecutive narrations from the Prophet (P.B.U.H.) and the Imams of the Ahl al-Bayt (P.B.U.T.).

Jurists have addressed this in their books and deductive studies, making the obligation of Jihad a clear ruling in our Sharia for all Muslims. Sheikh Yahya bin Saeed Al-Hilli states: “As for its obligation, it is known from the Quran and from the religion of the Prophet (P.B.U.H.) by necessity.”

Jihad is categorized as Initial: fighting initiated by Muslims against others to invite them to Islam; and Defensive: fighting to repel those who wish to eliminate the Islamic religion or encroach

upon Islamic lands. Both are obligatory. Sufficient: If performed by some, the obligation falls from the rest; if abandoned by all, all deserve punishment. Therefore, the Islamic Sharia must be preserved and defended, just as a believer must defend their religion, land, homeland, and everything the Sharia or reason commands them to protect, sacrificing oneself and one's valuables for its sake. Jihad has legal conditions that must be met, entailing specific duties and rulings.

The Religious Authority of the Imami Shia and the adherents of the Ahl al-Bayt (P.B.U.T.)—from the beginning of the Major Occultation to the present day—is considered the haven and impregnable fortress for the Ummah and the believers, especially during intense crises. It is the voice of the preponderant reason, the rational word, and the courageous, conscious stance that achieves moderation and reform in society. No other entity, such as the Religious Authority, can fulfill this role in terms of guidance, intellectual preparation, comprehensive mobilization, and logistical and moral support, as required by the phase and prevailing political, social, and economic circumstances. Its distinguished role throughout history clearly evidences this.

The Religious Seminary represents the link between the Imams of the Ahl al-Bayt (P.B.U.T.) and the believers. The Religious Seminary of Najaf is the grand university for the Shia of Ahl al-Bayt (P.B.U.T.), graduating dozens of scholars, researchers, orators, and Mujtahids over the years. Despite often complex and varying circumstances, it has never wavered from its primary goal: serving as the center of jurisprudential, social, and jihadist movements for the Shia. Its top priority remains the Defence of the homeland and its protection from dangers.

Throughout the Major Occultation, the top-tiered leaders have

emerged and absorbed the hopes and pains of the Ummah. Among them was Sheikh Ja'far al-Janaji al-Najafi, known as Kashif al-Ghita (1156–1228 AH), a figure of immense social and political influence who assumed the Supreme Religious Authority after Seid. Mahdi Bahr al-Ulum. When Wahhabi terrorists and Takfiris attacked Iraq, invading Karbala and Najaf with savagery, Sheikh Ja'far rose to defend the city, its sanctities, and its people. He issued an Edict making it obligatory to confront them and arm the scholars, students, and residents. He stood at the forefront, weapon in hand; arguably the first Mujtahid to personally lead a defensive Jihad against the enemies of Islam.

In our contemporary era, the turning point that astonished the world was the Sufficient Defence Edict issued by the Supreme Authority, Sayyid Ali Al-Husseini Al-Sistani (May Allah prolong his life) on June 13, 2014. He called upon the sons of Iraq to volunteer to bear arms against the ISIS gangs after they swept through large parts of Iraq. Iraq was heading into a dark tunnel, where it was not for his blessed Edict, which flipped the equation through the compliance of the Iraqi masses, who rushed from all governorates to fight the enemies. The sons of Iraq stood to defend their homeland after everyone had bet on their inability to exit the crisis.

Methodology: The research employs an analytical-inductive approach, consistent with the deductive method commonly used in religious seminaries.

Keywords: Legal Ruling, Jihad, Defence, Sufficient Defence, Conditions, Duties, Rulings, Sheikh Kashif al-Ghita, Sayyid Al-Sistani.

المبحث الأوَّل: تعاريف ومصطلحات

المطلب الأوَّل: الحكم لغة واصطلاحًا

الحكم لغة

للحكم في اللغة معانٍ متعدِّدة من القضاء والمنع والرد والتوثيق. ويرى ابن فارس (ت: ٣٩٥ هـ) أنَّ له أصلًا واحدًا ترجع المعاني كلّها إلى هذا الأصل الواحد.

يقول ما نصُّه: "**الحاء والكاف والميم أصلٌ واحد، وهو المْنع. وأوَّل ذلك الحُكم، وهو المَنْع من الظُّلْم. وسمّيَتْ حَكَمة الدابَّة؛ لأنَّها تمنعُها يقال: حَكَمْت الدَّابةَ وأحْكَمتها. ويقال: حكَمت السَّفيهَ وأحكمتُه، إذا أخذتَ على يديه. والحِكمة هذا قياسُها؛ لأنَّها تمنع من الجهل**"[٢]. وقد ذكر هذا المعنى الخليل الفراهيدي، وأضاف: أنَّ كلَّ شيءٍ منعته من الفساد فقد حكمته[٣].

الحكم اصطلاحًا

الحكم في القرآن استعمل بمعنيين: الحُكم التكويني والحُكم التشريعي، يقول صاحب الميزان: "**والحكم إذا نُسب إلى الله سبحانه فإن كان في تكوين أفاد معنى القضاء الوجودي، وهو الإيجاد الذي يساوق الوجود الحقيقي والواقعيَّة الخارجيَّة بمراتبها، قال تعالى: ﴿وَاللهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ﴾ [الرعد: ٤١. ... وإذا نسب إلى الأنبياء عليهم السلام أفاد معنى القضاء، وهو من المناصب الإلهيَّة التي أكرمهم بها**"[٤].

ولا يستعمل الحكم في إصطلاح علم الأصول إلا موصوفًا بالشرعي أو بالكلمة المناسبة له، فيقال الحكم الشرعي أو الحكم المولوي أو الحكم الإرشادي[٥] وغيرها.

وعرَّفه المشهور بأنَّه: "**خطاب الشارع أو خطاب الله سبحانه وتعالى المتعلق بأفعال المكلفين**"[٦].

وعرَّفه الشهيد محمَّد باقر الصدر (ت ١٤٠٠ هـ) بأنَّه: "**التشريع الصادر من الله تعالى؛ لتنظيم حياة الإنسان وتوجيهه**"[٧].

ويصنَّف الحكم إضافة إلى الحكم التشريعي:

١ ـ الحكم القضائي: وهو الحكم الصادر من المعصوم أو نائبه من حيث منصب القضاء، لا من حيث منصب التشريع، معتمدًا على أساس البينة واليمين والإقرار وما شاكلها.

٢ ـ الحكم الولائي: أو المولوي أو الإجرائي التنفيذي، وهو الحكم الصادر من الحاكم من حيثيَّة كونه واليًا وحاكمًا، لا مشرِّعًا ولا قاضيًا. وهو عبارة عن تطبيق الحاكم للتشريع الثابت بتوسط الموضوعات المحللة في أنفسها، فيلزم الحاكم عامَّة الناس بأحكام في تلك الموضوعات لمصالح معيَّنة"[٨].

المطلب الثاني: الجهاد لغةً واصطلاحًا:

الجهاد لغةً:

إمَّا مشتق[٩] من الجَهد بالفتح لغةً أي التعب والمشقة، أو مشتق من الجُهد بالضم بمعنى الوسع والطاقة[١٠].

الجهاد اصطلاحًا:

عرَّف الشهيد الأوَّل (٧٣٤ ـ ٧٨٦ هـ) الجهاد أنَّه: "**بذل النفس والمال والوسع في إعلاء كلمة الإسلام وإقامة شعائر الإيمان**"[١١].

وأراد بالأوّل إدخال جهاد المشركين، وبالثاني جهاد الباغين[١٢]، وهو غير مانع، فإنّ إعزاز الدّين أعمّ من كونه بالجهاد المخصوص[١٣].

فعرَّفه الشهيد الثاني (٩١١ ـ ٩٦٥ هـ) بما يلي: "**بذل النفس وما يتوقف عليه من المال في محاربة المشركين أو الباغين على وجه مخصوص**"[١٤].

وعرَّف السيِّد الخوئي (١٣١٧ - ١٤١٣ هـ) الجهاد بأنَّه: "**القتال لإعلاء كلمة الإسلام وإقامة شعائر الإيمان**"[١٥].

قال الشيخ محمَّد حسن النجفي (ت ١٢٦٦هـ) في الجواهر: "**إلَّا أنَّ الأمر في أمثال هذه التعاريف التي لا يراد منها إلا التمييز في الجملة سهل**"[١٦]، فالجهاد ليس حقيقة

شرعيَّة ولا حقيقة متشرعيَّة، وقد استخدمه القرآن الكريم والروايات الشريفة في المعنى اللغوي المتداول بين العرب؛ إذ إنَّهم يطلقون لفظ الجهاد على القتال، واشترطت الشريعة الغراء في القتال أن يكون لخصوص إعلاء كلمة الله وإعزاز الدين.

الجهاد في القرآن الكريم

وردت ثلاث آيات مكيَّة في القرآن ذكر فيها "الجهاد"، والمعنى فيها منصرف إلى غير القتال أي الجهاد بالقول ـ بالحجة والبرهان والإقناع، وقمع هوى النفس، وكبح الشهوات، وهو ومن ذلك قوله تعالى:﴿وجاهدهم به جهادا كبيرًا﴾ [الفرقان:٥٢].

كقوله تعالى: ﴿**فَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَجَاهِدْهُمْ بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا**﴾ [الفرقان: ٥٢].

وكقوله تعالى: ﴿**وَمَنْ جَاهَدَ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ**﴾ [**العنكبوت: ٦**]. فهو جهاد بالعمل الصالح. من قبيل قوله تعالى: ﴿**من عمل صالحًا فلنفسه**﴾ [فصلت:٤٦]، ونحوه، قوله عزَّ وجلَّ: ﴿**والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا**﴾ [العنكبوت:٦٩].

جهاد الدفاع والجهاد بالقوة:

وفي المدينة نزلت آية الإذن في القتال، منها:

﴿**أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا، وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ، الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ! وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ**﴾ [الحج: ٣٩- ٤٠]. وقيل: إنَّها أوَّل آية شرعت الجهاد، وهي صريحة بأنَّها حرب دفاعيَّة لمواجهة الظُّلم.

قال تعالى: ﴿**وَقَاتِلُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلاَ تَعْتَدُواْ إِنَّ اللّهَ لاَ يُحِبِّ الْمُعْتَدِينَ**﴾ [البقرة: ١٩٠].

وقال تعالى: ﴿ومالكم **لا تقاتلون في سبيل الله والمستضعفين من الرجال والنساء والولدان الذين يقولون ربنا أخرجنا من هذه القرية الظالم أهلها**﴾ [النساء: ٧٥].

وقال تعالى: ﴿**لا يستوي القاعدون من المؤمنين غير أولي الضرر والمجاهدون في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم فضل الله المجاهدين بأموالهم وأنفسهم على القاعدين درجة وكلا وعد الله الحسنى وفضل الله المجاهدين على القاعدين أجرا عظيما**﴾ [النساء:٩٥]، بدليل قوله تعالى: ﴿بأموالهم **وأنفسهم**﴾. ومن هذا القبيل، قوله سبحانه: ﴿وتجاهدون **في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم**﴾ [الصف:١١].

وأكثر لفظ (الجهاد) في القرآن جاء على حسب هذا المعنى أي القتال. وعلى الرغم من السماح بالقتال إلَّا أنَّ القرآن استنكر الغدر بالعدو أو اغتيال أفراده من دون مواجهة صريحة تجعل كلًا من المسلم والكافر على علم بنيَّة الآخر في مقاتلته. قال تعالى: ﴿**وَإِمَّا تَخَافَنَّ**﴾ **تعلمن** ﴿**مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةً فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ**﴾ **أعلمهم أنَّك نقضت عهدهم لئلا يتوهَّموا منك الغدر**، ﴿**إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ**﴾ [الأنفال: ٥٨].

من أهداف الجهاد:

١- رد الاعتداء على المسلمين: قال تعالى: ﴿**وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين**﴾ [البقرة: ١٩٠]، وقال تعالى: ﴿**ألا تقاتلوا قومًا نكثوا أيمانهم وهو بإخراج الرسول وهم بدؤكم أول مرة أتخشوهم فالله أحق أن تخشوه إن كنتم مؤمنين**﴾ [التوبة: ١٣].

٢- تأديب المتمردين والناكثين للعهود: قال تعالى: ﴿**وإن نكثوا أيمانهم من بعد عهدهم وطعنوا في دينكم فقاتلوا أئمة الكفر إنهم لا أيمان لهم لعلهم ينتهون ألا تقاتلون قومًا نكثوا أيمانهم وهموا بإخراج الرسول**﴾ [التوبة: ١٢ ـ ١٣].

٣- الدفاع عن الأنفس والأعراض والأوطان والأموال، قال تعالى: ﴿**أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وإن الله على نصرهم لقدير الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق إلا أن يقولوا ربنا الله**﴾ [الحج: ٣٩-٤٠].

ولعلَّ من الأمور الواضحة والأساسيَّة: رفض الإسلام والأديان الإلهيَّة العدوان والظلم: ﴿**وَلاَ تَعْتَدُواْ إِنَّ اللّهَ لاَ يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ**﴾ **[البقرة: ١٩٠]**،

واعـتراف الأديـان السـماوية والأعـراف البشريَّـة بحـقِّ الأفـراد والأقـوام والأمـم بالدفـاع عـن النفـس والمـال إذا تعرضـت للاعتـداء والظلـم. وبالتـالي فالحـرب ـ **لدفـع الظلـم والعـدوان واسـترجاع الحقـوق، وحفـظ الاسـتقلال وحمايـة الأمـوال والأنفـس والأعـراض** ـ هـي حـرب شرعيَّـة ومقدَّسـة في نظـر الديـن والإنسـانيَّة بشـكل عـام. قـال تعـالى: ﴿**فَإِن قَاتَلُوكُـمْ فَاقْتُلُوهُـمْ**﴾ [**البقـرة: ١٩١**]. وقـال تعالى: ﴿**أُذِنَ لِلَّذِيـنَ يُقَاتَلُـونَ بِأَنَّهُـمْ ظُلِمُـوا وَإِنَّ اللَّهَ عَـلَى نَصْرِهِـمْ لَقَدِيـرٌ**﴾ [**الحـج: ٣٩**].

المطلب الثالث: الواجب وأقسامه

الواجب: ما يكون في فعله الثواب وفي تركه العقاب.

ويقسم بلحاظ الشخص أو الجهة المُلزَمة بفعل وأداء الواجب:

أ ـ **الواجب العيني**: الواجب العيني: هو ما طلب الشارع فعله من كلِّ فردٍ من أفراد المكلّفين، أي: هو ما يتعلَّق بكلِّ مكلَّف بشخصه، ولا يسقط بفعل الغير، مثل: الصلاة، والصوم، والحج، والخمس، والزكاة وكثير من العبادات الأخرى التي هي من الواجبات العينيَّة[١٧].

ب ـ **الواجب الكفائي**: الواجب المطلوب من مجموع الناس بحيث إذا قام به بعض المكلفين كفى هذا، ولم يعد واجبًا على الآخرين، كالجهاد والتفقه في الدين وتعلم الطب والهندسة والعلوم التي لا غنى للمجتمع عنها، فإذا لم يقم به بعض المكلفين بواجب الكفاية، أثم الجميع.

خصائص الواجب الكفائي

لابدَّ أن تتوفَّر في الواجب الكفائي ثلاث خصائص رئيسة:

الخصيصة الأولى: لو تركه الجميع، فالكلُّ يكون عاصون ويستحقون العقاب.

الخصيصة الثانية: لو فعله من به الكفاية سقط عن الآخرين أيضًا.

الخصيصة الثالثة: لو فعله الجميع دفعة واحدة أو متدرجًا إذا كان الواجب قابلًا للتكرار فالكل يُعدُّ ممتثلًا[١٨].

نظريات تفسير الواجب الكفائي

النظريَّة الأولى: افتراض وجود وجوب بالنسبة إلى جميع المكلفين على نحو الاستغراق، ويتصور بصور عدَّة:

الصورة الأولى: ـ وهي الصور القريبة إلى الذوق والنفس ـ أن يكون هناك تكليف موجَّه إلى جميع المكلَّفين. ويكون المتعلَّق هو الجامع بين فعله وفعل غيره.

وهو تكليف معقول؛ لانَّ هذا الجامع وإن كان جامعًا بين فعله وفعل غيره الذي ليس تحت اختياره؛ لكن لَمَّا كان فعله مقدورًا فالجامع يكون مقدورًا، فيكون التكليف تكليفًا صحيحًا ومعقولًا.

الصورة الثانية: هناك تكاليف عديدة؛ ولكنَّها مشروطة، كل تكليف مشروط بشرط عدم إتيان الآخر بالفعل، فإذا فعل هذا الإنسان هذا الفعل يكون التكليف ساقطًا، وإذا لم يفعل واحد منهم، فيكون الكل مأثومًا.

الصورة الثالثة: أن يكون الخطاب موجهًا إلى المكلف بشرط عدم قيام الآخر به.

النظريَّة الثانية: يكون الواجب على كلِّ واحدٍ منهم؛ لكن الترخيص بتركه هو أن يرخص لهذا الإنسان بترك هذا الواجب إذا فعله الآخر.

النظريَّة الثالثة: وجوب متعلِّق بالمكلفين بنحو العموم المجموعي، فهو عبارة عن وجوب يتعلَّق بهؤلاء العشرة؛ لكن بمجموعهم.

النظريَّة الرابعة: وجوب متعلِّق بالمكلفين بنحو العموم البدلي، فهو وجوب متعلق بالفعل بصرف وجوب الفعل المنتسب إلى الأفراد ولو بأحدهم[١٩].

النظريَّة الخامسة: وجوب متعلِّق بالفعل وليس له أي تعلُّق بالأفراد، وإنَّما يكون تعلقه بالأفراد عقليًّا ولا يكون شرعيًّا، باعتبار أنَّ الشارع المقدَّس يريد حصول هذا الفعل خارجًا بأيِّ سبب كان، وهذا هو الشيء الذي يريده الشارع المقدَّس، فالمكلف عندما ينكشف له وجود غرض إلزامي للمولى بفعل من الأفعال، فإنَّ عقله يحكم بوجوب استيفاء غرض المولى وتحقيقه بحسب الخارج[٢٠].

أقسام الجهاد

١ـ الجهاد الابتدائي: الذي يغزو به المسلمون الدول الأخرى ابتداءً.

٢ـ الجهاد الدفاعي، كدفاع المرء عن ماله وعرضه وبلده.

حكم الجهاد الابتدائي

ذهب أكثر فقهاء الشيعة إلى عدم جواز الجهاد الابتدائي إلَّا بإذن الإمام المعصوم، وقد أفادوا ذلك من بعض الروايات ومنها:

١ـ عن الإمام الرضا عليه السلام: (**والجهاد واجب مع الإمام العادل**)[٢١].

٢ـ وفي خبر بشير عن أبي عبد الله عليه السلام قال: (**قلت له: إنِّي رأيت في المنام أنِّي قلت لك: إنَّ القتال مع غير الإمام المفترض طاعته حرام مثل الميتة والدم ولحم الخنزير، فقلت لي: نعم، هو كذلك؟ فقال أبو عبد الله عليه السلام: هو كذلك، هو كذلك**)[٢٢].

لذا صرَّح بعض الفقهاء بعدم كفاية إذن الفقيه؛ بل لابدَّ من إذن الإمام المعصوم ففي الجواهر قال: (**بل في المسالك وغيرها عدم الاكتفاء بنائب الغيبة، فلا يجوز له توليه؛ بل في الرياض نفي علم الخلاف فيه حاكيًا له عن ظاهر المنتهى وصريح الغنية إلَّا من أحمد في الأوَّل، قال وظاهرهما الاجماع، مضافًا إلى ما سمعته من النصوص المعتبرة وجود الإمام... **)[٢٣].

لكن السيِّد الخوئي عمَّم الجهاد إلى زمن الغيبة، وقال بجواز الجهاد الابتدائي في زمن الغيبة؛ إذ قال: (**إنَّ الجهاد مع الكفَّار من أحد أركان الدين الإسلامي، وقد تقوى الإسلام وانتشر أمره في العالم بالجهاد مع الدعوة إلى التوحيد في ظلِّ راية النبي الأكرم صلى الله عليه وآله، ومن هنا قد اهتمَّ القرآن الكريم به في ضمن نصوصه التشريعيَّة، حيث قد ورد في الآيات الكثيرة وجوب القتال والجهاد على المسلمين مع الكفَّار المشركين حتَّى يسلموا أو يقتلوا، ومع أهل الكتاب حتَّى يسلموا أو يعطوا الجزية عن يدٍ وهم صاغرون، ومن الطبيعي أنَّ تخصيص هذا الحكم بزمان مؤقت، وهو زمان الحضور لا ينسجم مع اهتمام**

القرآن وأمره به من دون توقيت في ضمن نصوصه الكثيرة...) [٢٤].

حكم الجهاد الدفاعي

وجوب الجهاد الدفاعي وشروطه

يجب الجهاد الدفاعي على كلٍّ من يقدر على القتال، سواء في ذلك الرجل والمرأة، والكبير والصغير، والسليم والمريض، ومن كان بعيدًا عن ساحة القتال أو قريبًا منها [٢٥]، ووجوبه وجوب كفائي. وشرطه الوحيد هو القدرة على الدفاع والمقاومة[٢٦].

ولا يشترط في وجوبه ـ **خلافا للجهاد الابتدائي على الرأي المشهور**ـ حضور أو إذن الإمام المعصوم أو نائبه[٢٧].

والدليل على وجوب الجهاد الدفاعي هو العقل [٢٨]، وبعض الآيات القرآنيَّة [٢٩] والروايات [٣٠] والإجماع [٣١].

أحكام الجهاد الدفاعي

من أهمِّ أحكام الجهاد الدفاعي:

١ـ لا يجب الجهاد الدفاعي فقط على المسلمين الذين تعرضوا لهجوم العدو؛ بل يجب على جميع المسلمين الدفاع عن البلاد الإسلاميَّة التي تعرَّضت للهجوم[٣٢]. فلا يسقط عنهم التكليف إلَّا إذا قام بالدفاع العدد الكافي منهم [٣٣].

٢ـ إذا حدث تزاحم [٣٤] بين الجهاد الدفاعي وسائر الواجبات الدينيَّة، كالحج يقدَّم الجهاد الدفاعي على غيره[٣٥]. وكذا فإنَّه لو استلزم الدفاع عن الأراضي الإسلاميَّة ارتكاب بعض المحرَّمات فيجوز ذلك، كالتعاون مع السلطان الجائر[٣٦]، أو المحاربة في الأشهر الحُرُم[٣٧]، أو قتل المسلم الذي تمَّ استخدامه كدرع بشري[٣٨].

أقسام الجهاد الدفاعي

ذهب الشيخ جعفر كاشف الغطاء [٣٩] إلى أنَّ الجهاد له خمسة أقسام، أربعة منها دفاعيَّة، وقسم واحد فقط هو جهاد ابتدائي. والأقسام الأربعة للجهاد الدفاعي هي:

١ـ الجهاد لحفظ أساس الإسلام أمام هجوم الكفَّار على بلدان المسلمين للقضاء على الإسلام وإقامة الكفر فيها.

٢ـ الجهاد لدفع من يريد انتهاك دماء المسلمين وأعراضهم.

٣ـ الجهاد للدفاع عن طائفة من المسلمين اشتبكت بطائفة من الكفار، ويخشى من سلطة الكافرين عليهم.

٤ـ الجهاد لدفع الكافرين الذين سيطروا على بلاد المسلمين، واعتبر هذا القسم الأخير أفضل أقسام الجهاد.

الفرق بين الجهاد الدفاعي والجهاد الابتدائي

١ـ الغاية من الجهاد الدفاعي هو المنع من انهيار الإسلام، وسقوط المجتمع الإسلامي، واستيلاء الكفار على البلدان الإسلاميَّة، وانتهاك دماء المسلمين وأعراضهم[٤٠]، أما الجهاد الابتدائي فالغاية منه نشر الإسلام[٤١].

٢ـ لا يشترط في وجوب الجهاد الدفاعي ما اشترط في الجهاد الابتدائي؛ بل يكفي فيه القدرة على الدفاع[٤٢].

٣ـ تختص المحاربة في الجهاد الابتدائي بالكفار؛ لكن الجهاد الدفاعي يجب أمام كل عدو؛ كافرًا كان أو مسلمًا[٤٣].

٤ـ يجوز للحاكم أخذ نفقات الجهاد الدفاعي ـ **في حالة عدم كفاية الميزانيَّة العامَّة لبيت المال** ـ من الناس قهرًا، بخلاف الجهاد الابتدائي الذي يشترط فيه القدرة الماليَّة للمسلمين [٤٤] .

المطلب الرابع: **فتوى الجهاد**

الفتوى رأي المجتهد ومرجع التقليد[٤٥] حول الوظائف الشرعيَّة للمكلفين، التي يستدل عليها من طريق الأدلة الأربعة: القرآن الكريم، والسنة ـ **قول وفعل وتقرير المعصوم**، والإجماع الكاشف عن رأي المعصوم، والعقل.

الفرق بين الفتوى والحكم

إنَّ الفتوى عبارة عن بيان حكم كلِّي لعامَّة مقلدي المجتهد، وأمَّا حكم الحاكم فهو الأمر بفعل شيءٍ معيَّن أو عدم فعله، وهو ملزم لجميع الأشخاص المخاطبين بهذا الحكم.

وقد ذكرت فروق بين الفتوى والحكم[٤٦]، من جملتها:

١. الفتوى عبارة عن بيان حكم كلِّي لعامَّة الناس، كالفتوى بحرمة استخدام المخدَّرات لجميع الناس، وأمَّا حكم الحاكم فهو عبارة عن إصداره الأمر بالإتيان بعملٍ معيَّن أو تركه، من قبيل تحريم بضائع معينة.

٢. في الفتوى يقع تطبيق الحكم الشرعي وتشخيص مصداقه على عاتق المكلف؛ ولكن تطبيق الحكم يقع على عاتق الحاكم لا المكلف.

٣. فتوى المجتهد تعتبر حجَّة شرعيَّة لمقلِّديه فقط، وحكم الحاكم الشرعيّ وقضائه، لا يختصُّ بمقلِّده؛ بل يشمل جميع الناس، وحتَّى المجتهد الآخر الذي ربَّما يكون أعلم من الحاكم الشرعي[٤٧]، يجب عليه أن يتبع حكم الحاكم الشرعي.

لقد أصدر فقهاء الشيعة حكم الجهاد الدفاعي في كثير من الحالات، وذلك من أجل تشجيع الناس على الدفاع والوقوف في وجه الأعداء، عندما تتعرَّض الأراضي الإسلاميَّة أو الشعور بالخطر على دين المسلمين وكرامتهم واستقلالهم.

فتاوى الجهاد المشهورة

ومن أهمِّ الفتاوى التي أصدرها الفقهاء والمرجعيَّات الشيعة في مراحل مختلفة من التاريخ، حول وجوب الجهاد ما يلي:

١ـ عندما وقع الغزو الروسي على إيران سنة ١٢٤١ إلى ١٢٤٣هـ، واحتلال مناطقها، أصدر بعض علماء الشيعة فتوى الجهاد منهم: الشيخ جعفر كاشف الغطاء، والسيِّد علي الطباطبائي، والميرزا القمي، والملا أحمد النراقي، والسيِّد محمَّد المجاهد، من أجل دعم الحكومة القاجاريَّة والدفاع عن الشعب الإيراني مقابل هجوم الجيش الروسي[٤٨] . ولعلَّ هذه الفتوى أوَّل حكم جهادي في تاريخ الشيعة.

٢ـ فتوى الجهاد ضد الإنجليز: فتوى الميرزا محمَّد تقي الشيرازي (١٢٥٦-١٣٣٨ هـ) بوجوب الجهاد وقتال الإنجليز: صدرت هذه الفتوى عام ١٣٣٨هـ. وورد في نصِّ هذه الفتوى ما يلي: "**إنَّ مطالبة الحقوق واجبة على العراقيين، ويجب لهم ضمن مطاليبهم رعاية السلم والأمن، ويجوز لهم التوسل بالقوَّة الدفاعيَّة إذا امتنع الإنكليز عن قبول مطاليبهم**"[٤٩].

فبعد الاحتلال الإنكليزي للعراق وإعلان الانتداب، دعا المرجع الأعلى الشيخ ميرزا محمَّد تقي الشيرازي ـ من مقرِّه في كربلاء ـ الشعب العراقي لمقاومة الاحتلال والثورة على الانتداب، فهبّ الشعب حاملًا سلاحه، فكانت الثورة العراقيَّة الكبرى التي أرغمت المحتلين الإنكليز على إعلان الحكم الوطني، وقد أكَّدت هذه الثورة على التلاحم الجماهيري الديني والعشائري (القبائل)، ممَّا أوجد تفاعلًا قويًّا شدّ هذه الجبهة ضدّ الاستعمار، وتصميمًا صادقًا على محاربة العدو مهما كانت قوَّته، وطلب بتشكيل حكم عربيّ إسلاميّ دستوريّ متحرّرٍ من الاستعمار في العراق[٥٠].

٣ـ فتوى الجهاد الهجوم الوهابي على العتبات: فتوى الشيخ جعفر كاشف الغطاء (١١٥٦ ـ ١٢٢٨ هـ).

إنَّ فتوى الشيخ جعفر كاشف الغطاء، ومعه مائتي فقيه ومجتهد في مواجهة الهجمات الوهابيَّة على النجف وكربلاء سنة ١٢١٧هـ، تمكَّنت من إبعاد الوهابيين[٥١].

٤ـ فتوى الجهاد ضد داعش: فتوى السيِّد علي السيستاني، من مراجع التقليد، التي صدرت ضد داعش عام ٢٠١٤م ـ **بعد أن سيطر تنظيم داعش على بعض**

المناطق الغربيَّة والشماليَّة من العراق سنة ٢٠١٤م، ثمَّ توسَّع إلى مناطق أخرى تصل مساحاتها إلى نحو ٤٠٪ من الأراضي العراقيَّة، مخلفًا فيها الرعب والقتل والدمار واستباحة الحرمات ـ من أجل منع تقدم داعش فتوى الجهاد[٥٢]. واعتبر في هذه الفتوى أنَّ الدفاع عن العراق ومقدَّساته واجب كفائي، وطلب من فئات الشعب العراقي مواجهة التكفيريين، وبعد صدور هذه الفتوى تمَّ تشكيل الحشد الشعبي، وأدَّى إلى طرد داعش من أراضي العراق[٥٣] .

وبحسب هذه الفتوى، فعلى المواطنين العراقيين الذين لديهم القدرة على حمل السلاح وقتال الإرهابيين يجب عليهم كفائيًّا الدفاع عن البلاد والوطن والمقدَّسات والانضمام إلى القوات العسكريَّة[٥٤].

المبحث الثاني

الشيخ جعفر كاشف الغطاء والوهابيَّة

المطلب الأوَّل: تعريف موجز بالشيخ جعفر كاشف الغطاء الشيخ الأكبر الشيخ جعفر بن خضر بن يحيى الجناجي المالكي النجفي المعروف بكاشف الغطاء (**١١٥٦ ـ ١٢٢٨ هـ**) شيخ الطائفة في عصره، ومن مشاهير فقهاء الشيعة الاثني عشريَّة وتلامذة المجدد الوحيد البهبهاني، وقد اشتهر بلقب كاشف الغطاء بعد تأليفه كتابه كشف الغطاء[٥٥].

درس الشيخ جعفر على يد كبار علماء عصره وأشهرهم: الوحيد البهبهاني، والسيِّد مهدي الطباطبائي (بحر العلوم). وانحصر منبر التدريس بهِ في الحوزة العلميَّة في النجف خصوصًا بعد وفاة السيِّد مهدي بحر العلوم (ت ١٢١٢هـ)، ومن تلامذته: أولاده الشيخ موسى (ت ١٢٤١هـ). الشيخ علي (ت ١٢٥٣هـ)، أستاذ الشيخ الأنصاري. الشيخ محمَّد (ت ١٢٤٧هـ)، الشيخ حسن (ت ١٢٦٢هـ). وأصهاره الخمسة: الشيخ أسد الله الدزفولي التستري الكاظمي (ت ١٢٣٤هـ)، الشيخ محمَّد تقي الأصفهاني (ت ١٢٤٨هـ)، السيِّد صدر الدين الموسوي العاملي

(ت ١٢٦٣هـ). الشيخ الأغا محمَّد علي الهزارجريبي (ت ١٢٤٥هـ). الشيخ محمَّد ابن الشيخ محسن الجناجي (الشيخ محسن أخ الشيخ جعفر)، وهو والد الشيخ راضي مؤسِّس أسرة آل الشيخ راضي، والشيخ راضي هو سبط الشيخ جعفر. السيِّد محمَّد جواد العاملي (ت ١٢٢٦هـ) مفتاح الكرامة. الشيخ محمَّد حسن النجفي (ت ١٢٦٦هـ)، صاحب جواهر الكلام. السيِّد عبد الله شبر (ت ١٢٤٢هـ)، الشيخ خضر بن شلال العفكاوي النجفي (ت ١٢٥٥هـ).

ومن أهم مؤلفاته: كشف الغطاء عن مبهمات الشريعة الغراء. وشرح القواعد ـ شرح على بعض أبواب المكاسب من كتاب قواعد للعلامة.

وتصدَّى الشيخ جعفر كاشف الغطاء للمرجعيَّة الدينيَّة والقيادة الدينيَّة لشيعة العراق وإيران وغيرهما من البلدان، وبعد وفاة السيِّد مهدي بحر العلوم، زادت شهرته ونفوذه الاجتماعيّ والسّياسيّ حتَّى غدا مرجعًا للشّيعة في العالم.

عرف بقوَّة عارضه الفقهيَّة، وممَّا يستشهد به على ذلك كتابه كشف الغطاء، لاسيَّما مقدمته التي تعتبر رائعة في تناول واحتواء فروع الفقه كافة، ومن الآثار التي يستدل بها على نبوغه هو شرحه على قواعد العلامة، الذي يعتبر نواة لكتاب المكاسب الإنجاز الفقهي الكبير والرائع للشيخ الأنصاري[٥٦].

كان الشيخ جعفر فقيهًا متضلعًا واعيًا وقياديًا محنكًا، فكان الأستاذ الأوَّل في مستوى إدارة العمليَّة التدريسيَّة في حوزة النجف العلميَّة، وعلى مستويات الإنتصار للإسلام من المشكِّكين، والمناظرة مع النواصب والمبغضين إضافةً للدفاع عن مدينة النجف الأشرف ضد الوهابيين علميًّا وعمليًّا[٥٧].

المطلب الثاني: الشيخ جعفر والجهاد

جاء في كشف الغطاء عن مبهمات الشريعة الغراءعند الحديث عن الجهاد **(ونقلناه على طوله لأهميته): (الجهاد ينقسم، من جهة اختلاف متعلّقاته، إلى أقسام خمسة:**

أحدها: الجِهاد لِحِفظ بَيضة الإسلام إذا أرادَ الكفَّار المستحقُّون لغضب الجبار الهجوم على أراضي المسلمين، وبُلدانهم وقراهم، وقد استعدُّوا لذلك وجمعوا الجموع لأجله؛ لتعلوا كلمة الكُفر، وتهبط كلمة الإسلام، ويضربوا فيها بالنواقيس، ويبنوا فيها البيع والكنائس، ويعلنوا فيها سائر شعائِر الكُفر، ويكون الشرع باسم موسى وعيسى عليهما السلام، ويشتدُّ الكفر ويتزايد باستيلاء القائلين بالتثليث وغيرها من المناكير، النافين في الحقيقة لوحدة الصانع الخبير، كالفرقة الأُروسيَّة خذلهم الله بمحمَّد وآله.

والواجب هنا: أنَّه إن حَصَلَ من يقوم بذلك، سقطَ عن المُكلَّفين، وإلَّا وجبَ على جميع أهل الإسلام ممَّن له قدرة على الهجرة ومدخليَّة في إذلال العدوّ، وكلٌّ من له قابليَّة لجمع الجنود والعساكر أنْ يقوم بهذا الأمر مع غيبة الإمام وحضوره عليه السلام، ويُعتبر الاستئذان منه، وحضور المجتهد وغيبته على نحو ما سيجيء، وله الأخذ من أموال المسلمين بقدر الحاجة.

ثانيها: الجهاد لدفع الملاعين عن التسلُّط على دماء المسلمين وأعراضهم بالتعرُّض، بالزنا بنسائهم، واللواط بأولادهم، ويجب ذلك على من غابَ أو حضر مع عدم قيام الحاضرين به.

ويجوز للرئيس المُطاع في هذا القسم أن يأخذَ من أموالِ المُسلمين ما يتوقَّف عليه دفع عدوِّهم، مع قيامهم بالدفع، مع حضور الإمام عليه السلام وعدم تسلّطه، أو غيبته؛ وحضور المُجتهد، وغيبته، وطلب الإذن منه أولى.

ثالثها: الجهاد لدفعهم عن طائفة من المسلمين التقت مع طائفة من الكفَّار، فخيف من استيلائهم عليها.

رابعها: الجهاد لدفعهم عن بُلدان المسلمين وقُراهم وأراضيهم، وإخراجهم منها بعد التسلُّط عليها، وإصلاح بَيضة الإسلام بعد كسرها، وإصلاحها بعد ثلمها، والسعي في نجاة المسلمين من أيدي الكَفَرَة الملاعين.

ويجب على المُسلمين الحاضرين والغائبين إن لم يكن في الثغور من يقوم بدفعهم عن أرضهم أن يتركوا عيالهم وأطفالهم وأموالهم، ويهاجروا إلى دَفعِ أعداء الله عن أولياء الله.

فمن كان عنده جاه بذل جاهه، أو مال بذل ماله، أو سلاح بذل سلاحه، أو حيلة أو تدبير صرفها في هذا المقام، لحفظ بيضة الإسلام، وأهل الإسلام من تسلُّط الكفرة اللئام.

وهذا القسم أفضل أقسام الجهاد، وأعظم الوسائل إلى ربِّ العباد، وأفضل من الجهاد لردِّ الكفَّار إلى الإسلام، كما كان في أيَّام النبي عليه وإله أفضل الصلاة والسلام.

ومن قُتل في تِلكَ الأقسام، يقف مع الشهداء يوم المحشر، والله هذا هو الشهيد الأكبر، فالسعيد من قُتل بين الصفوف، فإنَّه عند الله بمنزلة الشهداء المقتولين مع الحسين عليه السلام يوم الطفوف، قد زُخرفت لهم الجنان، وانتظرتهم الحور والولدان، وهم في القيامة أضياف سيِّد الإنس والجانّ.

فمن عَلِمَ أنَّه يَجب عليه أن يقبل منِّي الكلام، ويأخذ عنِّي الأحكام الواردة عن سيِّد الأنام، فليخرج سيفه من غمده، ويرفع رمحه من بعده، وينادي بأعلى صوته: أين غِيرَة الإسلام؟ أين الطالبون بثارات شريعة سيِّد الأنام؟ أين من باعوا أنفسهم بالجنان، [يبدو أنَّه إشارة إلى الآية الشريفة: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنجِيلِ وَالقرآن وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُواْ بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُم بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [توبة: ١١١].

والحور والولدان، وفي رضا الربِّ الرؤوف الرحمن؟ أين عبيد سيِّد الأوصياء؟ أين الطالبون لأنْ يكونوا من شهداء كربلاء؟ أين الدافعون عن شريعة سيِّد الأُمم؟ أين الذين روي في حقِّهم: أنَّ أكثر أنصار صاحب الأمر العجم [روي عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ الْبَاقِرِ عليه السلام، أَنَّه قَالَ: (أَصْحَابُ الْقَائِمِ ثَلَاثُمِائَةٍ وَثَلَاثَةَ عَشَرَ رَجُلًا

أَوْلَادُ الْعَجَم، بَعْضُهُمْ يُحْمَلُ فِي السَّحَابِ نَهَارًا يُعْرَفُ بِاسْمِهِ وَاسْمِ أَبِيهِ وَنَسَبِهِ وَحِلْيَتِهِ، وَبَعْضُهُمْ نَائِمٌ عَلَى فِرَاشِهِ فَيُوَافِيهِ فِي مَكَّةَ عَلَى غَيْرِ مِيعَادٍ)[٥٨].

خامسها: جهاد الكُفر والتوجّه إلى محالّهم، للردِّ إلى الإسلام، والإذعان بما أتى به النبيّ الأُمّي المبعوث من عند الملك العلام، عليه وآله أفضل الصلاة والسلام.

وهذا المقام من خواصِّ النبيِّ والإمام، والمنصوب الخاصّ منهما، دون العام؛ ويختصُّ به بعض الأحكام، كما سيجيء بيانه في تفصيل الأقسام، وباقي الأقسام يشترك فيه جميع الأنام.

فكلٌّ من هذه الأقسام الخمسة مندرج في الجهاد على سبيل الحقيقة، ويجري على قتلاهم في المعركة حُكم الشهيد في الدنيا والآخرة، فيثبت لهم في الآخرة مع خلوص النيَّة ما أعدَّه الله للشُّهداء من الدرجات الرفيعة، والمراتب العليَّة، والمساكن الطيِّبة، والحياة الدائمة، والرضوان الذي هو أعلى من كلِّ مكرمة [٥٩].

المطلب الثالث: وجوب طاعة الفقهاء في زمن الغيبة

ذكر الشيخ جعفر كاشف الغطاء كلاما مهمًّا في وجوب طاعة الفقهاء في زمن الغيبة[٦٠]، وخاصَّة في مجال الاستعداد لقتال المعتدين على البلاد الإسلاميَّة وأعراض المسلمين ونواميسهم؛ بل أوجب طاعة السلطان الذي يقوم بهذه المهمة أيضًا، لكن فرق بين طاعة الإمام عليه السلام - **وبتبعه نائبه** - وطاعة السُّلطان بقوله: **(والفرق بين وجوب طاعة خليفة النبي صلى الله عليه وآله، ووجوب طاعة السلطان الذاب عن المسلمين والإسلام: أنَّ وجوب طاعة السلطان كوجوب تهيئة الأسلحة وجمع الأعوان، من باب وجوب المقدِّمات الموقوف عليها الإتيان بالواجب...)** [٦١].

عاصر كاشف الغطاء السلطان فتح علي شاه القاجاري، وفي عهده حمل الروس على شمال إيران حملة شعواء، فقام العلماء بتأييد السلطان لدفع حملاتهم؛ بل حضر بعضهم هذه المعارك، وكانت الرياسة العامَّة آنذاك

للشيخ جعفر كاشف الغطاء، فأذن للسلطان بالإفادة من الوجوهات الشرعيَّة كالزكوات والخراج للاستعداد للحرب، وأمر الناس بإطاعته.

المطلب الرابع: كاشف الغطاء ومواجهة الغزو الوهابي

هجم التكفيريون الوهابيون على مدينة كربلاء المقدَّسة في يوم الثامن عشر من شهر ذي الحجَّة في عيد الغدير عام ١٢١٦هـ[٦٢].

وبعد الهجوم الوهابي على كربلاء (واقعة كربلاء) أحسَّ المرجع الكبير الشيخ كاشف الغطاء بضرورة تحصين النجف، وتعبئة الأهالي للدفاع عنها ومقدَّساتها، وأفتى بوجوب التصدي لهم، فتهيَّأت لذلك مراكز تدريب قتالية خارج البلدة يشرف عليها كاشف الغطاء بنفسه. وقد تمَّ تعيين عدد من المقاتلين للحراسة، وتنظيم المجاميع الأخرى للتصدي للغزو الخارجي من وراء الأسوار[٦٣].

فدافع عن المدينة وشعبها؛ بل وحمل السلاح بنفسه، وقام بتسليح العلماء والطلاب وبقيَّة أهالي المدينة. وهو يعتبر بذلك أوَّل مجتهدٍ قاد بنفسه جهادًا دفاعيًّا[٦٤].

وقد فشلت جميع الهجمات الوهابيَّة التي تكرَّرت على النجف الأشرف، التي كان أعنفها الهجمة التي حدثت أواخر عام ١٢١٨هـ؛ إذ دافع النجفيُّون دفاعًا عنيفًا، ولم تستطع القوَّة الغازية من اقتحام المدينة.

وفي عام ١٢٢١ هـ تعرَّضت النجف لغارة مفاجئة إلَّا أنَّ ثقة النجفيِّين بممارساتهم القتاليَّة وتحصنهم بالأسوار والأسلحة جعلهم يتغلبون هذه المرة على القوَّة المهاجمة بسهولة[٦٥].

المبحث الثالث

السيِّد السيستاني والتصدِّي لداعش والإرهاب

المطلب الأوَّل: تعريف موجز بالسيِّد السيستاني[٦٦]

ولد في مدينة مشهد عام ١٣٤٩ للهجرة في أسرة علميَّة معروفة، فوالده هو العالم المقدَّس السيِّد محمَّد باقر. وأسرته من الأسر العلويَّة الحسينيَّة كانت تقطن مدينة

(إصفهان) في القرن الحادي عشر الهجري، ومن أبرز أعلامها يومذاك الفيلسوف الشهير (محمَّد باقر الداماد) صاحب كتاب القبسات.

وقد نشأ السيِّد في المشهد الرضوي نشأةً عاليةً فتدرَّج في الأوليَّات والمقدِّمات، وقرأ جملة من السطوح العالية كالمكاسب والرسائل والكفاية، وجملة من الكتب الفلسفيَّة كشرح المنظومة وشرح الإشراق والأسفار، وشوارق الإلهام، وحضر في المعارف الإلهيَّة دروس الميرزا مهدي الأصفهاني كما حضر بحث الخارج الميرزا مهدي الآشتياني والميرزا هاشم القزويني.

وفي أواخر عام ١٣٦٨ هـ انتقل إلى قم المقدَّسة، فحضر بحوث السيِّد البروجردي، والسيِّد محمَّد الحجَّة الكوهكمري.

وفي أوائل عام (١٣٧١ هـ) غادر مدينة قم متجهًا النجف الأشرف، وحضر بحوث العلمينِ الكبيرينِ: السيِّد الخوئي والشيخ حسين الحلِّي، وحضر أيضًا بحوث السيِّد الحكيم والسيِّد الشاهرودي.

نبوغه العلمي

لقد برز السيِّد السيستاني في بحوث أساتذته بتفوقٍ بالغ على أقرانه، وذلك في قوَّة الإشكال وسرعة البديهة وكثرة التحقيق والتتبع ومواصلة النشاط العلمي، ومنح وهو في الحادية والثلاثين من عمره شهادة الاجتهاد من قبل أستاذيه السيِّد الخوئي والشيخ الحلي.

ابتدأ تدريس خارج الفقه عام ١٣٨١ هـ، وخارج الأصول عام (١٣٨٤ هـ).

ومنهجه في البحث والتدريس متميِّز، وله خصائص عدَّة:

أ- الحديث عن تأريخ البحث ومعرفة جذوره.

ب- الربط بين الفكر الحوزوي والثقافات المعاصرة .

ج- الاهتمام بالأصول المرتبطة بالفقه.

د- الإبداع والتجديد.

هـ – المقارنة بين المدارس المختلفة.

ومن ملامح منهجه الفقهي:

١ – المقارنة بين فقه الشيعة وفقه غيرهم من المذاهب الإسلاميَّة الأخرى.

٢ – الإفادة من علم القانون الحديث في بعض المواضع الفقهيَّة.

٣ – التجديد في الأطروحة.

٤ – النظرة الاجتماعيَّة للنص.

٥ – توفير الخبرة بمواد الاستنباط.

مرجعيَّته

عندما التحق الإمام الخوئي بالرفيق الأعلى في (٨/ صفر / ١٤١٣ هـ) أرجع إليه في التقليد جمع من العلماء الأعلام، فقلَّده كثير من المؤمنين، وبعد وفاة السيِّد عبد الأعلى السبزواري، والسيِّد محمَّد رضا الكلبايكاني عام (١٤١٤ هـ) عمّ تقليده السيِّد فرجع إليه معظم المؤمنين في أنحاء المعمورة.

المطلب الثاني: تصدِّي السيِّد السيستاني لداعش والإرهاب

هاجم تنظيم داعش الإرهابي العراق في ليلة الثلاثاء، وفي يوم الجمعة ١٣ / حزيران/ ٢٠١٤م، أعلن الوكيل الشرعي لسماحة السيِّد السيستاني الشيخ عبد المهدي الكربلائي بعد صلاة الجمعة هذه الفتوى المباركة، وكانت الاستجابة مذهلة وعبرت عن حجم الارتباط المعنوي بين الأمَّة والمرجعيَّة الدينيَّة.

فدعت المرجعيَّة المواطنين الذين يتمكنون من حمل السلاح للتطوع في صفوف القوات الأمنيَّة للدفاع عن العراق، وأشارت إلى أنَّ العراق يواجه تحدِّيًا كبيرًا وأكَّدت أنَّ مسؤوليَّة التصدِّي للإرهابيِّين هي مسؤوليَّة الجميع، ولا تُختص بطائفة من دون أخرى أو طرف دون آخر، وشدَّدت على أنَّ طبيعة المخاطر المحدقة بالعراق في الوقت الحاضر تقتضي الدفاع عن الوطن وأهله وأعراضه ومواطنيه، وهو واجب كفائي.

وجاء في ضمن الخطبة: (**إنَّ طبيعة المخاطر المحدقة بالعراق وشعبه في الوقت الحاضر تقتضي الدفاع عن هذا الوطن وأهله وأعراض مواطنيه، وهذا الدفاع واجب على المواطنين بالوجوب الكفائي... ومن هنا فإنَّ على المواطنين الذين يتمكَّنون من حمل السلاح ومقاتلة الإرهابيين؛ دفاعًا عن بلدهم وشعبهم ومقدَّساتهم عليهم التطوع للإنخراط في القوات الأمنية لتحقيق هذا الغرض المقدَّس**).

إذن أطلقت المرجعيَّة الدينيَّة العُليا في العراق فتوى الجهاد الكفائي، بعد ساعات على الهجوم الإرهابي، فامتثلت الجماهير العراقيَّة للفتوى الدينيَّة، وقدِمت من كلِّ المحافظات العراقيَّة لقتال تنظيم داعش، وأوقفت الزحف الإرهابي، بعد أن نظَّمت صفوفها، وساندت القوات المسلحة لتبدأ بعدها العمليات العسكريَّة الكبرى.

فتُعد فتوى المرجع آية الله العظمى السيِّد علي الحسيني السيستاني (دام ظله) حدثًا تاريخيًّا عميقًا في تاريخ العراق.

وفتوى الجهاد الكفائي ليست جديدة؛ بل هي تعبر عن حقيقة الإيمان الراسخ في وجدان الأمَّة وضميرها، ففتوى الدفاع الكفائي في محتواها ومؤداها عبَّرت عن هوية الشعب العراقي، وهي الهوية الإسلاميَّة، فاستجابة الجماهير العراقيَّة للفتوى كانت مليونيَّة وسريعة.

ولمَّا صدرت الفتوى كلَّفت العراقيين أن يدافعوا عن كلِّ مكوِّناتهم أن كانوا من أهل السنَّة أو من أتباع أهل البيت ﷺ أو أي من مكوِّنات المجتمع الأخرى، وكذلك فإنَّ العدو حاول أن يمزِّق وحدة المسلمين عبر إظهار هذا التيار التكفيري الإرهابي المتوحش أنَّها حرب طائفيَّة بين المسلمين، بين السُّنَّة والشيعة، فجاءت الفتوى لتُفشل هذا المشروع الفتنوي، فالشيعي ضحى بحياته من أجل أخيه السني والمواطن السنِّي استقبل أخيه الشيعي بكلِّ أخوَّةٍ، وتصدَّى الجميع للدفاع عن وطنهم وهوَّيتهم ووحدة بلدهم، فاختلط

الدم العراقي بعضه ببعض، فتحقَّق الانتصار الاجتماعي بوحدة المجتمع على العدو قبل الانتصار العسكري.

وقد قامت المرجعيَّة بإصدار توجيهات دينيَّة تنظم علاقة وتعامل المقاتلين من الحشد الشعبي والقوات الأمنيَّة مع أهالي المناطق المحررة من تنظيم داعش بالعراق، وتتضمَّن التوجيهات حثّ منتسبي الحشد الشعبي والقوات الأمنيَّة على التعامل بالأخلاق الإسلاميَّة، وعدم التعرض للناس أو أهالي المنتمين لداعش (في المناطق المحرَّرة) بأي أذى أو اضطهاد، وعدم إيذاء الكبار بالسن والأطفال والنساء وعدم قطع أي شجرة إلَّا أن يضطرُّوا إلى قطعها، وكذلك معاملة غير المسلمين معاملة حسنة وعدم المساس بهم وغير ذلك.

فكان توقيت الفتوى المباركة في محله، وكانت النتائج رائعة على المستوى الإيماني وعلى مستوى البلد والوطن، وفي تعزيز الوحدة الوطنيَّة، والسلم الاجتماعي، وحماية المراقد والمراكز الدينيَّة، وانحسار نفوذ مقاتلي داعش على المناطق التي خضعت لسيطرتهم سابقًا.

الخاتمة

الجهاد والقتال في سبيل الله من الأحكام الشرعيَّة المهمَّة، ومن أركان الإسلام، ووجوبه من ضروريَّات الدين ومن بديهيات أحكام الإسلام، وقد دلَّ على أصل وجوبه نصوص شرعيَّة كثيرة، وأدلَّة وافية.

والجهاد الدفاعي هو الواجب في زماننا ـ لاشتراط إذن المعصوم أو نائبه الخاص في الجهاد الابتدائي؛ إذ يجب حفظ الشريعة الإسلاميَّة والدفاع عنها، والدفاع عن العرض والأرض والوطن. والجهاد الدفاعي واجب كفائي إذا قام به من به الكفاية سقط عن الباقين، ولا يشترط فيه أكثر من القدرة على أدائه.

وتعتبر المرجعيَّة الدينيَّة للشيعة الإماميَّة الملجئ الآمن، والحصن المنيع والواقي للأمَّة وللمؤمنين خصوصًا على طول التأريخ.

وقد ظهر على امتداد هذه المدَّة ـ الغيبة الكبرى ـ قادة من الطراز الأوَّل، استوعبت حياتهم جميع آمال الأمَّة وآلامها، ومن هؤلاء الشيخ جعفر كاشف الغطاء (ت ١٢٢٨ هـ) في القرن الثالث عشر الهجري، وفي عصرنا سيِّدنا السيستاني، فكان الموقف الجهادي والبطولي والحكيم لكاشف الغطاء في فتواه للجهاد ضد الهجوم الوهابي الشرس على مدينة النجف الأشرف، فحمل السلاح مع العلماء والمؤمنين في أحلك الظروف وأصعبها إلى أن دفع الله الغمَّة عن المؤمنين، وكان الموقف الرائع لمرجع الأمَّة السيِّد السيستاني في فتواه المباركة، التي دعا فيها أبناء العراق إلى التطوع لحمل السلاح بوجه عصابات داعش بعد اجتياحهم أجزاء واسعة من العراق، وتحقق النصر ببركة هذه الفتوى.

الهوامش

١- ابن سعيد الحليّ، يحيى، الجامع للشرائع: ٢٣٣.

٢- ابن فارس، أحمد بن فارس، معجم مقاييس اللغة، ٢: ٩١.

٣- انظر: الفراهيدي، الخليل بن أحمد، كتاب العين، ٣: ٦٦.

٤- الطباطبائي، تفسير الميزان، ٧: ٢٥٥.

٥- جاء في الرافد: (ويبحث في الأصول حول المائز بين المولوي والإرشادي، فهل هما مختلفان بالذات حيث ذهب بعض الأصوليين إلى كون المولوي من سنخ الإنشاء والإرشادي من سنخ الاخبار، أم هما مختلفان بلحاظ الملاك حيث أنَّ المولوي نابع من ملاك في نفسه، والإرشادي نابع عن ملاك فيما يرشد إليه، أم هما مختلفان من حيث الحكم الجزائي بلحاظ أنَّ المولوي لاطاعته ثواب ولعصيانه عقاب، وليس كذلك الأمر الإرشادي فالثواب على فعل ما يرشد إليه والعقاب على ترك ما يرشد إليه)، الخباز، منير، الرافد في علم الأصول/ تقرير بحث السيِّد السيستاني: ٥٣.

٦- ينظر: الحائري الإصفهاني، محمَّد حسين، الفصول الغرويَّة في الأصول الفقهيَّة: ٣٣٦.

٧- الصدر، محمَّد باقر، دروس في علم الأصول، ١: ١٦٢. فلم يجعل الحكم الشرعي الخطاب الصادر نفسه من الشارع؛ لأنَّ الحكم الشرعي أمر ثبوتي، والخطاب الكاشف عنه أمر إثباتي، فتعريفه بالخطاب تعريف بالكاشف لا تعريف للحقيقة نفسها. وهو شامل للحكم الوضعي كالزوجيَّة والملكيَّة؛ إذ إنَّ في تشريعها تنظيم لحياة الإنسان؛ لكن ليس بنحو مباشر؛ وذلك لأنَّ هذه الأحكام تصاحبها عادة أحكام تكليفيَّة أيضًا تتعلَّق بأفعال المكلفين. فالحكم الشرعي ينقسم على حكم تكليفي وحكم وضعي، ولعلَّ السبب بتسميته بالتكليفي؛ لأنَّ فيه غالبًا كلفة ومشقَّة على المأمور. وبالحكم الوضعي؛ لكونه غالبًا موضوعًا للحكم التكليفي، والأحكام التكليفيَّة هي الأحكام التي تتعلَّق بأفعال المكلف ولها توجيه عملي مباشر، والأحكام الوضعيَّة هي الأحكام التي ليس لها توجيه عملي مباشر. ينظر: الصدر، دروس في علم الأصول، ١: ١٦٢.

٨- ينظر: السند، الشيخ محمَّد، ملكيَّة الدولة: ١٤٩.

٩- قال السيِّد الخوئي: "الجهاد مأخوذ من الجهد بالفتح بمعنى التعب والمشقة، أو من الجهد بالضم بمعنى الطاقة"، الخوئي، السيِّد أبو القاسم، منهاج الصالحين،١: ٣٦٠.

١٠- ينظر مادة "جهد": الفيروز ابادي، محمَّد بن يعقوب، القاموس المحيط،١: ٥٥٧، الجوهري، الصحاح، ٢: ٤٦٠، ابن منظور، لسان العرب، ٣: ١٣٣- ١٣٥، الزَّبيدي، محمَّد مرتضى الحسيني، تاج العروس، ٧: ٥٣٤- ٥٣٩.

١١- الشهيد الأوَّل، محمَّد بن مكي الجزيني العاملي، غاية المراد، ١: ٤٦٩.

١٢- ينظر: الشهيد الثاني، زين الدين بن علي الجبعي العاملي، مسالك الأفهام في شرح شرائع الإسلام، ٣: ٧.

١٣- جاء في المسالك: "وهو غير مانع، فإنَّ إعزاز الدِّين أعمُّ من كونه بالجهاد المخصوص، كما لا يخفى"، الشهيد الثاني، زين الدين العاملي، مسالك الأفهام، ٣: ٧. وينظر أيضًا: النجفي، الشيخ محمَّد حسن، جواهر الكلام،٢١: ٣.

١٤- الشهيد الثاني، زين الدين العاملي، مسالك الأفهام، ٣: ٧.

١٥- الخوئي، السيِّد أبو القاسم، منهاج الصالحين،١ : ٣٦٠.

١٦- النجفي، الشيخ محمَّد حسن، جواهر الكلام،٢١: ٣.

١٧- المظفر، أصول الفقه، ١: ١٤٠.

١٨- ينظر: المنتظري، الشيخ حسين على، نهاية الأصول (تقرير بحث السيِّد حسين البروجردي): ٢١٠. والواجب الكفائي يتحول إلى واجب عيني على من يقوم به. وكذلك يتعيَّن الجهاد أيضًا إذا التقى الصفان فيحرم على المسلم الفرار قال تعالى: (يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم الذين كفروا زحفًا فلا تولوهم الأدبار ومن يولهم يومئذ دبره إلا متحرفًا لقتال أو متميزًا إلى فئة فقد باء بغضب من الله، ومأواه جهنم وبئس المصير) [الأنفال: ١٥-١٦].

١٩- السيِّد الخوئي، أجود التقريرات (تقريرات درس الشيخ النائيني)، ١: ١٨٧.

٢٠- ينظر: المنتظري، الشيخ حسين على، نهاية الأصول (تقرير بحث السيِّد حسين البروجردي): ٢١٠.

٢١- الحر العاملي، وسائل الشيعة، ١٥: ٤٩.

٢٢- الحر العاملي، وسائل الشيعة، ١٥: ٤٥.

٢٣- النجفي، الشيخ محمَّد حسن، جواهر الكلام، ٢١: ١٣.

٢٤- السيِّد الخوئي، منهاج الصالحين، ١ : ٣٦٣.

٢٥- الشهيد الثاني، مسالك الأفهام، ٣: ٨.

٢٦- ينظر: المحقق الحلي، شرائع الإسلام، ١: ٢٨٧؛ العلامة الحلي، تذكرة الفقهاء، ٩: ٣٧؛ كاشف الغطاء، كشف الغطاء، ٤: ٢٨٨؛ الإمام الخميني، تحرير الوسيلة، ١: ٤٦١.

٢٧- انظر: العلَّامة الحلي، تذكرة الفقهاء، ٩: ٣٧؛ الطباطبائي الكربلائي، رياض المسائل، ٨: ١٤؛ النجفي، جواهر الكلام، ٢١: ١٨؛ الإمام الخميني، تحرير الوسيلة، ١: ٤٦١.

٢٨- السبزواري، مهذب الأحكام، ١٥: ١٠١. ودليل العقل بالنسبة إلى الجهاد الدفاعي واضح؛ لأنَّ الدفاع عن الحياة والمال والعرض من مسلَّمات أدلة العقل. ومن المؤيدات: أنَّ البدء في كلِّ عمل- يأمل فيه الاستمرار والبقاء- يحتاج إلى التأسيس والتأطير والتنفيذ، ومن ثمَّ الحفظ والدفاع، فلابُدَّ من الحفاظ على ما بُني أولًا، والدفاع عنه، فإنه لولا الدفاع لما استمر شيء أصلاً.

٢٩- سورة البقرة: ١٩٠ و١٩١ و٢١٦ من سورة البقرة، وسورة التوبة: ١٢٣، سورة الحج: ٣٩ و٤٠، سورة الأنفال: ٦٠.

٣٠- الحر العاملي، وسائل الشيعة، ١٥: ٣٠.

٣١- صرَّح كثير من الفقهاء بانعقاد الإجماع على وجوب الجهاد، قال الشيخ الطوسي: "الجهاد فرض من فرائض الإسلام إجماعًا" الطوسي، المبسوط، ٢: ٢، وفي الغنية: "الجهاد فرض من فرائض الإسلام بلا خلاف" ابن زهرة، غنية النزوع: ١٩٩. وقال العلَّامة الحلي: "وقد أجمع المسلمون كافَّة على وجوب الجهاد" العلَّامة الحلّي، منتهى المطلب، ١٤ :١١. وقال صاحب الجواهر: "وكيف كان فلا خلاف بين المسلمين في وجوبه في الجملة؛ بل هو كالضروري، خصوصًا بعد الأمر به في الكتاب العزيز في آيات كثيرة" النجفي، محمَّد حسن، جواهر الكلام، ٢١: ٨ . وقد أرسل سائر الفقهاء مسألة الإجماع على وجوب الجهاد إرسال المسلّمات، وننبه إلى أنَّ دليل الإجماع هنا مدركي بلا شك بعد تحقّق الضرورة وثبوت الدليل عليه.

٣٢-الشهيد الثاني، مسالك الأفهام، ٣: ٨.

٣٣-كاشف الغطاء، كشف الغطاء، ٤: ٢٩١.

٣٤- مصطلح فقهي وأصولي بمعنى عدم قدرة المكلّف على تنفيذ حكمين في زمان واحد. ينظر: الروحاني، السيِّد محمَّد، منتقى الأصول، ٧: ٣٠٥.

٣٥- الميرزا القمي، جامع الشتات، ١: ٣٩٤.

٣٦- النجفي، جواهر الكلام، ١٣: ٣١٠-٣١٢.

٣٧- العراقي، شرح تبصرة المتعلمين، ٤: ٣٢٠.

٣٨- الشيخ الطوسي، المبسوط، ٢: ٢٨٣؛ العلامة الحلي، تلخيص المرام: ٧٩.

٣٩- ينظر: جعفر كاشف الغطاء، كشف الغطاء، ٤: ٢٨٧ وما بعدها .

٤٠- النجفي، جواهر الكلام، ٢١: ١٤.

٤١- منتظري، دراسات في ولاية الفقية، ١: ١١٥.

٤٢- ينظر: الشيخ المفيد، المقنعة: ٨١٠؛ الشهيد الثاني، مسالك الأفهام، ٣: ٨؛ النجفي، جواهر الكلام، ٢١: ٤٧.

٤٣- كاشف الغطاء، كشف الغطاء، ٤: ٢٩١.

٤٤-كاشف الغطاء، كشف الغطاء، ٤: ٣٣٣--٣٣٤.

٤٥- الجامع للشرائط: و من شروط المفتي عند فقهاء الشيعة، العدالة، والاجتهاد، وإمامي اثني عشري، والأعلميَّة وطهارة المولد، ينظر: ينظر: السيِّد الخوئي، منهاج الصالحين، ١: كتاب الاجتهاد والتقليد، السيِّد السيستاني، منهاج الصالحين،١: كتاب الاجتهاد والتقليد.

٤٦- ينظر: مكارم الشيرازي، موسوعة الفقه الإسلامي المقارن، ١: ٤١٢. وينظر أيضًا السيِّد الخوئي، منهاج الصالحين، ١: كتاب الاجتهاد والتقليد، السيِّد السيستاني، منهاج الصالحين،١: كتاب الاجتهاد والتقليد.

٤٧- ينظر: السيِّد الخوئي، منهاج الصالحين، ١: ٩، السيِّد السيستاني، منهاج الصالحين،١: ١٥ .
٤٨- زرگرى‌نژاد، بررسى احكام الجهاد و اسباب الرشاد: ٣٨٣.
٤٩- آقا بزرك الطهراني، طبقات أعلام الشيعة، ١٣: ٢٦٣.
٥٠- العلوي، حسن، الشيعة والدولة القوميَّة في العراق ١٩١٤ ـ ١٩٩٠:٩٧.
٥١- آل محبوبة، ماضي النجف وحاضرها، ١: ٣٢٦. ولا ينس العراقيون مجزرة كربلاء في زمن الوالي العثماني المملوكي سليمان باشا عام ١٨٠٢ عندما هجم الوهابيون على المدينة بصورةٍ فجائيةٍ، وقتلوا الناس في الشوارع وفي داخل البيوت، وخرَّبوا قبة الإمام الحسين ﷺ وسرقوا خزائن المرقد ومجوهراته، ولم يتركوا المدينة إلَّا بعد أنْ عاثوا فيها الفساد والدمار، الساعدي، كريم محمَّد حاتم، الغزوات الوهابيَّة على الأضرحة المقدَّسة في كربلاء والنجف خلال القرن التاسع عشر الميلادي.
وفي عام ١٨٠٨ شهدت الزيارة الأربعينيَّة في كربلاء مظاهراتٍ جماهيريةً صاخبةً من عموم سكَّان العراق، يتقدَّمها رجال الدين الأجلَّاء الذين قَدموا من الحوزة العلميَّة في النجف الأشرف؛ احتجاجًا على السلطات العثمانيَّة لتقاعسها في صدِّ الغزوات الوهابيَّة المتكرّرة على مدن العراق. وقد هزَّت هذه الاعتداءات حماس الغيارى من أبناء الشعب العراقي، وأجَّجت مشاعر الاستياء لأقطاب المرجعيَّة الدينيَّة الذين شدّوا العزم، وأرسلوا أعدادًا كبيرةً من الشباب خريجي المدارس الدينيَّة إلى المناطق الوسطى والجنوبيَّة من العراق بهدف تذكير أفراد العشائر بمعاناة الشعب من جور الاحتلال، وإثارة روح الحماس الوطني في نفوسهم وتحريضهم على التمرُّد والعصيان، الكركولي، دراسات في عشائر العراق.
٥٢- حطاب، توظيف الحشد الشعبي في المدرك السياسي العراقي: ١٠٧ ـ ١٠٨.
٥٣- مقال: اللامي، علاء، الحشد الشعبي بين مصادرة التضحيات والإصرار على حله. صحيفة الأخبار الإلكترونيَّة.
٥٤- حطاب، توظيف الحشد الشعبي في المدرك السياسي العراقي: ١٠٧ ـ ١٠٨.
٥٥- وبعد شهرة الكتاب، صار يعرف بكاشف الغطاء وكان ذلك في أواخر عمرهِ وفي مدَّة مرجعيَّته، وقال حرز الدين: "وبهِ اشتهر أخيرًا"، حرز الدين، الشيخ محمَّد، معارف الرجال، ١: ١٥٣.
٥٦- وللمزيد من حياته وسيرته، ينظر: آل كاشف الغطاء، محمَّد حسين، العبقات العنبرية في الطبقات الجعفرية. أغا بزرك الطهراني، الذريعة إلى تصانيف الشيعة، ١٣: ١٣٢، ١٥: ١٨٤، ٢٠: ٩٢. الخوانساري، روضات الجنات، ٢: ٢٠٢. حرز الدين، الشيخ محمَّد، معارف الرجال، ١: ١٥٣. الأمين، السيِّد محسن، أعيان الشيعة ١٥: ٤٣٤. محبوبة، الشيخ جعفر، ماضي النجف وحاضرها، ٣: ١٣٦.
٥٧- يُعتبر الشيخ جعفر أوَّل عالم دين شيعي ألَّف كتابًا للرد على الوهابيَّة اسمه "منهج الرشاد

لمن أراد السداد".

٥٨- النعماني، محمَّد بن إبراهيم، الغيبة، ١: ٣١٥ .

٥٩- كاشف الغطاء، الشيخ جعفر، كشف الغطاء عن مبهمات الشريعة الغراء، ٤: ٢٨٧.

٦٠- اعتقد بعض الناس بإيمان الشيخ كاشف الغطاء بنظريَّة ولاية الفقيه في بعض المفاهيم مثل الجهاد والقضاء، وتنفيذ الحدود والأمور الحسبية والشؤون المالية، وعبر ملاحظة كلمات الشيخ وطريقة تعامله مع الحاكمين قد يدعى على أنَّها شواهد على مقبوليَّة نظريَّة ولاية الفقيه عنده؛ حيث كان يقول: (لو اجتمع في أحد العلماء الفقه وإجادة الحكم فهو أحق للحكم على البلاد ولا حق لغيره بالنسبة إلى هذا الأمر)، ولكن الشيخ لم يتحدَّث بصراحة عن موقعيَّة ولاية الفقهاء في الشؤون السياسية.

٦١- كاشف الغطاء، كشف الغطاء: ٣٩٤.

٦٢- قام جيش محمَّد بن عبد الوهاب بقيادة سعود بن عبد العزيز، بالف محارب (٦٠٠ هجان و٤٠٠ فارس) وقيل أكثر بكثير، ومنهم من قال إنَّ عدد المهاجين (٢٥،٠٠٠) ألف مقاتل. وكان حاكم العراق حينها: سليمان باشا الكبير (دولة المماليك)، وحاكم كربلاء: عمر اغا الذي أُتهم بتواطئه مع الغزاة وترك المدينة عند بدء الهجوم دون أي مقاومة، وقد أعدم بعد ضغوط دوليَّة كبيرة وخاصَّة من الدولة القاجارية .وفي يوم عيد الغدير وهو من أهم أعياد الشيعة كان معظم أهالي كربلاء قد ذهبوا للنجف الأشرف لزيارة مرقد الإمام علي بن أبي طالب ﷺ لتجديد العهد كعادتهم وبخطَّةٍ مدروسة سابقًا شرع سعود بن عبد العزيز بالهجوم على المدينة من ناحية البادية. لم يجد البقيَّة القليلة من أهالي المدينة بدًّا من غلق الأبواب أمام المهاجمين الذين نصبوا الخيام خارج السور وقسموا قوتهم الغازية إلى ثلاثة أقسام، وتمكَّنوا من فتح أحد أبواب السور بالقوة ودخلوا المدينة وقاموا بالقتل والتدمير والسلب والنهب. فاستشهد ما لا يقل عن (١٠٠٠) شخص من ضمنهم (٥٠) شهيد قرب الضريح و(٥٠٠) شهيد في الصحن الشريف، وذكر آخرون أنَّ عدد الضحايا (٥٠٠٠) خمسة آلاف شهيد، وآخرون قالوا (٨٠٠٠) ثمانية آلاف شهيد. والآلاف من الجرحى، وسُرقت كل المعلقات والستائر وما موجود من أشياء ثمينة لا تعد ولا تحصى، واحرق الضريح المقدَّس للحسين ﷺ، واستشهد سادن الإمام الحسين ﷺ السيِّد موسى بن محمَّد علي وأخويه حسن وحسين ومجموعة من نقباء المدينة. ينظر: غارة الوهابيين على مدينة كربلاء المقدسة في عيد الغدير سنة ١٢١٦هـ، موقع العتبة الحسينية المقدسة:

https://imamhussain.org/arabic/41505.

٦٣- انتدب الشيخ كاشف الغطاء الصدر الأعظم محمَّد حسين خان (وزير فتح علي شاه) ببناء سور محصن للمدينة، وفعلًا فقد بدأ العمل ببنائه سنة ١٢١٨ هـ، واستمر العمل فيه ما يقارب العقد من الزمن فأصبحت النجف بسببه بلدة محصنة يصعب اقتحامها؛ إذ تضمَّن خندقًا عميقًا،

وأبراجًا، ومراصد، ومخافر، وجعلت في طبقاته منافذ مختلفة لوضع فوهات المدافع والبنادق. ينظر: كاشف الغطاء، الشيخ جعفر، منهج الرشاد لمن أراد السداد: هامش صفحة ٥١١.

٦٤- لمزيد من التفصيل عن أحداث النجف وجهاد الحوزة بقيادة الشيخ عفر، ينظر: كاشف الغطاء، الشيخ محمَّد حسين، العبقات العنبرية: ١٥١.

٦٥- ينظر: محبوبة، جعفر. ماضي النجف وحاضرها،١: ٣٢٦.

٦٦- يراجع: موقع سماحته https: / /www.sistani.org

المصادر والمراجع

القرآن الكريم.

* ابن زهرة الحلبي، حمزة بن علي، غُنية النزوع إلى علمي الأُصول والفروع، مؤسَّسة الإمام الصادق ﷺ، الطبعة الأولى ١٤١٧ هـ، قم - إيران.

* ابن سعيد، يحيى بن سعيد الحلِّي الهذلي، الجامع للشرائع، مؤسَّسة سيِّد الشهداء العلميَّة، ١٤٠٥ هـ، قم - إيران.

* العلَّامة الحلي، الحسن بن يوسف بن المطهر (٦٤٧-٧٢٦ هـ)، تحرير الأحكام الشرعيَّة على مذهب الإماميَّة، تحقيق: إبراهيم البهادري، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ، إشراف: جعفر السبحاني، مؤسَّسة الإمام الصَّادق ﷺ، قم - إيران.

* العلَّامة الحلي، الحسن بن يوسف بن المطهر (٦٤٧-٧٢٦ هـ)، منتهى المطلب في تحقيق المذهب، تحقيق: قسم الفقه في مجمع البحوث الإسلاميَّة، الطبعة الأولى ١٤١٢ هـ، مؤسَّسة الطبع والنشر في الآستانة الرضوية المقدسة، مشهد - إيران.

* العلامة الحلي، الحسن بن يوسف، تلخيص المرام في معرفة الأحكام، مكتب الإعلام الإسلامي ١٤٢١هـ، قم - إيران.

* الحائري الإصفهاني، محمَّد حسين، الفصول الغروية في الأصول الفقهيَّة، دار إحياء العلوم الإسلاميَّة، الطبعة الأولى، ١٤٠٤هـ، قم - إيران.

* الحر العاملي، محمَّد بن الحسن، تفصيل وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة، تحقيق: مؤسَّسة آل البيت ﷺ لإحياء التراث، الطبعة الثانية ١٤١٤هـ، قم - إيران.

* حرز الدين، الشيخ محمَّد، معارف الرجال في تراجم العلماء والأدباء، منشورات مكتبة السيِّد المرعشي، قم - إيران.

* الخوئي، السيِّد أبو القاسم، منهاج الصالحين، الطبعة الثامنة والعشرون ١٤١٠ هـ، نشر مدينة العلم / آية الله العظمى السيِّد الخوئي، قم - إيران.

* السبزواري، السيِّد عبد الأعلى، مهذب الأحكام في بيان حلال والحرام، دار التفسير، قم - إيران.

* الساعدي، كريم محمَّد حاتم، الغزوات الوهابيَّة على الأضرحة المقدَّسة في كربلاء والنجف خلال القرن التاسع عشر الميلادي، موقع مؤسَّسة النور للثقافة والإعلام، ٢٩/ ١٠/ ٢٠١٤.

* الشهيد الأوَّل، الشيخ محمَّد بن مكي بن محمَّد الشامي العاملي الجزيني (٧٣٤ ـ ٧٨٦ هـ)، غاية المراد في شرح نكت الإرشاد، تحقيق: رضا مختارى، الطبعة الأولى ١٤١٤هـ، مؤسَّسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين، قم - إيران.

* الشهيد الثاني، الشيخ زين الدين بن علي العاملي (٩١١ - ٩٦٥هـ)، مسالك الإفهام إلى تنقيح شرائع الإسلام، تحقيق ونشر: مؤسَّسة المعارف الإسلاميَّة، الطبعة الأولى١٤١٣هـ، قم - إيران.

* الشهيد الثاني، زين الدين بن علي، الروضة البهيَّة في شرح اللمعة الدمشقيَّة، مكتبة داوري ١٤١٠هـ، قم ـ إيران.
* الشريفي، أحمد باقر علوان، كربلاء بين الحربين العالميتين- رسالة ماجستير- معهد التاريخ العربي والتراث العلمي للدراسات العُليا ٢٠٠٤م، بغداد ـ العراق.
* الصدر، السيِّد محمَّد باقر (ت ١٤٠٠ هـ)، دروس في علم الأصول، مؤسَّسة النشر الإسلامي، قم المقدَّسة، الطبعة الخامسة، ١٤١٨ هـ،
* الطوسي، محمَّد بن الحسن، المبسوط في فقه الإماميَّة، المكتبة المرتضوية لإحياء الآثار الجعفرية ١٤٠٧ هـ، طهران ـ إيران.
* الطباطبائي الكربلائي، السيِّد علي، رياض المسائل في بيان الأحكام بالدلائل، مؤسَّسة آل البيت ﷺ، ١٤١٨هـ، قم ـ إيران.
* الروحاني، السيِّد محمَّد، منتقى الأصول، تقرير: السيِّد عبدالصاحب حكيم، نشر دفتر آيت الله سيِّد محمَّد حسيني روحاني ١٤١٦هـ، قم ـ إيران.
* العراقي، ضياء الدين، شرح تبصرة المتعلمين، مؤسَّسة النشر الإسلامي، ١٤١٤هـ، قم ـ إيران.
* العلوي، حسن، الشيعة والدولة القوميَّة في العراق١٩١٤- ١٩٩٠، دار الثقافة للطباعة والنشر، قم ـ إيران.
* ٢٠ كاشف الغطاء، الشيخ جعفر، كشف الغطاء عن مبهمات الشريعة الغرَّاء، تحقيق: مكتب الإعلام الإسلامي، فرع خراسان، الطبعة الأولى، (١٤٢٢هـ)، مركز انتشارات دفتر تبليغات إسلامي، قم ـ إيران.
* كاشف الغطاء، الشيخ جعفر، منهج الرشاد لمن أراد السداد، تحقيق: الدكتور جودت القزويني، دار الثقلين، بيروت ـ لبنان.
* الكركولي، دراسات في عشائر العراق، ١٩٩٥م، بغداد ـ العراق.
* الشيخ المفيد، محمَّد بن محمَّد بن النعمان العكبري البغدادي، المقنعة، مؤسَّسة النشر الإسلامي، ١٤١٠هـ، قم ـ إيران.
* محبوبة، جعفر، ماضي النجف وحاضرها، دار الأضواء، الطبعة الثانية ١٩٨٦م، النجف ـ العراق.
* المظفر، محمَّد رضا، أصول الفقه، مؤسَّسة النشر الإسلامي، الطبعة الرابعة، ١٤٢٨ هـ، قم ـ إيران.
* النجفي، الشيخ محمَّد حسن (ت ١٢٦٦هـ)، جواهر الكلام في شرح شرائع الإسلام، تحقيق: الشيخ عباس القوجاني، الطبعة الثانية، دار الكتب الإسلاميَّة ١٣٦٥ش، طهران ـ إيران. الطبعة السابعة ١٩٦١م، دار إحياء التراث العربي، بيروت ـ لبنان.

القيادة الرؤيويَّة للسيِّد اية الله العظمى علي السيستاني وأثرها في ترسيخ القيم للدفاع عن الوحدة الوطنيَّة - فتوى الجهاد المقدَّس أنموذجًا -

أ.د. يوسف حجيم سلطان الطائي
جامعة الكوفة / كلية الادارة والاقتصاد

أ.م.د. حسين محمد علي كشكول
جامعة الكوفة / كليَّة الإدارة والاقتصاد / جامعة وارث الأنبياء

ملخَّص البحث

أحدثت فتوى الجهاد الكفائي التي أطلقها المرجع الديني الأعلى، آية الله العظمى السيِّد علي السيستاني (دام ظله)، تحوُّلًا استراتيجيًّا في المشهدينِ: المحلي والدَّولي؛ إذ أعادت إبراز الدور الريادي للحوزة العلميَّة في النجف الأشرف في قيادة المجتمع وتعزيز أمنه واستقراره. وقد جاءت هذه الفتوى في سياق مواجهة تهديد وجودي يستهدف تمزيق النسيج الوطني وفرض أجندات خارجيَّة، ممَّا جعلها نقطة تحول حاسمة في التاريخ السياسي والاجتماعي للعراق الحديث.

تظهر هذه الدراسة طبيعة القيادة الرؤيوية للسيِّد السيستاني، التي اتَّسمت بالحكمة، والقدرة على قراءة الواقع، واتخاذ القرارات الحاسمة في اللحظات الحرجة. وتمثَّلت أبعاد هذه القيادة في الإرادة، والأصالة، والرؤية المستقبليَّة، والقدرة على التنبؤ الدقيق، والثقة في القرار المتخذ، والذكاء الاستراتيجي الميداني والبعد الروحي والإلهي الذي يعكس الارتباط بالمبادئ الدينيَّة، والتوكُّل على الله في اتِّخاذ القرارات المصيريَّة. وقد أسهمت هذه الأبعاد في ترسيخ منظومة من القيم الجهاديَّة التي لم تقتصر على طائفة معيَّنة؛ بل امتدَّت لتشمل جميع

مكوِّنات المجتمع العراقي، ممَّا أسهم في تعزيز الوحدة الوطنيَّة، وتكونت أبعاد القيم الجهاديَّة من الأبعاد الآتية: (الشجاعة والإخلاص والتضحية في سبيل الله، والقيم الروحيَّة والدفاع عن المظلومين)، وبعد قراءة إداريَّة لفتوى الجهاد المقدَّس، وانطلاقًا من ذلك، تتركَّز إشكاليَّة الدراسة حول التساؤل التالي: إلى أي مدى أسهمت القيادة الرؤيوية للسيِّد علي السيستاني في الحفاظ على الوحدة الوطنيَّة من خلال ترسيخ القيم الجهاديَّة؟

تعتمد الدراسة على منهجيَّة علميَّة تتوزَّع على أربعة مباحث رئيسة: يتناول الأوَّل الإطار المنهجي للدراسة، ويستعرض الثاني مفهوم القيادة الرؤيوية وعلاقتها بترسيخ القيم والوحدة الوطنيَّة، بينما يركز المبحث الثالث على التحليل الميداني، ويُختتم البحث بالمبحث الرابع الذي يستعرض أبرز الاستنتاجات والتوصيات.

الكلمات المفتاحيَّة: القيادة الرؤيوية، فتوى الدفاع الكفائي، القيم الروحيَّة، الوحدة الوطنيَّة، النجف الأشرف، السيِّد علي السيستاني، القيم الجهاديَّة.

Abstract

The Sufficient Jihad Edict issued by the Supreme Religious Authority, Grand Ayatollah Seid. Ali Al-Sistani (May Allah prolong his life), created a strategic shift in the local and international spheres. It re-emphasized the pioneering role of the Religious Seminary in Najaf Al-Ashraf in leading society and enhancing its security and stability. This Edict emerged in the context of confronting an existential threat aimed at tearing the national fabric and imposing external agendas, making it a decisive turning point in the political and social history of modern Iraq.

This study illustrates the nature of the visionary leadership for Seid. Al-Sistani , characterized by wisdom, the ability to discern reality, and decisive decision-making in critical moments. The dimensions of this leadership were represented by willpower, authenticity, future vision, accurate prediction, confidence in the decisions , strategic field intelligence, and the spiritual/divine dimension, reflecting a connection to religious principles and reliance on Allah in making fateful decisions. These dimensions contributed to entrenching a system of jihadist values that was not limited to a specific sect but extended to all components of Iraqi society, thereby fostering national unity. The dimensions of these jihadist values included: Courage, Sincerity, Sacrifice in the way of Allah, Spiritual Values, and Defence of the Oppressed. Based on an administrative reading of the Edict of Holy Jihad, the study's problem centers on the following question: To what extent did Sayyid Ali Al-Sistani's visionary leadership contribute to preserving national unity through the entrenchment of jihadist values?

Methodology: The study employs scientific methods, divided into four main sections. The first section covers the methodological framework. The second examines the concept of visionary leadership

and its relationship to instilling values and fostering national unity. The third focuses on field analysis. The fourth concludes with the most prominent findings and recommendations.

Keywords: Visionary Leadership, Sufficient Defence Edict, Spiritual Values, National Unity, Najaf Al-Ashraf, Sayyid Ali Al-Sistani, Jihadist Values

المبحث الأوَّل

منهجيَّة الدراسة العلميَّة

أوَّلًا: مشكلة الدراسة

تعدُّ القيادة الرؤيويَّة من المواضيع المهمَّة في الفكر الإداري الحديث التي تبنى على أساس رؤية القائد للموقف الذي يوجهه الجمهور، وأهم ما يميِّز هذه القيادة هو كيف يمكن مواجهه الأزمات والتحديات التي من الممكن أن تعصف بالحيِّز الذي يعيش فيه القائد، وهذا ظهر جليًا في العراق بعد أحداث عام ٢٠١٤، بعدما توجهت زمر التخريب والإرهاب لتفتيت الوحدة الوطنيَّة والقضاء على الشعب العراقي بمكوِّناته ودياناته وطوائفه كافَّة.

هنا تصدَّى القائد والمرجع الديني الأعلى السيِّد علي السيستاني لرسم خارطة الجهاد وغرس القيم الأخلاقيَّة والروحيَّة من خلال فتوى الجهاد المباركة، التي أسهمت في الحفاظ على الوحدة الوطنيَّة فضلًا عن معرفة الارتباط الروحي بهذه القيادة ذات الرؤية المستقبليَّة لوحده العراق ووحده شعبة من دون التفريق بأيِّ شرعيَّة ومن شرائح المجتمع، لذا تركَّزت دراستنا هذه في التساؤل الآتي: هل امتلك آية الله العظمى السيِّد علي السيستاني (دام ظله) قيادة رؤيوية ذات بُعد إلهي أسهمت في الحفاظ على الوحدة الوطنيَّة من خلال ترسيخ القيم الجهاديَّة؟"

ثانيًا: أهميَّة الدراسة

تكتسب هذه الدراسة أهميَّة كبيرة على مستويات عدَّة، سواء من الناحية الأكاديمية أو الاجتماعيَّة أو السياسيَّة:

١. الأهميَّة الأكاديمية: تقدم هذه الدراسة إضافة علميَّة في مجال القيادة الرؤيوية ومزجها مع الدينيَّة، حيث تسلط الضوء على أنموذج استثنائي للقيادة، ممثَّلًا في السيِّد علي السيستاني (دام ظله)، وكيفيَّة توظيفه للقيم الروحيَّة والجهاديَّة

في مواجهة التحديات من أجل الحفاظ على الوحدة الوطنيَّة، وكذلك توفر الدراسة إطارًا علميًّا لفهم العلاقة بين القيادة الرؤيوية والقيم الجهاديَّة، وهو ما يعزِّز من فهمنا للقيادة في سياقات دينيَّة وثقافيَّة متنوعة.

٢. الأهميَّة الاجتماعيَّة: تسهم الدراسة في فهم دور القيادة الدينيَّة في تعزيز الوحدة الوطنيَّة داخل المجتمع العراقي، الذي يتَّسم بتنوع مذهبي وطائفي. تكمن أهميَّة ذلك في تحديد كيفيَّة تأثير القيادة الدينيَّة على بناء التماسك الاجتماعي وتحقيق التوازن بين مختلف مكوِّنات المجتمع، بما يُسهم في تعزيز السلام المجتمعي والاستقرار.

٣. الأهميَّة الدينيَّة: تقدم الدراسة رؤية جديدة حول دور المرجعيَّة الدينيَّة في الحفاظ على السيادة الوطنيَّة في مواجهة التهديدات الأمنيَّة والسياسيَّة، وكذلك في الحفاظ على الأمن الداخلي من خلال توجيه المجتمع نحو القيم الجهاديَّة التي تعزِّز من موقفه في الأزمات، وهنا ترجمت النظريات القيادة الحديثة مع التوجه الديني أي القيادة الدينيَّة التي استطاعت أن تلهم الجماهير وتحشدهم لتحقيق النصر والحفاظ على اللحمة الوطنيَّة، وغرس روح الجهاد والتضحية لدى هذه الجماهير.

٤. الأهميَّة الميدانيَّة: أثبتت فتوى الجهاد الكفائي وخصوصًا في الميدان أروع صور الإيثار والشجاعة التي قام بها جنود المرجعيَّة من خلال تقديم الغالي والنفيس في سبيل الدفاع عن المجتمع العراقي بأسره من دون التميز من حيث الديانة أو المذهب، وكان خير شاهد على ذلك هو الميدان أو ساحات المعارك التي شهدها جنود الله في أرضه لحماية الأعراض والأرض والمقدَّسات.

ثالثًا: أهداف الدراسة

تهدف هذه الدراسة إلى تحقيق أهداف رئيسة عدَّة تُسهم في تعزيز فهم دور القيادة الرؤيوية للسيِّد علي السيستاني (دام ظله) في تعزيز الوحدة الوطنيَّة من

خلال ترسيخ القيم الجهاديَّة، ويمكن تلخيص أهداف الدراسة فيما يلي:

١. تحليل خصائص القيادة الرؤيوية للسيِّد السيستاني، وكيفيَّة تطبيقه للمبادئ الدينيَّة والأخلاقيَّة في توجيه المجتمع العراقي في مواجهة الإرهاب وتمزيق الوحدة الوطنيَّة العراقيَّة.

٢. دراسة مدى تأثير فتوى الجهاد الكفائي في تعزيز وحدة الشعب العراقي من خلال توجيه جميع فئات المجتمع لحماية الوطن والدفاع عنه، بغض النظر عن الانتماءات الطائفيَّة أو المذهبيَّة.

٣. تحليل الأبعاد الروحيَّة والجهاديَّة التي أضافها السيِّد السيستاني إلى مفهوم القيادة الرؤيوية، مثل الشجاعة والإخلاص والتضحية في سبيل الله، وكيفيَّة ترجمتها في الواقع الميداني.

٤. دراسة العلاقة بين القيم الجهاديَّة التي أرسى السيِّد السيستاني ملامحها في المجتمع العراقي، وبين تعزيز التماسك الاجتماعي والوحدة الوطنيَّة في مواجهة التحديات الداخليَّة والخارجيَّة.

٥. معرفة دور المرجعيَّة الدينيَّة في وضع الخطط الاستراتيجيَّة المستقبليَّة للحفاظ على الوحدة الوطنيَّة على الرغم التحديات العالميَّة الكبرى التي تعرض إليها العراق بعد دخول داعش الإرهابي إلى بعض المحافظات العراقيَّة.

٦. غرس روح الولاء للوطن وترسيخ مبادئ القيم الحميدة التي دافع عنها الأولياء الصالحين، فكانت الفتوى بمثابة إيقاظ الروح الدينيَّة لدى الجماهير المؤمنة بهذه القيادة.

رابعًا: مسوِّغات موضوع الدراسة

تنبع أهميَّة موضوع هذه الدراسة من مجموعة من الأسباب التي تجعلها ذات صلة وحاجة ماسَّة في الوقت الحالي، ويمكن تلخيص مسوِّغات موضوع الدراسة في النقاط التالية:

١. العراق، في ظلِّ الظروف التي مرَّ بها بعد عام ٢٠٠٣، واجه العديد من التحديات الأمنيَّة والسياسيَّة التي تهدد وحدته الوطنيَّة وأمنه الداخلي، بما في ذلك التهديدات الإرهابيَّة والتدخلات الخارجيَّة. فتوى الجهاد الكفائي التي أطلقها آية الله العظمى السيِّد علي السيستاني (دام ظله) كانت نقطة تحوّل حاسمة في مواجهة هذه التحديات. دراسة هذا الموضوع تساعد في فهم كيفيَّة استخدام القيادة الدينيَّة في تأطير هذه الأزمة وحشد الجهود الوطنيَّة لحماية العراق.

٢. في ظلِّ التنوِّع الطائفي والمذهبي في العراق، تعتبر القيادة الدينيَّة عاملًا رئيسيًا في تعزيز التماسك الاجتماعي والوحدة الوطنيَّة. الفتوى الجهاديَّة كانت مثالًا حيًّا على كيفيَّة توجيه جميع مكوِّنات الشعب العراقي نحو هدف مشترك، ممَّا يجعل دراسة دور القيادة الدينيَّة في هذا السياق أمرًا بالغ الأهميَّة.

٣. على الرغم من كثرة الدراسات حول القيادة السياسيَّة والعسكرية، فإن الدراسات التي تتناول القيادة الرؤيوية الدينيَّة وتأثيرها على المجتمع لم تأخذ حقها في البحث الأكاديمي. لذلك، فإنَّ هذه الدراسة تمثِّل إضافة مهمَّة في مجال القيادة الرؤيوية، وتوفر إطارًا لتحليل دور القيادات الدينيَّة في الحفاظ على الوحدة الوطنيَّة والشرعيَّة السياسيَّة.

٤. أنَّ القيم الجهاديَّة التي أرسالها السيِّد السيستاني من خلال فتوى الجهاد الكفائي لها تأثير كبير في تشكيل الوعي الوطني ورفع الروح المعنوية للمجتمع العراقي في مواجهة التحديات. دراسة تأثير هذه القيم على نفسيَّة المجتمع العراقي وأثرها في وحدة الشعب ضروري لفهم كيفيَّة تعزيز الانتماء الوطني في أوقات الأزمات.

٥. في عالم تتزايد فيه الأزمات السياسيَّة والاجتماعيَّة، تبرز الحاجة إلى نماذج قياديَّة مستدامة قادرة على مواجهة التحديات بشكل فعال. القيادة الرؤيوية

التي تمثلها فتوى السيِّد السيستاني تقدم نموذجًا مثاليًا يمكن دراسته للإفادة منه في سياقات مشابهة في دول أخرى قد تواجه تهديدات داخليَّة أو خارجيَّة.

٦. مع تزايد أهميَّة الديانات في حياة المجتمعات الحديثة، فإنَّ الدور الذي تلعبه القيادات الدينيَّة في إدارة الأزمات والحفاظ على استقرار الوطن أصبح محط اهتمام. دراسة تأثير القيادة الرؤيوية الدينيَّة في العراق تُسهم في فهم هذه الظاهرة وتطبيقها في سياقات أخرى.

المبحث الثاني

الإطار النظري والفلسفي للدراسة

اولًا: القيادة الرؤيوية من منظور الإدارة التقليديَّة

١. مفهوم القيادة الرؤيوية من منظور الإدارة التقليديَّة

تعد القيادة الرؤيوية نهجًا ديناميكيًّا يؤكِّد على أهميَّة رؤية واضحة ومقنعة لتوجيه المنظمات نحو النجاح في المستقبل، الذي يتميَّز بالقدرة على إلهام وتحفيز الأفراد على جميع المستويات، وتعزيز بيئة مواتية للابتكار والتغيير. لا يقوم القادة ذوو الرؤية بصياغة اتجاه استراتيجي فحسب؛ بل يشركون أيضًا فرقهم في تحقيق هذه الرؤية، وهو أمر بالغ الأهميَّة للنمو التنظيمي والتكيف في مشهد سريع التغير. لذا تطرق كثير من الكتاب والباحثين حول فلسفة القيادة الرؤيوية؛ إذ عرَّفها (Mutohar & Masduki، ٢٠٢٢: ٥٨٣) هي أسلوب قيادة يؤكِّد على إنشاء مستقبل مليء بالتحديات وهندسته، وهي تشمل القادة الذين يمكنهم صياغة الرؤى وتحويلها وتنفيذها لتحسين الجودة وصورة العلامة التجارية والقدرة التنافسيَّة للمؤسَّسات، فالقادة ذوو الرؤية بارعون في صياغة الرؤى من خلال تصور الإنجازات المستقبليَّة، وتوظيف التفكير المستقبلي، وإظهار البصيرة. يتضمَّن ذلك وضع أهداف واضحة وخطط استراتيجيَّة لتحقيق النتائج المرجوة في المستقبل، فتحويل الرؤية إلى

استراتيجيات قابلة للتنفيذ هو جانب رئيسي من القيادة الحكيمة. يتضمن ذلك التخطيط الاستباقي والقيادة لوضع أهداف واستراتيجيات محددة، ممَّا يضمن تحقيق الرؤية بفعالية وكفاءة.

ويضيف الباحثان كذلك أنَّ القادة ذوو الرؤية يدركون أنَّ التغيير ضروري للنمو والتنمية، وأنَّهم سبَّاقون في تنفيذ التغييرات والتواصل بفعالية للتغلب على المقاومة، ممَّا يضمن أنَّ المنظمة تتكيف مع الحقائق الجديدة وتظلُّ قادرة على المنافسة، كما يقوم القادة ذوو الرؤية بمواءمة العمليات مع الخطط الاستراتيجيَّة لضمان التنفيذ الفعال وتحقيق الأهداف التنظيميَّة. تساعد هذه المحاذاة في بناء صورة قويَّة للعلامة التجارية وتعزيز القدرة التنافسيَّة.

يشير (et. Kumala ،٢٠٢٣: ٢٠٦) أنَّ القيادة الحكيمة هي أسلوب يؤكِّد على الحاجة إلى رؤية واضحة ومقنعة لمستقبل المنظمة. توجه هذه الرؤية كيفيَّة تكيف المنظمة مع التغييرات والتأثير على أداء أعضائها. تساعد الرؤية القويَّة القادة على اتخاذ خيارات استراتيجيَّة تعزز النمو التنظيمي.

ويضيف الباحثان فالرؤية مهمَّة؛ لأنَّها توفر إحساسًا بالاتجاه والغرض. إنَّه يجيب على السؤال "ماذا نريد أن نصبح؟" ويمثِّل إيمانًا ملتزمًا بمستقبل أفضل. هذه الرؤية ليست قابلة للتحقيق بعد؛ ولكنَّها تقدِّم هدفًا أفضل من الحالة الحالية، ويمكن كذلك للقادة تطوير رؤيتهم إمَّا بعقلانيَّة وموضوعيَّة أو حدسيَّة وذاتيَّة. غالبًا ما تختلف الرؤية بناءً على أسلوب القائد والمحتوى والسياق ومن المهم للقادة توصيل هذه الرؤية بوضوح لكلٍّ من المتابعين وأصحاب المصلحة الخارجيين.

فالرؤية القويَّة تلهم المتابعين وتجعلهم يشعرون بالأهميَّة وأنَّهم جزء من شيء مهم فهي تساعدهم على فهم الأسباب الكامنة وراء أفعالهم وتربط الحاضر بالماضي، ممَّا يبرر التغييرات داخل المؤسَّسة.

ويعرفها (et. Sarwati ،٢٠٢٢: ٣٧) أيضًا أنَّها القدرة على إنشاء وصياغة رؤية واقعيَّة وقابلة للتصديق وجذابة للمستقبل. تتناول هذه الرؤية التحديات التي تواجهها المنظمة وتهدف إلى النمو والتحسين المستمر مقارنة بالحالة الحالية، وتتركَّز القيادة الحكيمة حول وضع رؤية واضحة ومقنعة للمستقبل وتوجيه المنظمة نحو تحقيقها. فهي تنطوي على أن تكون عامل تغيير، ومتواصل فعال، وداعم، وكلها ضروريَّة لدفع النمو والتحسين، لاسيَّما في البيئات التعليميَّة.

ويشير (Mansyur ،٢٠٢٢: ٧٧) كذلك إلى أنَّ مفهوم القيادة الحكيمة هي أسلوب القيادة؛ إذ يكون لدى القائد رؤية واضحة للمستقبل ويعمل على إلهام وتوجيه الآخرين نحو تحقيق تلك الرؤية. هذا النوع من القيادة مهم بشكل خاص في بيئات الأعمال؛ إذ يساعد في معالجة التحديات التعليميَّة المعقدة وتحسين ممارسات الإدارة، وكذا يتميَّز القادة ذوو الرؤية بقدرتهم على إنشاء الرؤية وتوضيحها وتنفيذها. إنَّهم يتمتعون بالثقة والوعي الذاتي والتعاطف، ممَّا يساعدهم على إلهام الآخرين وتحفيزهم. وأنَّهم يمتلكون القدرة على ترجمة رؤيتهم إلى أهداف قابلة للتنفيذ، وتوفير توجيه واضح وتعزيز بيئة تعاونية.

ويؤكِّد (Westover ،٢٠٢٤: ١٧) حول فهم القيادة ذات الرؤية؛ إذ يتمُّ تعريف القيادة ذات الرؤية على أنَّها القدرة على تصور إمكانيات جديدة وإلهام الآخرين لتحقيقها. وهي تتميَّز بإيمان قوي بالرؤية المبتكرة، والقدرة على بناء الشبكات والتعاون، والاستعداد لتحدي الوضع الراهن، والشغف لرؤية الرؤية من خلال عكس وجهات النظر التقليديَّة التي تربط القيادة ذات الرؤية مع الرؤساء التنفيذيين وكبار المديرين التنفيذيين، يمكن أن ينبثق هذا المفهوم من الموظفين على أي مستوى داخل المؤسَّسة. إنَّه مدفوع أكثر بشخصيَّة الفرد وقيمه ومهارات بناء العلاقات بدلًا من السلطة الرسميَّة أو

المسمَّى الوظيفي وذلك عبر فهم القيادة الحكيمة وتعزيزها على المستويات جميعها، يمكن للمنظمات تسخير الإمكانات الكاملة للقوى العاملة لديها ودفع التغيير الهادف.

٢. القيادة الرؤيوية في فكر آية الله العظمى السيِّد علي السيستاني

إنَّ السيِّد السيستاني يمتلك القدرة في القيادة البارعة وخصوصًا في القيادة الرؤيوية، ويمكن توضيح ذلك بالآتي:

أ. يمتلك آية الله العظمى السيِّد علي السيستاني رؤيةً واضحةً؛ لما سيكون عليه المستقبل، فبعد أن أرادت الأزمات أن تعصف بالعراق، وهنا ظهرت الرؤية واضحة أنَّ مستقبل العراق مهدد، ولابدَّ من العمل على تحفيز الجمهور للدفاع عن المبادئ السامية، وهي بهذه الأرض والوطن والدين.

أ.القدرة على إلهام الجمهور من خلال التعبئة الجماهيريَّة وأطلاق الفتوى الجهاديَّة التي أسهمت في تحقيق التماسك الجماهيري نحو الهدف الاستراتيجي والرؤية التي وضعها السيِّد السيستاني.

ب.استطاع السيِّد السيستاني أن يقنع الجماهير بالرؤية المستقبليَّة، ولابد الدفاع عن هذه الرؤية ومطابقة ودحر الإرهاب، وأن يتمكَّن من تخليص الأراضي العراقيَّة ودحر الإرهاب.

ت.العمل على بناء شبكات جماهيرية تتميَّز بالأيمان والرؤية المستندة إلى رؤية قائدهم في الدفاع عن الوحدة الوطنيَّة.

ث.توحيد صفوف الجماهير على مختلف شرائحهم والاشتراك برؤية موحدةٍ لكافَّة الديانات والطوائف والمذاهب، وهذه الرؤية هي الدفاع المقدَّس عن العراق.

ج.امتلاك السيِّد السيستاني مقوِّمات القيادة ومؤهلات الشخصية المؤثِّرة التي أسهمت في انصياع الجماهير الأخرى تحت قيادته.

٣. استراتيجيات التي استعملها السيِّد السيستاني لتعزيز القيادة الرؤيويَّة

هنالك العديد من الاستراتيجيات التي استدمت ميدانيًا في تعزيز فعاليَّة القيادة الرؤيوية، ومن أبرز هذه الاستراتيجيات:

أ.استراتيجيَّة تعزيز التماسك الجماهيري بوحدة العراق.

ب.استراتيجيَّة نشر وغرس المواطنة والدفاع عن الوطن واستبعاد الخلافات والاختلافات الآنيَّة.

ت.التوحيد من خلال العمل على توحيد الرؤية لدى كافة شرائح المجتمع ونبذ النزاعات والبينية والتوجيه نحو الدفاع المشترك.

ث.تعزيز القيم الجهاديَّة من خلال العمل على تعزيز القيم الجهاديَّة لدى الجماهير من خلال الثقة في القائد الرؤيوي.

ج.الدفاع عن الأقليات الدينيَّة من خلال العمل على الدفاع عن الأقليَّات الدينيَّة الموجودة في العراق واعتبارهم جزء لا يتجزأ من الطيف العراقي.

ح.التعامل الإنساني والعادل من خلال التركيز على التفاعل الإنساني وعدالة من كلِّ شركاء الوطن.

خ.استراتيجيَّة أنفسنا من خلال اعتبار إخوتنا في الدين من خلال التضحية والولاء، وهم يعتبرون جزء من أب شخصي عراقي.

٤ .استراتيجيَّات لتعزيز فعاليَّة القيادة الرؤيوية

لتعزيز فعاليَّة القيادة الحكيمة، يمكن للمنظمات تنفيذ مجموعة متنوعة من الاستراتيجيات التي تركز على تطوير الكفاءات الرئيسية وتعزيز بيئة داعمة. لا تعمل هذه الاستراتيجيات على تحسين فعاليَّة القيادة فحسب؛ بل تعزز أيضًا نمو الموظفين والنجاح التنظيمي. (٨٩٣- ٨٩٤: ٢٠٢٣، Handayani & (et. Sarwati ،٢٠٢٢ :٣٨)

أ.تطوير رؤية حادة: يجب أن يكون لدى القائد الحكيم رؤية واضحة

ومقنعة توجه المنظمة. يجب أن تكون هذه الرؤية واقعيَّة ولكنَّها صعبة، وتوفر التوجيه والتحفيز للفريق. تساعد الرؤية الحادة في تبسيط حل المشكلات واختيار الاستراتيجيَّات الفعالة.

ب.تعزيز التواصل الفعال: يجب على القادة الحكماء التواصل بفعالية مع أصحاب المصلحة الداخليين والخارجيين. يتضمن ذلك تقديم التوجيه والتشجيع والتحفيز لأعضاء الفريق، إضافة إلى التواصل بمهارة مع الأطراف الخارجيَّة المهمَّة مثل المستثمرين والعملاء.

ت.فهم البيئة الخارجيَّة والتكيف معها: يجب أن يكون القادة على دراية بالتهديدات والفرص الخارجيَّة وأن يتفاعلوا بشكل مناسب. يتضمن ذلك فهم البيئة الأوسع التي تعمل فيها المنظمة وتكييف الاستراتيجيات لمواجهة هذه التحديات

ث.تعزيز الابتكار والتغيير: يجب على القادة تشجيع الابتكار من خلال تشكيل فرق مخصصة لتنفيذ مهمَّة التغيير في المنظمة. يتضمن ذلك خلق بيئة داعمة يشعر فيها أعضاء الفريق بالثقة والتمكين لاتخاذ المبادرة والعمل بشكل تعاوني

ج.إنشاء بيئة عمل شاملة: مكان العمل الشامل يقدر التنوع ويضمن أن يشعر جميع الموظفين بالتقدير والتواصل. يتضمن ذلك تعزيز ثقافة يتم فيها الاعتراف بالاختلافات والإسهام بشكل إيجابي في ثقافة المنظمة ونتائجها.

ح.تقييم الممارسات التنظيميَّة وتكييفها: يساعد التقييم المنتظم لأداء الفريق على تحديد العقبات وتحسين العمليات. يجب على القادة تخصيص الوقت للتفكير في السيناريوهات الحالية والمستقبليَّة، واتخاذ قرارات مستنيرة تعزز الأداء التنظيمي والإنتاجيَّة.

خ.الإفادة من التكنولوجيا للتحول: يجب على القادة الحكماء مواءمة جهود التحول الرقمي مع القيم والقدرات الداخليَّة للمؤسَّسة. يتضمن ذلك

استخدام التكنولوجيا لتحسين الكفاءة والابتكار مع ضمان تجهيز الموظفين للتعامل مع الأدوات والعمليَّات الجديدة.

د.بناء الثقة والعادلة: إنَّ بناء الثقة والإنصاف داخل المنظمة أمر بالغ الأهميَّة. يجب على القادة التأكد من أن أعضاء الفريق يشعرون بالتقدير وأن هناك نظامًا عادلًا لتحفيز العمل الجاد والمبادرة.

ذ.لذا تساعد هذه الاستراتيجيات القادة الحكماء على التغلب على تحديات الاضطراب التكنولوجي وقيادة مؤسَّساتهم نحو النجاح.

٥.العوامل التي أسهمت في إنجاح القيادة الرؤيوية

هنالك العديد من العوامل التي ساعدت في إنجاح فتوى الجهاد الكفائي والقيادة الرؤيوية التي حدَّد معالمها السيِّد السيستاني ومن هذه العوامل هي:

أ.الممارسة لقيادة لقائدهم السيِّد السيستاني في مواجهه الأزمات بعد أن كان صمام الأمان للشعب العراقي.

ب.الشخصيَّة القويَّة والعادلة التي تميز بها السيِّد بقيادته الدينيَّة والتي اتَّسمت بالزهد والتقوى.

ت.تحديد الهدف المشترك فيها لشرائح المجتمع واعتباره هدف أسمى وعلى الجميع الدفاع عنه.

ث.محاربة لجميع وبكلِّ أنواع ومساندته للشعب العراقي بكلِّ مواقفه واتجاه الممارسات السياسيَّة المختلفة.

ج.إيمان الشعب العراقي بقيادة السيِّد السيستاني؛ لأنَّه لم يفرق بين أي موقف مهما كان انتمائه.

٦.القيم الروحيَّة في القيادة السيِّد السيستاني

إنَّ القيادة الرؤيوية للسيِّد السيستاني هي أصلًا قائمة على أساس القيم الروحيَّة والارتباط الروحي بين القيادة الجماهيريَّة والقائد على وفق الاخلاق

والممارسات الإنسانيَّة والدينيَّة والتجارب السابقة، لذا يمكن تحديد أهمِّ هذه القيم التي استنبطت من القيادة الرؤيوية للسيِّد السيستاني هي:

أ.التكامل القيمي: حفز السيِّد السيستاني القيم لمختلف شرائح المجتمع، وخلق حالة من التكامل فيما بين الجماهير؛ إذ كانت هذه القيم عابرة للدين والطائفة.

ب.الارتباط بالعامل الإنساني: إذ اعتبر السيِّد السيستاني بان كل العراقيين جميعهم وبحجمهم الإنساني في التعامل، وهذه الرابطة نسجت في بناء الوحدة الوطنيَّة.

ت.المواطنة الصالحة: أكَّد السيِّد السيستاني على المواطنة الصالحة هي أساس في بناء الإنسان، وأن تكون هذه المواطنة خصيصة لصالح الوطن ومحاربة الفتنه بأشكالها كافَّة.

ث.التركيز على الوحدة ولم شمل الوطن وعدم السماح للتفرقة، وأن تأخذ مسارها في هذا النسيج المتكامل.

ج.تعزيز الارتباط الروحي بقيادة السيِّد السيستاني من خلال الامتثال لرؤيته على وفق نظرية الجهاد الكفائي.

ثانيًا: القيادة الرؤيوية من منظور الإدارة الحديثة

١.مفهوم القيادة الرؤيوية من منظور الإدارة الحديثة ومنظور السيِّد السيستاني

تعد القيادة الرؤيوية من أبرز المفاهيم الإداريَّة الحديثة التي تُعنى بقدرة القائد على استشراف المستقبل، ووضع رؤية استراتيجيَّة واضحة، وتوجيه الأفراد نحو تحقيق أهداف بعيدة المدى، مع الحفاظ على الثوابت والمبادئ التي تحكم سلوك الأفراد والمجتمعات. القيادة الرؤيوية ليست مجرد إدارة حالية للأحداث؛ بل هي منهج شامل يعتمد على استيعاب المتغيرات المحيطة

والتنبؤ بتطوراتها، ممَّا يساعد على اتخاذ قرارات مؤثرة تضمن الاستقرار والتنمية في آن واحد.

لذا يؤكِّد مفهوم القيادة الرؤيوية في الإدارة الحديثة على أهميَّة الرؤية الواضحة والاستراتيجيَّة التي توجه المنظمات من خلال التغيير والابتكار. يتميَّز أسلوب القيادة هذا بالقدرة على الالهام والتحفيز، وتعزيز ثقافة التعاون والقدرة على التكيف. يُعد القادة ذوو الرؤية عنصرًا أساسيًا في التعامل مع تعقيدات البيئات التنظيميَّة المعاصرة؛ إذ يقومون بمواءمة رؤيتهم مع الاحتياجات المتطورة لفرقهم والسوق. لذا عرف القيادة الرؤيوية (١٦: ٢٠٢٤، Avdeeva & Lobanova) هي القدرة على إنشاء رؤية مقنعة للمستقبل تلهم وتحفز الأفراد على العمل من أجل تحقيقها، يعد هذا النوع من القيادة أمرًا بالغ الأهميَّة في بيئة الأعمال سريعة التغير اليوم؛ إذ تعد القدرة على التكيف والتفكير المستقبلي ضروريين للنجاح، ومن خلال تعزيز الرؤية المشتركة، يمكن للقادة ذوي الرؤية تعزيز مشاركة الأفراد ودفع الابتكار وتحسين الأداء التنظيمي.

وعرف (٢٥٢: ٢٠٢٥، Azizah) هي إنشاء رؤية مقنعة للمستقبل توجه المنظمة نحو الأهداف طويلة المدى، يتطلب الأمر من القادة أن يكونوا قادرين على التفكير المستقبلي والابتكار والقدرة على إلهام الآخرين للعمل من أجل تحقيق الأهداف المشتركة.

وعدت القيادة الرؤيوية في الإدارة الحديثة تتماشى عمومًا مع مبادئ القيادة الأخلاقيَّة والمشاركة المجتمعيَّة والتخطيط الاستراتيجي طويل الأجل، التي غالبًا ما يتم التأكيد عليها في تعاليمه، ولا تقتصر القيادة الحكيمة على أي مجال واحد؛ فهي قابلة للتطبيق في مختلف القطاعات، بما في ذلك الأعمال والتعليم والمنظمات غير الربحية. ويؤكِّد على أهميَّة التبصر والتخطيط الاستراتيجي

والقدرة على إلهام الناس وتعبئتهم نحو هدف مشترك.

كما يعزز ذلك (et. KARASEL ،٢٠٢٣: ٢٩) هي وضع رؤية واضحة وملهمة لمستقبل المنظمة؛ إذ يتعلق الأمر بفهم شكل المستقبل المثالي وتحفيز الآخرين على العمل من أجله، يعد هذا النوع من القيادة أمرًا بالغ الأهميَّة في الإدارة الحديثة؛ لأنَّه يساعد المؤسَّسات على التنقل عبر البيئات المعقدة والمتغيرة بسرعة، فالقادة ذوو الرؤية هم المسؤولون عن إنشاء وإيصال رؤية مقنعة تتوافق مع أهداف المنظمة وقيمها. إنَّهم بمثابة نماذج يحتذى بها؛ يلهمون ويوجهون فرقهم نحو تحقيق الأهداف الاستراتيجيَّة وأسلوب القيادة هذا مهم بشكل خاص في البيئات كافة؛ إذ يجب على القادة إعداد الجمهور للتحديات والفرص المستقبليَّة، كما يمكن أن تعزز بشكل كبير قدرة المنظمة على تحقيق أهدافها، من خلال تعزيز ثقافة التعاون والتحفيز، يساعد القادة ذوو الرؤية المنظمات على التكيف مع التغييرات واغتنام الفرص الجديدة. هذا مهم بشكل خاص في إدارة التعليم؛ إذ يجب على القادة التأكد من أنَّ المؤسَّسات تظلُّ ذات صلة وفعالة في مشهد سريع التطور.

٢. القيادة الرؤيوية كممارسة في فكر السيِّد علي السيستاني (مقارنه رؤيوية)

عند النظر إلى القيادة الرؤيوية في سياق السيِّد علي الحسيني السيستاني يمكن تحديدها في الآتي:

أ. أنَّها تتجسَّد بشكل فريد من خلال نهجه المتزن في التعامل مع الأزمات، ورؤيته الاستراتيجيَّة في إدارة المواقف المعقدة، التي كان لها الأثر الكبير في توجيه المجتمع العراقي نحو الوحدة والاستقرار.

ب. فقد عكست مواقفه الحكيمة قدرة عالية على التنبؤ بالمخاطر والتحديات، كما ظهر في استجابته للأزمات التي تعرَّض لها العراق، وأبرزها فتوى الجهاد الكفائي، التي لم تكن مجرد استجابة لحالة طارئة؛ بل كانت رؤية شاملة تهدف

إلى حماية كيان الدولة ومنع تفككها، مع الحفاظ على المبادئ والقيم التي تمثل الهويَّة الوطنيَّة والدينيَّة للمجتمع.

ت.أنَّ القيادة الرؤيوية لدى السيِّد السيستاني لم تكن نابعة من سلطة رسمية أو نفوذ سياسي، وإنَّما من ثقة المجتمع به؛ إذ استطاع أن يكون مصدر إلهام وتوجيه للجميع، من خلال التأثير الخطابي المتزن، مبني على الحكمة والواقعيَّة. بل اعتمد على التأثير الاجتماعي، وكان دائماً يسعى إلى تحقيق التوازن بين الثوابت الدينيَّة والضرورات السياسيَّة والاجتماعيَّة، من دون أن يسمح لأي طرف باستخدام الدين كأداة لتحقيق مكاسب سياسيَّة أو طائفيَّة.

ث.لم تكن رؤيته مقتصرة على حماية الطائفة الشيعية فحسب؛ بل اتسعت لتشمل جميع العراقيين بمختلف انتماءاتهم؛ إذ أكَّد في العديد من المناسبات على ضرورة الحفاظ على الوحدة الوطنيَّة، ودعا إلى التعامل مع القضايا بروح المسؤولية المشتركة، لقد تجلت هذه القيادة الرؤيوية في مواقفه التي رفضت التحريض على الفتنة الطائفيَّة، وسعت دائماً إلى تقريب وجهات النظر، وإعلاء مصلحة العراق فوق أي اعتبار آخر.

ج.إنَّ ما يميِّز القيادة الرؤيوية للسيِّد السيستاني هو قدرته على قراءة الأحداث بعمق، واتخاذ قرارات لا تقتصر على معالجة المشكلات الراهنة؛ بل تمتد لتؤسِّس لمستقبل أكثر استقرارًا، لم يكن موقفه في إدارة الأزمات عشوائيًا أو مبنيًا على ردود الأفعال اللحظية؛ بل كان قائماً على تخطيط دقيق يأخذ في الاعتبار كافَّة الأبعاد السياسيَّة والاجتماعيَّة والأمنيَّة. ومن هنا، كان توجيهه للمجتمع العراقي في أكثر اللحظات خطورة بمثابة بوصلة هادية، تجنَّبت العراق مخاطر الانزلاق إلى الفوضى.

ح.استطاع السيِّد السيستاني أن يحافظ على ثبات موقفه، وأن يوجه المجتمع نحو قيم التضحية والإخلاص والشجاعة، وهي القيم التي أسهمت في

ترسيخ مفهوم المواطنة الصالحة. فقد حرص على أن يكون خطابه داعماً لفكرة الدولة، بوصفها الإطار الذي يحفظ الحقوق والواجبات، ويرسخ العدالة والمساواة بين الجميع. ولم يكن مفهوم الجهاد الكفائي الذي دعا إليه مجرد أداة لمواجهة التحديات العسكريَّة؛ بل كان أيضًا رؤية تستهدف بناء مجتمع قوي، يؤمن بقيم الدفاع عن المظلومين، ونبذ الظلم والاستبداد.

خ.هنالك تداخل واضح للقيادة الرؤيوية للسيِّد السيستاني تتلاقى مع المفاهيم الحديثة في الإدارة؛ إذ إنَّها تقوم على مزيج من التوقع الاستراتيجي، والقدرة على التأثير، والمرونة في التعامل مع المتغيرات، لم تكن قراراته انفعاليَّة أو متسرعة؛ بل جاءت دائماً في إطار رؤية متكاملة، تستند إلى فهم عميق للواقع ومتطلبات المرحلة.

د.لقد كانت القيادة الرؤيوية للسيِّد السيستاني عاملاً محوريًا في توجيه المجتمع العراقي، وتعزيز قيم الوحدة والمواطنة، وترسيخ مبادئ الجهاد من أجل الوطن، وتبقى هذه التجربة مصدر إلهام للقيادات التي تسعى إلى تحقيق التوازن بين الواقع والمستقبل، والدفاع عن المبادئ السامية، من أجل بناء مجتمعات أكثر استقرارًا وإنسانية.

٣. أبعاد القيادة الرؤيوية على وفق منظور السيِّد السيستاني

يمكن فهم أبعاد القيادة الرؤيوية وفق منظور السيِّد السيستاني، من خلال عدسات مختلفة من نظريات وممارسات القيادة، لذا تتميَّز القيادة الرؤيوية بالرؤية طويلة المدى والقدرة على التكيف والقدرة على إلهام الناس وتعبئتهم لتحقيق الأهداف المشتركة، ويعُّد أسلوب القيادة هذا أمرًا بالغ الأهميَّة في التعامل مع البيئات المعقدة والديناميكية، حيث إنَّه يوائم الجهود التنظيميَّة مع المتطلبات البيئية. لذا تكمن أبعاد القيادة الرؤيوية التي بلورتها الإدارة الحديثة فيما يأتي:

أ.الإرادة: في سياق الإدارة الحديثة، تعكس إرادة السيِّد السيستاني أنموذجًا

للقيادة التي تجمع بين الثبات على المبادئ والمرونة في التطبيق، حيث تتجلَّى قدرته على التأثير في الأفراد والجماعات من خلال خطاب هادئ وموزون، يتَّسم بالحكمة وبعد النظر. لم تكن رؤيته مجرد نظريات نظرية؛ بل تحولت إلى واقع ملموس من خلال توجيهاته الحكيمة التي أسهمت في إعادة التوازن للمجتمع العراقي، لا سيَّما في أوقات الأزمات.

يمكن فهم بُعد الإرادة في القيادة الرؤيوية على وفق فلسفة السيِّد السيستاني، على أنَّه الإصرار العميق والالتزام الراسخ بتحقيق رؤية استراتيجيَّة تخدم الصالح العام وتحفظ القيم الأساسية للمجتمع. فالإرادة هنا لا تقتصر على مجرد رسم ملامح المستقبل؛ بل تمتد إلى تحمل المسؤولية الكاملة في مواجهة التحديات، وإيجاد الحلول المناسبة لضمان استقرار المجتمع وحمايته من الأزمات. (Amah & Jumbo، ٢٠٢٤: ١٤٤)

لقد ظهرت إرادة السيِّد السيستاني بوضوح في لحظات مصيرية، مثل إصدار فتوى الجهاد الكفائي، التي لم تكن مجرد دعوة للمواجهة العسكرية؛ بل كانت استراتيجيَّة متكاملة هدفت إلى حماية كيان الدولة والحفاظ على النسيج الاجتماعي. وقد كان لهذا القرار تأثير جوهري في إعادة صياغة مفهوم المسؤوليَّة المجتمعيَّة، حيث ألهم الأفراد للعمل من أجل تحقيق الأمن والاستقرار، بدلًا من الاستسلام للفوضى أو التبعية للأجندات الخارجيَّة.

ب.الأصالة: يمكن فهم الأصالة في القيادة الرؤيوية للسيِّد السيستاني على أنَّها تجسيد حقيقي ومتسق للقيم والمبادئ التي تعكس جوهر الهويَّة الدينيَّة والاجتماعيَّة للأمة، حيث لا تقتصر الأصالة هنا على الصدق مع الذات؛ بل تمتد إلى المسؤولية الأخلاقيَّة والدينيَّة في قيادة المجتمع نحو الاستقرار والوحدة.

الأصالة في قيادة السيِّد السيستاني تتجلَّى في الشرعيَّة الروحيَّة والرمزيَّة التي يمتلكها بين أتباعه؛ إذ تستند قيادته إلى مرجعيَّة دينيَّة ذات جذور عميقة في

التاريخ الإسلامي، ممَّا يعزز من شرعيته الأخلاقيَّة والقياديَّة (٤٣: ٢٠٢٣، et. Gooty). لم تكن مواقفه وتوجيهاته انعكاسًا لمتطلبات اللحظة؛ بل كانت امتدادًا لمنهجيَّة متكاملة تتَّسم بالاتساق بين الفكر والممارسة، إذ لم يسعَ إلى النفوذ أو السلطة؛ بل إلى تحقيق الخير العام على وفق مبادئ العدل والرحمة. تظهر الأصالة في القيادة الرؤيوية للسيِّد السيستاني في اتساق قراراته مع القيم الإسلاميَّة والإنسانيَّة، وفي قدرته على توجيه الأفراد نحو رؤيةٍ جماعيَّة موحدة من دون اللجوء إلى الإكراه أو الاستغلال السياسي. فهو قائد يوازن بين الحكمة والتواضع، ويعتمد على التأثير الأخلاقي بدلًا من القوَّة القسرية، ممَّا يجعله أنموذجًا فريدًا للقيادة التي تجمع بين الأصالة الروحيَّة والمصداقية المجتمعيَّة، كما أن أصالته تتجلَّى في مواقفه المبنية على مبادئ ثابتة لا تتغير على وفق المصالح الظرفيَّة؛ بل تستند إلى رؤيةٍ طويلةِ الأمد تسعى إلى تعزيز القيم الجهاديَّة بروحها الأخلاقيَّة والإنسانيَّة، وليس فقط بمعناها العسكري. إذ كانت توجيهاته دائماً تصب في صالح بناء مجتمع متماسك، يتجاوز الانقسامات المذهبيَّة والعرقيَّة، ويستند إلى وحدة الهدف والولاء للوطن والمبادئ السامية. (Alsayegh, 2024). وبذلك فإنَّ الأصالة في قيادة السيِّد السيستاني ليست مجرد مفهوم فردي يعكس صدق القائد مع نفسه؛ بل هي منظومة متكاملة تربط بين القيم الدينيَّة، والشرعيَّة الاجتماعيَّة، والتأثير العاطفي والمعرفي، ممَّا يجعله قائدًا رؤيويًا قادرًا على إلهام أتباعه ودفعهم نحو تحقيق المصلحة العامَّة بروح من الإيمان والالتزام الجماعي.

ت.الرؤية المستقبليَّة: تقوم الرؤية المستقبليَّة في القيادة الرؤيوية للسيِّد السيستاني على استشراف المستقبل من خلال قراءة دقيقة للواقع وتوقع التحديات ورسم مسارات استراتيجيَّة لضمان استقرار المجتمع والحفاظ على وحدته. لا تقتصر رؤيته المستقبليَّة على المعالجات الظرفية للأزمات؛

بـل تتجـذر في التخطيـط طويـل الأمـد والإرشـاد الاسـتراتيجي، الـذي يهـدف إلى ترسـيخ القيـم الدينيَّـة والإنسـانيَّة في الأفـراد، وتعزيـز وحـدة المجتمـع بعيـدًا عـن النزاعـات (٣٦: ٢٠٢٤، et. Wang) لـذا فـإنَّ ملامـح الرؤيـة المسـتقبليَّة في قيـادة السـيِّد السيسـتاني تكمـن فيـما يـأتي:

» التبـصر والاسـتشراف: يتمتـع السـيِّد السيسـتاني بقـدرة فريـدة عـلى قـراءة التحـولات الاجتماعيَّـة والسياسـيَّة، حيـث لا يتعامـل مـع الأحـداث بـردود أفعـال آنيـة؛ بـل يسـعى إلى اسـتشراف نتائجهـا بعيـدة المـدى. يتجـلَّى هـذا في توجيهاتـه التـي تؤكـد عـلى أهميَّـة المحافظـة عـلى السـلم الأهـلي، وتعزيـز الروابـط الوطنيَّـة، والابتعـاد عـن الانجـرار وراء الأجنـدات الخارجيَّـة.

» الحفـاظ عـلى الهويَّـة والوحـدة الوطنيَّـة: ترتكـز رؤيتـه المسـتقبليَّة عـلى التماسـك المجتمعـي والحفـاظ عـلى وحـدة الصـف الوطنـي، إذ ينظـر إلى الاسـتقرار الداخـلي عـلى أنَّـه عامـل أسـاسي لتحقيـق تنميـة مسـتدامة وحمايـة المجتمـع مـن الانقسـامات المذهبيَّـة والسياسـيَّة. لذلـك، تـبرز توجيهاتـه كمصـدر إلهـام لتوجيـه الأفـراد نحـو قيـم التسـامح والتعايـش المشـترك.

» التكيـف مـع التغيـرات دون التفريـط بالمبـادئ عـلى الرغـم التحـولات السريعـة التـي شـهدها العـراق والمنطقـة، لم تكـن رؤيـة السـيِّد السيسـتاني جامـدة أو متأثـرة بضغـط اللحظـة؛ بـل حافظـت عـلى اتـزان اسـتراتيجي بـين الثبـات عـلى المبـادئ والانفتـاح عـلى آليـات التغيـير. فهـو يدعـو إلى التفاعـل الإيجـابي مـع المتغـيرات، مـع الحفـاظ عـلى القيـم الجوهريَّـة التـي تضمـن اسـتقرار المجتمـع.

» تحقيـق التغيـير عـبر الإرشـاد لا السـيطرة: عـلى عكـس النـماذج القياديَّـة التقليديَّـة التـي تفـرض رؤاهـا بالقـوَّة، يعتمـد السـيِّد السيسـتاني عـلى الإقنـاع الأخلاقـي والوعـي الفكـري في ترسـيخ رؤيتـه المسـتقبليَّة. إذ يسـعى إلى بنـاء مجتمـع واعٍ قـادر عـلى اتخـاذ قراراتـه بنـاءً عـلى أسـس عقلانيَّـة وأخلاقيَّـة، ممَّـا يعـزز الاسـتدامة في

نهج الإصلاح والتغيير.

» دعم المبادرات الوطنيَّة وتعزيز التنمية: لا تقتصر رؤيته المستقبليَّة على القضايا الدينيَّة والسياسيَّة فقط؛ بل تمتد إلى دعم التعليم، وتشجيع المبادرات الإنسانيَّة، وحثّ المجتمع على تبنِّي ممارسات تؤدِّي إلى تحسين الواقع الاقتصادي والاجتماعي. إذ يرى أنَّ التقدم لا يتحقق إلَّا من خلال بناء مؤسَّسات قويَّة ومتينة قادرة على قيادة المجتمع نحو مستقبل مستدام.

» لذا فإنَّ الرؤية المستقبليَّة في القيادة الرؤيوية للسيِّد السيستاني ليست مجرد تصورات نظرية؛ بل هي نهج عملي يستند إلى الحكمة والتخطيط الاستراتيجي، ويهدف إلى بناء مجتمع قوي متماسك قادر على مواجهة التحديات بروح من المسؤوليَّة والالتزام الأخلاقي. تعتمد هذه الرؤية على مبدأ أنَّ التغيير الحقيقي والمستدام لا يتحقق بالقوَّة، وإنَّما من خلال الإرشاد الواعي وترسيخ القيم الجوهرية التي تجعل المجتمع قادرًا على تطوير ذاته وتحقيق استقراره دون المساس بثوابته الأساسيَّة.

ث.القدرة على التنبؤ الواضح: تمثِّل القدرة على التنبؤ الواضح إحدى السمات الجوهريَّة في القيادة الرؤيوية؛ إذ تعكس قدرة القائد على استشراف المستقبل والتعامل مع التحديات بطريقة استراتيجيَّة تضمن تحقيق الأهداف طويلة الأمد. في هذا السياق، يظهر السيِّد السيستاني أنموذجًا متكاملًا لهذه القدرة؛ إذ يستند في رؤيته إلى تحليل دقيق للأوضاع السياسيَّة والاجتماعيَّة والاقتصادية، ممَّا يمكنه من تقديم توجيهات حكيمة تتناسب مع طبيعة المرحلة وتحدياتها. إنَّ هذا النهج لا يقتصر على مجرد قراءة الأحداث؛ بل يتعداها إلى استباقها، عبر اتخاذ مواقف مدروسة تسهم في حماية استقرار المجتمع وتوجيهه نحو مستقبل أكثر أمنًا واستدامة. (Mansyur، ٢٠٢٢: ٧٧)

تعتمد القيادة الرؤيوية للسيِّد السيستاني على رؤية استراتيجيَّة متكاملة تأخذ بعين النظر التطورات الداخليَّة والخارجيَّة، وتضمن أن تكون القرارات التي يتخذها متماشية مع المصالح العامة مع الحفاظ على المبادئ الدينيَّة والأخلاقيَّة. إنَّ هذا النوع من التنبؤ لا يعتمد فقط على المعرفة العميقة بالواقع؛ بل على القدرة على التأثير فيه من خلال قرارات حكيمة تعكس فهماً عميقًا لطبيعة التحولات المجتمعيَّة. فمن خلال خطبه وتوجيهاته، نجده دائماً يركز على أهميَّة الوعي المجتمعي واتخاذ القرارات التي تخدم الأجيال القادمة، ممَّا يدل على بُعد نظر قيادي استثنائي.

فضلًا عن ذلك، فإنَّ التنبؤ الواضح في قيادة السيِّد السيستاني لا يقتصر على المستوى السياسي والاجتماعي؛ بل يمتدُّ إلى بناء وعي مجتمعي يعزز ثقافة التخطيط والاستدامة. فهو يدعو إلى التفكير الاستراتيجي واتخاذ القرارات بناءً على رؤية مستقبليَّة، محذرًا من الوقوع في ردود الأفعال العاطفية غير المدروسة. ومن خلال توجيهاته، عمل على ترسيخ منهجيَّة تعتمد على الحكمة والتخطيط السليم، ممَّا أسهم في تشكيل وعي جمعي قادر على مواجهة التحديات بأسلوب أكثر نضجًا وفاعلية.

إنَّ القدرة على التنبؤ الواضح التي يتحلَّى بها السيِّد السيستاني تعكس أنموذجًا متفردًا للقيادة الرؤيوية؛ إذ تمكن عبر رؤيته العميقة واستشرافه الدقيق للمستقبل من تقديم إرشادات شكلت حجر الأساس في استقرار المجتمع وتوجيهه نحو مسارات أكثر حكمة واتزانًا. فمن خلال جمعه بين الحكمة والتخطيط الاستراتيجي، استطاع أن يكون مرجعًا روحيًا وفكريًا للمجتمع، يوجهه نحو مستقبل قائم على العدالة والاستقرار والتنمية المستدامة.

ج.الثقة في القرار المتخذ: تمثل الثقة في القرار المتخذ عنصرًا جوهريًا في القيادة الرؤيوية؛ إذ تتيح للقائد التأثير العميق على الاتباع وتحفيزهم نحو

تحقيق الأهداف المشتركة. وتعتمد هذه الثقة على أسسٍ متينة من المصداقيَّة، والعدالة، والالتزام بالقيم والمبادئ التي تعزز مكانة القائد كمرجعيَّة فكريَّة وأخلاقيَّة. وفي هذا الإطار، يجسِّد السيِّد السيستاني أنموذجًا متفرِّدًا للقيادة الرؤيوية؛ إذ تستند قراراته إلى الحكمة والتبصر في المستقبل، ممَّا يعزِّز الثقة المطلقة لدى أتباعه، ويدفعهم للامتثال الواعي لرؤيته التوجيهية.

إنَّ ثقة المجتمع في قرارات السيِّد السيستاني ليست مجرد شعور عابر؛ بل هي نتاج تاريخ طويل من الالتزام بالمصلحة العامَّة، واتخاذ مواقف مسؤولة تجاه القضايا المصيرية. فهو يعتمد على نهج متكامل يجمع بين الإدراك العميق للواقع، والاستشراف الدقيق للمستقبل، ممَّا يمنحه قدرة استثنائية على اتخاذ قرارات مدروسة تتماشى مع التغيرات الاجتماعيَّة والسياسيَّة من دون التفريط في المبادئ الأساسية. وتنعكس هذه الثقة في قدرة السيِّد السيستاني على توجيه الرأي العام؛ إذ تتَّسم قراراته بالحكمة والحياد، ممَّا يجعلها تحظى بقبول واسع لدى مختلف فئات المجتمع. (Wickramasinghe، ٢٠٢١: ٤٩٢)

لذا، فإنَّ الثقة في قرارات السيِّد السيستاني تمتد إلى البعد الثقافي والتاريخي؛ إذ يُنظر إليه كرمز للأصالة والشرعيَّة الدينيَّة، ممَّا يجعله قادرًا على التأثير في سلوك الأفراد والمؤسَّسات. هذه الثقة لا تقتصر على أتباعه المباشرين؛ بل تشمل مختلف مكوِّنات المجتمع؛ إذ تتمتَّع قراراته بقبول واسع نظرًا لنهجه القائم على الحكمة والتروي في اتخاذ المواقف. وقد انعكست هذه الثقة بوضوح في العديد من المحطات التاريخية، وقد شكلت توجيهاته نقطة ارتكاز لمواقف وطنيَّة ومجتمعيَّة أسهمت في استقرار المجتمع وحمايته من الأزمات.

إنَّ مفهوم الثقة في القرار المتخذ من منظور القيادة الرؤيوية للسيِّد السيستاني يرتكز على الجمع بين الشرعيَّة الأخلاقيَّة والواقعيَّة السياسيَّة، ممَّا يعزز من تأثير قراراته ويجعلها قادرة على إحداث تحولات إيجابية على

المستويات المختلفة. فهو أنموذج للقائد الذي لا يفرض رؤيته بالقوة؛ بل يقود بالمصداقية والاحترام، ممَّا يجعله مصدر إلهام للأفراد والمؤسَّسات في بناء مستقبل مستقر ومستدام. (Alsayegh, 2024)

ح. الذكاء الاستراتيجي الميداني: يعدُّ الذكاء الميداني الاستراتيجي أحد الركائز الأساسيَّة للقيادة الرؤيوية؛ إذ يتمثَّل في قدرة القائد على استشراف المستقبل، وتحليل المعطيات، واتخاذ القرارات التي تضمن التكيف مع التحديات وتعزيز الاستقرار المستدام. ومن هذا المنطلق، تتجلى القيادة الرؤيوية للسيِّد السيستاني من خلال قدرته على توظيف الذكاء الميداني الاستراتيجي بطريقة متوازنة تجمع بين الإدراك العميق للواقع المحلي، والرؤية المستقبليَّة المستنيرة، والالتزام بالقيم والمبادئ الأخلاقيَّة التي تحفظ التوازن الاجتماعي والثقافي.

يمتاز السيِّد السيستاني بنهج قيادي يدمج بين الذكاء الاستراتيجي والتخطيط بعيد المدى، ممَّا يمنحه القدرة على التفاعل مع التغيرات السياسيَّة والاجتماعيَّة بحكمة وبصيرة. فهو لا يعتمد على الاستجابات العفوية للأحداث؛ بل يتبنَّى مقاربة تعتمد على المراقبة الدقيقة للأوضاع، واستيعاب التحولات الجارية، وتقييم انعكاساتها المحتملة على المجتمع. وتبرز هذه الاستراتيجيَّة في مواقفه وتوجيهاته، التي لا تهدف إلى معالجة الأزمات فحسب؛ بل تسعى أيضًا إلى خلق بيئة مستقرة تتيح للمجتمع التكيف مع التغيرات من دون المساس بثوابته وقيمه الأساسيَّة.

إنَّ الذكاء الميداني الاستراتيجي للسيِّد السيستاني يتمثَّل في قدرته على تحقيق توازن دقيق بين الاستجابة للتحديات الراهنة والحفاظ على الرؤية طويلة المدى. فهو يدرك أنَّ القرارات الآنية يجب أن تكون منسجمة مع الأهداف الكبرى، وهو ما يظهر بوضوح في توجيهاته المتعلقة بالقضايا الوطنيَّة والاجتماعيَّة؛ إذ يحرص على أن تكون قراراته نابعة من قراءة دقيقة للواقع،

ومستندة إلى رؤية استراتيجيَّة تضمن تحقيق الصالح العام.

وعلاوة على ذلك، فإنَّ السيِّد السيستاني يوظف الذكاء الميداني الاستراتيجي في تعزيز الوعي المجتمعي؛ إذ يحرص على نقل رؤيته بوضوح وشفافية، ممَّا يخلق مناخًا من الثقة المتبادلة بينه وبين المجتمع. فهو لا يفرض قراراته بشكل مباشر، وإنَّما يعمل على تمكين الأفراد والمؤسَّسات من فهم أبعادها والتفاعل معها بشكل إيجابي. وهذا النهج يجعل توجيهاته أكثر تأثيرًا واستدامة؛ إذ تصبح جزءًا من الوعي الجماعي، وليس مجرد قرارات عابرة تفرضها الظروف المؤقتة. (Tsvasman, 2024) (Zahra, 2024).

إنَّ الذكاء الميداني الاستراتيجي من منظور القيادة الرؤيوية للسيِّد السيستاني ليس مجرد أداة تحليلية لصنع القرار؛ بل هو نهج متكامل يهدف إلى تحقيق التوازن بين الحكمة والاستراتيجيَّة، والثوابت والتطورات، ممَّا يعزِّز استقرار المجتمع ويوجهه نحو مستقبل مستدام ومبني على أسس راسخة من القيم والوعي العميق بالمتغيرات.

خ.البعد الروحي والإلهي: يُعَدّ البعد الروحي والإلهي في القيادة الرؤيوية للسيِّد السيستاني أحد الأسس الجوهريَّة التي تستند إليها مواقفه وتوجيهاته؛ إذ يجمع بين الحكمة العمليَّة والبصيرة الروحيَّة في نهج قيادته. لا تنحصر رؤيته في الأبعاد الإداريَّة أو السياسيَّة فقط؛ بل تمتدُّ لتشمل الارتقاء بالقيم الأخلاقيَّة وترسيخ المبادئ الدينيَّة في حياة الأفراد والمجتمعات، ممَّا يجعل قيادته أنموذجًا فريدًا من القيادة التي تستمد مشروعيتها من البعد الروحي والإلهي، لذا تتجلَّى القيادة الروحيَّة للسيِّد السيستاني في قدرته على التأثير العميق في المجتمع من خلال تجسيد القيم الإلهيَّة كالعدل والرحمة والتواضع. فهو لا يقتصر على تقديم الإرشادات؛ بل يمارس هذه القيم في سلوكه، ما يجعله قدوة يُحتذى بها. هذا التأثير لا ينبع فقط من موقعه الديني؛ بل من مصداقيته في تطبيق

المبادئ التي ينادي بها، ممَّا يعزز من ثقة الناس به واستجابتهم لتوجيهاته. (Firdaus ،٢٠٢٣: ٥٤)

يؤكِّد السيِّد السيستاني على أنَّ القيادة الحقيقية لا تقتصر على تحقيق الأهداف الدنيوية أو الإداريَّة؛ بل تمتد إلى بناء الإنسان وإرساء أسس مجتمع متماسك أخلاقيًا وروحيًا. فهو يربط بين القرارات والمواقف السياسيَّة والاجتماعيَّة وبين البعد الروحي؛ إذ يرى أنَّ أي تغيير حقيقي ومستدام لا يمكن أن يتحقق إلَّا إذا كان قائمًا على قيم العدالة والتسامح والإيثار. هذا التوجه يجعله قائدًا رؤيويًا يُوجّه المجتمع نحو التنمية الشاملة التي تأخذ في الاعتبار الجوانب الروحيَّة والمادية على حد سواء.

إلى جانب ذلك، فإنَّ البعد الإلهي في قيادته لا يُترجم فقط في مستوى الأفراد؛ بل يمتد إلى مستوى السياسات والمواقف العامَّة. فهو يحرص على أن تكون جميع القرارات والمبادرات متوافقة مع القيم الدينيَّة والإنسانيَّة، بحيث تخدم الإنسان وتحقق العدل من دون تمييز أو انحياز. هذه الرؤية الروحيَّة تمنحه قدرة استثنائية على التأثير في مختلف الفئات الاجتماعيَّة؛ يجد الجميع في خطابه ومواقفه صدىً لتطلعاتهم الروحيَّة والأخلاقيَّة.

إنَّ القيادة الرؤيوية للسيِّد السيستاني، القائمة على البعد الروحي والإلهي، تمثِّل أنموذجًا متكاملًا من القيادة الحكيمة التي لا تقتصر على تحقيق الأهداف الزمنيَّة؛ بل تسعى إلى تحقيق التوازن بين المصلحة العامَّة والقيم الإلهيَّة، ممَّا يجعلها أنموذجًا فريدًا في عالم القيادة الحديثة.

ثالثًا: ترسيخ القيم الجهاديَّة

١. مفهوم ترسيخ القيم الجهاديَّة

إنَّ مفهوم تأسيس القيم الجهاديَّة للدفاع عن الوحدة الوطنيَّة معقد ومتعدد الأوجه، وينطوي على أبعاد تاريخية وأيديولوجيَّة وسياسيَّة. لذا عرف (٣:

٢٠٢٢، Juma) تتمثل القيم الجهاديَّة الدفاعية في الالتزام بحماية الأوطان والحقوق المشروعة على وفق مبادئ العدل والواجب الديني؛ إذ يُنظر إليها بوصفها فرض عين عند التعرض للعدوان. تمتزج هذه القيم بالروح الوطنيَّة، إذ تعزز مقاومة الاستعمار والدفاع عن السيادة، مع الالتزام بالضوابط الأخلاقيَّة والإنسانيَّة. كما تشمل بُعدًا اجتماعيًا يدعم التضامن والتنمية، ممَّا يجعلها إطارًا شاملًا لحماية الاستقرار وتحقيق العدالة.

ويعرف (٢١٩: ٢٠٢٣، Whiteside) القيم الجهاديَّة إلى مجموعة من المبادئ والأيديولوجيات التي توجه الجماعات الجهاديَّة؛ إذ تركز على الصراع كوسيلة لتحقيق أهداف سياسيَّة ودينيَّة، مثل إقامة الخلافة. تتداخل هذه القيم مع الأيديولوجيا والهويَّة، ممَّا يحدد سلوك الجماعات وعلاقاتها الداخليَّة والخارجيَّة. كما تلعب دورًا أساسيًا في تشكيل الاستراتيجيات والصراعات بين الفصائل المختلفة، ممَّا يعكس تفاعلًا معقدًا بين الدين والسياسة.

في حين أشار (٧٢: ٢٠٢١، Khelghat) أنَّ القيم الجهاديَّة هي المبادئ المستمدة من تفسير معين للإسلام، التي تركز على الجهاد بوصفه وسيلة لتحقيق أهداف دينيَّة واجتماعيَّة، مثل إقامة مجتمع يحكمه الشريعة. تشمل هذه القيم بناء مجتمعات بديلة، وتعزيز الهويَّة الجماعيَّة، وتجنيد الأتباع، مع التأكيد على دور المرأة في دعم التنظيم واستمراريته.

ويعرِّفها (١٦٦: ٢٠٢٢، Islamic) أنَّ القيم الجهاديَّة هي مجموعة من المبادئ التي تتبناها الحركات الجهاديَّة، التي تستند إلى تفسير خاص للإسلام يركز على مفهوم الجهاد بوصفه وسيلة لتحقيق أهداف دينيَّة وسياسيَّة. تشمل هذه القيم التمييز بين الجهاديين والمسلمين الآخرين، والاعتقاد بضرورة تطهير المجتمع من الأعداء المتصورين، وغالبًا ما تتأثر بمعاداة السامية والأيديولوجيات الراديكالية. كما تعتمد على أفكار شخصيات مؤثرة مثل

حسن البنا وسيد قطب، الذين وضعوا أسسها الأيديولوجيَّة، إلى جانب تبني نهج صارم لحل التهديدات على وفق رؤية دينيَّة مشددة.

ويشير (Ahmad، ٢٠٢٤: ١١) القيم الجهاديَّة تُفهم على أنَّها مجموعة من المبادئ التي تتبناها الجماعات الجهاديَّة، وتشمل الالتزام بتفسير صارم للشريعة الإسلاميَّة، والسعي لإنشاء دولة إسلاميَّة، واستخدام العنف بوصفه وسيلةً لتحقيق الأهداف السياسيَّة والدينيَّة. ومع ذلك، تُشير بعض الدراسات إلى أنَّ نجاح هذه الجماعات لا يعود فقط إلى نشر أيديولوجياتها؛ بل إلى قدرتها على ملء الفراغ الناجم عن فشل الحكومات في توفير الأمن والخدمات. يوضح ذلك أنَّ قيمهم قد تكون أكثر براغماتيَّة؛ إذ تركز على الاستقرار وكسب الدعم المحلي بدلًا من التحول الأيديولوجي وحده.

ويؤكِّد (Fanani، ٢٠٢٢: ٢٥) أنَّ مفهوم القيم الجهاديَّة تشير إلى مجموعة من المبادئ والمعتقدات التي ترتبط بمفهوم الجهاد في الفكر الإسلامي، التي تتباين في تفسيرها تبعًا للسياقات الدينيَّة والسياسيَّة والاجتماعيَّة. تتركَّز هذه القيم حول الالتزام بمواجهة التحديات التي تُعتبر تهديدًا للأمَّة الإسلاميَّة، سواء عبر الوسائل العسكريَّة أو السلميَّة، كما تُستخدم كأداة لتحقيق أهداف مختلفة، مثل نشر العقيدة، مقاومة الاحتلال، تحقيق العدالة الاجتماعيَّة، أو إقامة نظام حكم يستند إلى الشريعة الإسلاميَّة. ويختلف تطبيق هذه القيم باختلاف التيارات الفكريَّة والتاريخيَّة؛ إذ قد يتمُّ توظيفها في سياقات سياسيَّة أو أيديولوجيَّة لتعزيز شرعيَّة الحركات والجماعات التي تتبناها.

كما يعرف الباحثان القيم الجهاديَّة هي منظومة من المبادئ المستمدة من الشعور بالمسؤوليَّة الوطنيَّة، التي تهدف إلى حماية سيادة الدولة والحفاظ على وحدة المجتمع. تتجسد هذه القيم في الالتزام بالدفاع عن الوطن، وتعزيز التماسك الاجتماعي، ونبذ الفتن والانقسامات، والعمل على ترسيخ مبادئ

العدالة والتعاون بين أفراد المجتمع، بما يضمن استقرار الدولة واستمرار نهضتها.

٢.خصائص القيم الجهاديَّة وفق رؤية السيِّد السيستاني

يمكن تحديد العديد من الخصائص للقيم الجهاديَّة على وفق رؤية السيِّد السيستاني وهي:

أ.انبثاق القيم الجهاديَّة من الدين الإسلامي الحنيف والممارسات المكملة له من خلال السيرة النبويَّة الشريفة وقيم أهل البيت عليهم السلام ودورهم في الجهاد لأعلاء كلمة الحق.

ب.محاربة الهيمنة أو سيطرة جهة معيَّنة والتحكم بمقدرات الشعب واستخدام أساليب البطش والقتل والمحافظة على حرمة الدم وعند الدفاع عن هذه المظالم كأنَّها تعدُّ أهم القيم الجهاديَّة.

ت.السيطرة على مدَّة الصراع بعد أن تدخلت قوى الظلام لغزو العراق وسيطرة أفراد مجرمين على مناطق العراقيَّة واستبيح فيها الدم العراقي، وهنا تم تحفيز القيم الجهاديَّة لإعلان النفير للقضاء على هكذا عصابات.

ث.بناء منظومة المواطنة من الشعب العراقي للاستشهاد والتضحية في سبيل الوطن ضد التكفيرين؛ إذ يعدُّ الاستشهاد طريق المكافئة الروحيَّة والعروج إلى السماء.

٣.أبعاد القيم الجهاديَّة

تشمل أبعاد القيم الجهاديَّة تفاعلًا معقدًا بين المكنون الديني والتربية والأخلاقيَّة للأفراد، إلَّا أنَّه يمثِّل صراعًا أوسع من أجل الخير ويمكن فهم هذا المفهوم المتعدد الأوجه من خلال وجهات نظر مختلفة، بما في ذلك التفسيرات الكتابية والتعبيرات الثقافية والسياق الاجتماعي والسياسي الذي يشكل الأيديولوجيات المتشددة، لذا سوف يتطرق الباحثان حول الفهم الأوسع لهذه الأبعاد ومن أبرزها هي:

أ.الشجاعة: يعد بعد الشجاعة من الأبعاد المجتمعة في عمليَّة ترسيخ القيم

الجهاديَّة منذ فجر الإسلام ومازال لحد الوقت الحالي بكون الشجاعة محور مهم في حسم النزال بين الحق والباطل، وهنالك العديد من القيادات الدينيَّة التي استندت في تحقيق النصر الاستراتيجي من خلال اختيار قادة شجعان لحسم الموقف الطارئ، وخير مثال على ذلك عندما قلَّد النبي محمَّد عليه الصلاة والسلام المنازلة الكبرى بين الإسلام واليهود وفي مصادقة خيبر، إذ قال الرسول (ص) خرج الإسلام كلة للكفر كلة فكان القائد الأعلى النبي واختيار الشخص الذي يمتلك الشجاعة في حسم الموقف الطارئ، وهذا تكرر في عصرنا الحالي إذ اتخذ قرار الجهاد الكفائي من لدن السيِّد السيستاني في مواجهة الظلم،(٧٦: ٢٠٢٢، Sternberg) وهنا ركَّز السيِّد السيستاني على الآتي:

» تتجسَّد الشجاعة في موقف متزن ومسؤول، ارتكز على الحكمة والأخلاق، وليس على الاندفاع والتطرف.

» فالشجاعة الحقيقيَّة على وفق رؤيته، لا تختزل في استخدام القوة أو العنف، وإنَّما في الوقوف بثبات أمام الظلم، والعمل على إصلاح المجتمع بوسائل سلمية تعزز الاستقرار وتحفظ كرامة الإنسان.

» ركَّز السيِّد السيستاني على ضرورة ضبط النفس والقدرة على اتخاذ القرارات الصائبة في الأوقات العصيبة، فالموقف الشجاع ليس بالضرورة موقفًا عنيفًا؛ بل هو موقف حكيم ومسؤول يهدف إلى تحقيق الأمان للمجتمع، بعيدًا عن الفوضى وردود الأفعال المتسرعة.

» الرؤية الواضحة في دعوته المستمرة إلى التهدئة خلال إدارة الأزمات، ورفضه للانجرار إلى نزاعات قد تؤدِّي إلى إضعاف المجتمع وتمزيق نسيجه الاجتماعي.

» الموقف الشجاع من الأحداث التي عصفت بالعراق؛ إذ لعب دورًا حاسماً

في توجيه الناس نحو الدفاع عن وطنهم؛ ولكن ضمن ضوابط أخلاقيَّة وإنسانيَّة صارمة.

» التأكيد على أنَّ الدفاع عن الوطن والمقدَّسات يجب أن يكون على وفق القيم الإسلاميَّة التي تحرم الاعتداء على الأبرياء وتدعو إلى احترام حقوق الإنسان.

» ركَّز السيِّد السيستاني على مواجهة الفساد، والدعوة إلى الإصلاح، والتصدي لكلِّ ما يهدِّد وحدة المجتمع. فالموقف الشجاع ليس فقط في حمل السلاح؛ بل في قول الحق.

» ركَّز السيِّد السيستاني على التمسك بالمبادئ على الرغم من الضغوط، والعمل الدؤوب لتحقيق العدالة والاستقرار.

» من خلال ما تقدم يتَّضح أنَّ بعد الشجاعة مهم جدًا في ترسيخ القيم الجهاديَّة والشموليَّة، التي من خلالها استطاع السيِّد السيستاني من توحيد جميع أطياف الشعب العراقي على وفق رؤيته القياديَّة التي ركَّزت على الحفاظ على الوحدة الوطنيَّة

ب.الإخلاص: يُعد الإخلاص من القيم الأساسيَّة التي تشكل جوهر الفهم الصحيح للجهاد في الفكر الإسلامي، ويكتسب بعدًا أكثر عمقًا عند النظر إليه من منظور آية الله السيِّد علي السيستاني، وعليه فقد ركَّز السيِّد على الآتي: (Dalla ،٢٠٢٤: ٢٧٩)

» الإخلاص في رؤية السيِّد السيستاني، ليس مجرد شرط شكلي؛ بل هو جوهر الأعمال التي تُبنى على النية الصادقة والهدف النبيل.

» ركز السيِّد السيستاني على أهميَّة الإخلاص ومعرفة القيمة الحقيقية لهذا المصطلح وأن يكون العمل خالصًا لوجه الله تعالى وبعيدًا عن المصالح الشخصية أو الدوافع الدنيوية.

» يؤكد السيِّد السيستاني على أنَّ الإخلاص يتجاوز مجرد الانخراط في القتال ليشمل الالتزام بالعدالة، ونصرة المظلوم، والسعي إلى تحقيق السلام والاستقرار.

» أنَّ الإخلاص للوطن وهو مسؤولية شرعيَّة وأخلاقية يجب أن تنطلق من نية صافية تهدف إلى الدفاع عن الحق من دون أن تشوبها دوافع التعصب أو الأهواء الشخصيَّة.

» أنَّ الجهاد الذي يفتقر إلى الإخلاص يتحول إلى وسيلة لتحقيق مكاسب سياسيَّة أو ماديَّة، لا يحقِّق الغاية الحقيقيَّة التي شرع من أجلها.

» وقد تجلَّى هذا الفهم العميق للإخلاص في مواقف السيِّد السيستاني، لا سيَّما في دعوته إلى الجهاد الكفائي، لذا يعد الإخلاص على وفق رؤيته، لا يقتصر على ساحات المعارك؛ بل يمتدُّ إلى كافة مجالات الحياة، بما في ذلك العمل السياسي والاجتماعي. فالموقف المخلص هو الذي يسعى إلى تحقيق الخير العام، دون البحث عن مكاسب شخصيَّة أو مصالح فئوية. ولذلك، كان السيستاني دائماً يدعو إلى توحيد الصفوف، والترفع عن الخلافات الضيقة، والالتزام بالمسؤوليَّة الوطنيَّة بروح خالصة ونقيَّة.

» بهذا المعنى، فإنَّ الإخلاص، كما يراه السيستاني، هو الأساس الذي يضبط أي تحرك جهادي أو إصلاحي، ويحول دون انحرافه عن مساره الأخلاقي والشرعي. فهو ليس مجرد فضيلة فرديَّة؛ بل هو معيار جوهري يحدد شرعيَّة العمل وفاعليته، ويضمن أن يكون الجهاد وسيلة لتحقيق العدل والسلام، وليس أداة للصراع والتفرقة.

ت. التضحية في سبيل الله: تعُّد التضحية في سبيل الله من القيم الجهاديَّة الجوهرية التي تُمثِّل جوهر الالتزام الديني والأخلاقي في الفكر الإسلامي، وتأخذ بُعدًا أكثر عمقًا في رؤية آية الله السيِّد علي السيستاني. لا تُختزل التضحية في الفعل العسكري

أو الاستعداد لمواجهة الأعداء فحسب؛ بل تتَّسع لتشمل أشكالًا متنوعة من التفاني والإيثار في سبيل تحقيق العدالة وخدمة المجتمع. فالجهاد، كما يراه السيستاني، ليس مجرد معركة مادية؛ بل هو قبل كل شيء مسؤولية روحيَّة وأخلاقيَّة تتطلب الإخلاص في النية والعمل، مع التركيز على البناء والإصلاح بدلًا من الهدم والتدمير. (٣٢: ٢٠٢٤، Ali) ويمكن توضيح أهميَّة هذا البعد من خلال الاتي:

» عَدَّ السيِّد السيستاني أن التضحية الحقيقيَّة هي الاستعداد لبذل الجهد والتفاني في سبيل القيم السامية، سواء كان ذلك من خلال الدفاع عن وحده الوطن، أو نشر العلم والمعرفة، أو العمل على تحقيق العدالة الاجتماعيَّة.

» أنَّ هذا الفهم العميق للتضحية في مواقفه العمليَّة التي ركَّز عليها السيِّد السيستاني، لا سيَّما في دعوته إلى الجهاد الكفائي؛ إذ لم تكن دعوته مجرد نداء لحمل السلاح؛ بل جاءت ضمن رؤية متكاملة تحثُّ على الالتزام بالقيم الإنسانيَّة والأخلاقيَّة في مواجهة التحديات التي عصفت بالعراق. فقد شدد على أن الجهاد يجب أن يكون وسيلة لحماية الوحدة الوطنيَّة والنسيج الاجتماعي، وردع الظلم.

» أنَّ مفهوم التضحية في سبيل الله هي مشروطة بالانضباط الأخلاقي والامتثال التام لمبادئ الإنسانيَّة، ممَّا يعكس فهماً راقيًا.

» أنَّ التضحية تعني التفاني في خدمة الآخرين، وتحقيق الأمان لمختلف شرائح المجتمع العراقي، حتَّى لو تطلب ذلك بذل الجهد والوقت والموارد.

» التضحية في سبيل الله تشمل العطاء في مختلف المجالات، من خلال تحمل المسؤوليَّة الاجتماعيَّة، والعمل من أجل وحدة المجتمع، والسعي لنشر السلام والعدل.

» من خلال ما تقدَّم يتَّضح أنَّ بعد التضحية في سبيل الله كمفهوم جهادي تكرَّر في العراق من خلال الفتوى المقدَّسة التي أعادت هيبة الجهاد والتضحية في سبيل الله؛ إذ تقدم الالاف من الشعب العراقي ليضحو بأنفسهم في سبيل

الديـن ونـشر الإسـلام والطمأنينـة في المجتمـع، بعـد أن تعـرَّض إلى تهديـد صـارخ وواضـح مـن شـذاذ العـالم التـي تمثَّلـت بالعصابـات التكفيريَّـة.

ث.القيـم الروحيَّـة: تشـكل القيـم الروحيَّـة بعـدًا أساسـيًا مـن القيـم الجهاديَّـة عـلى الجهـاد الروحـي والأخلاقـي، الـذي يعكـس التزامًـا عميقًـا بالقيـم الإسـلاميَّة النبيلـة، لـذا يـرى السيستاني أنَّ الجهـاد ليـس مجـرد مواجهـة ميدانيَّـة؛ بـل تهذيـب للنفـس، وتقويـة للإيـمان، والسـعي لتحقيـق العدالـة بوسـائل سـلميَّة وأخلاقيَّـة، ممَّـا يعكـس بُعـدًا روحيًـا متجـذرًا في الفهـم الإسـلامي الأصيـل للجهـاد. وهـذا المنطلـق الـذي اعتمـد في مواجهـه التكفـير مـن قبـل السـيِّد السيسـتاني وتعزيـز الصـبر، والتواضـع، والإحسـان، ممَّـا يجعـل الفـرد أكثـر قـدرة عـلى مواجهـة التحديـات بـروح مسـؤولة وأخلاقيَّـة. وعـدت القيـم الروحيَّـة تُشـكل جوهـر الجهـاد الحقيقـي، (٦٦: ٢٠٢٢، Ahlan & Redho) إذ ركَّـز هـذا البعـد عـن الآتي:

» أنَّ القيـم الروحيَّـة تعـزِّز الصـبر إذ كانـت النيـة الخالصـة لله عـز وجـل، التـي تنعكـس هـذه الرؤيـة في مواقفـه التـي تؤكِّـد عـلى أنَّ أي صراع، مهـما كانـت طبيعتـه، يجـب أن يكـون منضبطًـا بالقيـم الأخلاقيَّـة، وألا يتحـول إلى وسـيلة لتحقيـق مكاسـب دنيويـة أو أهـداف ضيقـة. ولهـذا، يشـدد عـلى أنَّ النضـال مـن أجـل العدالـة يجـب أن يكـون قائمًا عـلى المبـادئ السـامية، مثـل الرحمـة، والتسـامح، ونبـذ العنـف غـير المـبرر، وهـو مـا يُعـد تجسـيدًا للقيـم الروحيَّـة التـي تميِّـز الجهـاد المـشروع عـن النزاعـات القائمـة عـلى التعصـب والعـدوان.

» القيـم الروحيَّـة اسـتلهمت لـدى المجاهديـن روح النضـال مـن أجـل احقـاق الحـق والعدالـة المنبثـة مـن المبـادئ الإسـلاميَّة السـامية مثـل الرحمـة ونبـذ العنـف والدفـاع عـن المقدَّسـات.

» ركَّز السيِّد السيستاني على القيم الروحيَّة التي أخذت بين أطيافه الالتزام بالمبادئ الأخلاقيَّة والروحيَّة في التكامل مع الآخرين، والدفاع عن أبناء الوطن الواحد.

» ركَّزت القيم الروحيَّة على تحقيق السلام والعدل والدفاع وإيقاظ التماسك الوطني لدى أبناء الشعب الواحد.

» ومن خلال ما تقدَّم يتَّضح أنَّ القيم الروحيَّة في فكر السيِّد السيستاني بوصفه قوَّة دافعة للجهاد في معناه الأوسع؛ إذ يكون الهدف النهائي هو تحقيق الإصلاح الأخلاقي والمجتمعي، وتعزيز الوعي الديني، وتقوية صلة الإنسان بالله، ممَّا يجعله قادرًا على مواجهة التحديات بروح مسؤولة، بعيدًا عن العنف غير المشروع والتطرف.

واستنادًا إلى ما تقدَّم يمكن تحليل العلاقة بين القيادة الرؤيوية وترسيخ القيم الجهاديَّة على وفق رؤية قيادة السيِّد السيستاني، وهما المتغيران الرئيسيان اللذان تمَّ مناقشتهما في إطار الدراسة النظري. ولا نتعامل مع هذين المتغيرين كظواهر منفصلة؛ بل كعناصر مترابطة تسهم في بناء وعي جماعي يعزِّز الوحدة الوطنيَّة ويعكس قدرة القيادة الدينيَّة على توجيه الشعب نحو التضحية والعطاء من أجل وطنهم. إن فهم العلاقة بين هذين المتغيرين يمكن أن يوفر رؤًى جديدة حول كيفيَّة تأثير القيادة الرؤيوية في ترسيخ القيم الجهاديَّة التي تحافظ على الأمن الاجتماعي والتماسك الوطني. من خلال مجموعة من النقاط وأبرزها هي:

» القيادة الرؤيوية في فكر السيِّد السيستاني

القيادة الرؤيوية في السياق العراقي تمثِّل أكثر من مجرد القدرة على التوجيه أو اتخاذ قرارات استراتيجيَّة؛ وعيًا دينيًّا يراعي التحديات الخاصَّة التي يوجهها العراق، في العصر الحديث عدت القيادة الرؤيوية من القيادات

الملهمة للإخلاص والتقديم التفاني من قبل المرؤوسين، وتجسَّدت هذه القيادة في أفعال وتوجهات السيِّد السيستاني من خلال اصدار قرارات استراتيجيَّة مهمَّة ذات رؤية مستدامة التي تمكن من خلال الآتي:

١. الإرادة: أظهرت قيادة السيِّد السيستاني إرادة واضحة في مواجه الباطل والعصابات التكفيريَّة وهذه الإرادة ترجمت إلى أفعال وصولات جهاديَّة من قبل أبناء العراق لتصديهم إلى هذه العصابات، وهنالك كانت الإرادة ذات توجهات:

الأوَّل: أرادة القيادة التي تحمل الرؤية المستقبليَّة لما سيكون عليه المستقبل.

الثاني: إرادة الشعب العراقي في مواجهة الأزمات والأخطار.

٢. تجسَّدت الأصالة التي عدت بعد رئيسي من أبعاد القيادة الرؤيوية في فكر السيِّد السيستاني، التي تمثَّلت في الرؤية الشرعيَّة والروحيَّة والرمزيَّة لما يمتلكه السيِّد من إلهام وحماس الجماهير لتقديم الغالي والنفيس لمواجهة الإرهاب.

٣. الرؤية المستقبليَّة: إذ ركَّز السيِّد السيستاني على الرؤية المستقبليَّة لما سيكون عليه مستقبل العراق فكان بحقٍّ قائدًا ذا رؤية واضحة لقرارة المستقبل لما يوجهه من أخطار وأزمات مستقبليَّة تجعل العراق مفتت وغير قادر على الدفاع عن نفسه.

٤. عندما اتَّخذ السيِّد السيستاني قرارًا شجاعًا وحازمًا وصارمًا، وهو قرار المواجهة من خلال الفتوى فكانت هنالك ثقة واضحة من لدن السيِّد في تحقيق النصر الاستراتيجي وثقته في الجماهير التي تنطوي تحت قيادته، وهذا مكَّن المرؤوسين من تحقيق النصر التاريخي.

المبحث الرابع

استنتاجات والمقترحات البحثيَّة المستقبليَّة

أوَّلًا: استنتاجات الدراسة

استنادًا إلى التحليل الإداري على وفق فلسفة القيادة الرؤيوية والفهم المعمق للمواضيع التي تناولتها الدراسة حول القيادة الرؤيوية للسيِّد علي السيستاني (دام ظله)، وأثرها في تعزيز الوحدة الوطنيَّة من خلال القيم الجهاديَّة، يمكن التوصل إلى مجموعة من الاستنتاجات الرئيسية التي تلخص نتائج البحث، وتشمل:

١. تُظهر الدراسة أنَّ القيادة الرؤيوية للسيِّد السيستاني كانت العامل الرئيسي في توحيد الشعب العراقي بمختلف طوائفه وأديانه في مواجهة التهديدات الإرهابيَّة، وذلك من خلال فتوى الجهاد الكفائي. هذه الفتوى كانت بداية لتوجيه الجهود الوطنيَّة نحو هدف مشترك، وهو الحفاظ على وحدة العراق واستقراره، بغضِّ النظر عن الانتماءات الطائفيَّة أو المذهبيَّة.

٢. تمثِّل فتوى الجهاد الكفائي التي أطلقها السيِّد السيستاني نقطة تحوُّل محوريَّة في زيادة الثقة بين الشعب العراقي والقائد الرؤيوي والمتمثِّلة بالسيِّد السيستاني من خلال الفتوى المباركة. وقد أثبتت هذه الفتوى قدرتها على تعبئة المجتمع العراقي بشكل غير مسبوق، وإشراك جميع شرائح المجتمع في حماية البلاد، ممَّا أدَّى إلى تكوين جبهة وطنيَّة موحَّدة لمواجهة الخطر.

٣. تجلَّت القيم الجهاديَّة، مثل الشجاعة والإخلاص والتضحية في سبيل الله، في سلوك المجتمع العراقي بعد إطلاق الفتوى، ممَّا ساعد في تعزيز الروح الوطنيَّة في مواجهة التحديات والقيادة الرؤيوية لم تقتصر على توجيه الناس للقتال فقط؛ بل كانت تهدف إلى ترسيخ القيم الروحيَّة التي تعزِّز من وحدة الشعب وأمنه.

٤. القيادة الرؤيوية للسيِّد السيستاني أدَّت إلى تعزيز الشجاعة والإخلاص؛ إذ أدرك الناس أنَّ الحفاظ على الوحدة الوطنيَّة يحتاج إلى المواجهة والشجاعة في

دحر الإرهاب هو واجب ديني ووطني في الوقت نفسه، باعتبار القيم الجهاديَّة التي تركِّز على الدفاع عن المظلومين وحماية الوطن، ساعدت في تعزيز الشعور بالمسؤوليَّة لدى أفراد المجتمع تجاه العراق ككل.

٥. تسهم القيادة الرؤيوية في بناء استقرار اجتماعي المستدام من خلال تعزيز القيم الروحيَّة التي لا تقتصر على الدفاع العسكري فحسب؛ بل تشمل العمل الاجتماعي والتطوعي والإسهام في إعادة إعمار البلاد. هذا التوجه يُسهم في تحقيق التماسك الاجتماعي والتعاون بين مختلف شرائح المجتمع العراقي.

٦. شدَّدت القيادة الرؤيوية على ضرورة الالتزام بالقيم الإنسانيَّة، ممَّا يُسهم في تشكيل ثقافة مقاومة سلميَّة تهدف إلى تحصين المجتمع لحماية نفسه، وبناء مجتمع قائم على التفاهم والاحترام المتبادل بين مختلف المكوِّنات.

٧. أكَّدت الدراسة أنَّ الفتوى الجهاديَّة للسيِّد السيستاني كانت جامعة لجميع مكوِّنات الشعب العراقي من مختلف الطوائف والمذاهب. فهي لم تكن تهدف فقط إلى الدفاع عن المكون الشيعي؛ بل كانت دعوة للجميع من أجل الحفاظ على أمن العراق ووحدته الوطنيَّة.

٨. من خلال تعزيز القيم الجهاديَّة، لعبت القيادة الرؤيوية للسيِّد السيستاني دورًا مهماً في بناء المواطنة الصالحة. إذ شجَّعت على تعزيز المسؤولية الوطنيَّة وحب الوطن والعمل الجماعي من أجل مصلحة العراق العليا، ممَّا أسهم في تنمية وعي وطني قوي ومستدام.

ثانيًا: توصيات الدراسة

وتتمثَّل هذه التوصيات في النقاط التالية:

١. يجب على القيادات الدينيَّة في العراق وغيرها من الدول التي تمر بأزمات مشابهة الإفادة من تجربة القيادة الرؤيوية للسيِّد علي السيستاني (دام ظله) في توجيه المجتمع وتوحيد الجهود في مواجهة التحديات. من الضروري أن تكون

هناك استراتيجيات لإشراك المؤسَّسات الدينيَّة في القضايا الوطنيَّة والأمنيَّة، بما يعزِّز من التلاحم الاجتماعي والوحدة الوطنيَّة.

٢. ينبغي تضمين القيم الجهاديَّة مثل الشجاعة، الإخلاص، التضحية، والدفاع عن المظلومين في المناهج التعليميَّة، وذلك لتربية الأجيال القادمة على مفاهيم المواطنة الصالحة والوحدة الوطنيَّة. يمكن تطوير برامج دراسيَّة تعزِّز هذه القيم في المدارس والجامعات، بهدف بناء جيل قادر على مواجهة التحديات وتحقيق التنمية الوطنيَّة.

٣. يوصى بتنظيم حملات للتوعية على مستوى البلاد لتعزيز مفهوم الوحدة الوطنيَّة بين مختلف مكوِّنات الشعب العراقي، مع التركيز على القيم التي تمَّ التأكيد عليها في فتوى الجهاد الكفائي. هذه الحملات يمكن أن تشمل وسائل الإعلام التقليديَّة والحديثة، بما في ذلك الإعلام الرقمي، لتعزيز روح التعاون والتماسك الاجتماعي.

٤. يمكن أن تكون القيم الجهاديَّة أساسًا لتحفيز العمل التطوعي في المجتمع. ينصح بتطوير استراتيجيَّات لدعم العمل التطوعي وتشجيع المواطنين على المشاركة في الأنشطة المجتمعيَّة التي تعزِّز من استقرار المجتمع وتُسهم في تحقيق التنمية المستدامة. يمكن أن تشمل هذه الأنشطة دعم المشاريع التنموية وإعادة إعمار المناطق المتضررة.

٥. يجب إشراك الشباب في عمليَّة القيادة الوطنيَّة، خاصَّة في المناصب الشبابيَّة والتطوعيَّة؛ إذ يمكن أن يكونوا عنصرًا فعالًا في تعزيز القيم الوطنيَّة، بما في ذلك الوحدة الوطنيَّة ومكافحة الإرهاب. يمكن تنفيذ برامج تدريبية وورش عمل لبناء قيادات شابة قادرة على تحقيق أهداف التنمية الوطنيَّة.

٦. ضرورة أن تركِّز السياسات الوطنيَّة على تعزيز التماسك الاجتماعي بين جميع الطوائف والمكوِّنات العراقيَّة. يتعيَّن وضع خطط حكوميَّة ومجتمعيَّة لتعزيز مفاهيم التسامح والتعايش السلمي، وتفعيل دور القيادات الدينيَّة في

توجيه رسائل السَّلام والمحبة لجميع فئات الشعب.

٧.ضرورة تشجيع البحث العلمي في مجال القيادة الرؤيوية وتأثيرها على المجتمعات في الأوقات الطارئة، وينبغي دعم الدراسات الأكاديميَّة التي تستعرض دور القيادات الدينيَّة في تعزيز الوحدة الوطنيَّة، وأن يتمَّ توفير الدعم المالي والمعنوي للباحثين في هذا المجال.

٨.إقامة مؤتمرات وندوات أكاديمية دوليَّة تجمع بين الخبراء في القيادة الدينيَّة والسياسيَّة لدراسة تجارب القيادة الرؤيوية وكيفيَّة تعزيز الاستقرار الاجتماعي في الدول المتعددة الثقافات والأديان. ستكون هذه الفعاليات منصَّة لتبادل الخبرات وتقديم الحلول العمليَّة لمواجهة التحديات السياسيَّة والأمنيَّة.

٩.دعم المبادرات الوطنيَّة التي تروج للقيم الروحيَّة كجزء من الهويَّة الوطنيَّة، وذلك لتشجيع المواطنين على التعاون من أجل مصلحة العراق العليا. يمكن تطوير برامج ثقافيَّة واجتماعيَّة تعزِّز من هذه القيم وتربطها بالجوانب الاقتصاديَّة والتنمويَّة في المجتمع.

المصادر والمراجع

* عيس، امتنان ستار و الموسوي، عماد نعمة هاشم و المسعودي، فواز فائق صليبي، ٢٠٢٤، تقدير دالة البقاء بالفترة لتوزيع فريجت لبيانات الضبابية لمرض سرطان الدماغ في محافظة كربلاء المقدَّسة، مجلة وارث العلميَّة، المجلد ٦، العدد خاص.

* المسعودي، فواز فائق صليبي و حسن، حسن عبد الأمير و هادي، أمير حاكم، ٢٠٢٤، تحليل العلاقة بين التجارة الخارجيَّة البينية وبعض المؤشرات الاقتصاديَّة الكلية للسعوديَّة للمدة (٢٠٠٤-٢٠٢١) ، مجلة وارث العلميَّة، المجلد ٦، العدد ١٨.

* الحمداني، محمد مجيد و كاظم، ضياء عزيز محمد، ٢٠٢٣، ثقافة الصورة وفاعليتها في تعزيز التسويق الرقمي في الجامعات الأهليَّة دراسة استطلاعيَّة تحليليَّة لآراء عينة من طلبة جامعة وارث الأنبياء ﷺ، مجلة وارث العلميَّة، المجلد ٥ .

* الحمداني، محمد مجيد و محسن، بشائر علي، ٢٠٢٤، دور المصارف الخضراء في تعزيز التميز المعرفي للمؤسَّسات المصرفيَّة دراسة استطلاعيَّة لآراء عينة من العاملين في مصارف العراقية للتجارة في محافظتي كربلاء المقدَّسة وبغداد، مجلّة وارث العلميَّة، المجلد ٦، العدد خاص.

* الحبوبي، محمد نبيل هادي، ٢٠٢٢، أبطال المعرفة كمتغير تفاعلي في العلاقة ما بين البراعة الاستراتيجيَّة والاداء المعرفي دراسة استطلاعيَّة تحليليَّة لآراء عينة من موظفي مركز البحث والتأهيل المعلوماتي في جامعة الكوفة، العدد ٤، المجلد ١٠.

* Sayfiyeva, N., Abdumajidova, N., & Zafarov, M. (2023). Explaining Jihadi Fratricide (pp. 41–56). Oxford University Press eBooks. https://doi.org/10.1093/oso/9780197685563.003.0003

* Putra, T. M., Midhio, I. W., & D.A.R., D. (2022). Increasing the values of the state defense among youth in fighting the threat of radicalism. 8(2), 167. https://doi.org/10.56555/sps.v8i2.1524

* Putra, T. M., Midhio, I. W., & D.A.R., D. (2022). Increasing the values of the state defense among youth in fighting the threat of radicalism. 8(2), 167. https://doi.org/10.56555/sps.v8i2.1524

* Rehman, J. (2022). Revisiting the Jihad Ideology in Islamic International Law and its Appropriation by Nonstate Actors. Human Rights Quarterly, 44(2), 417–440. https://doi.org/10.1353/hrq.2022.0015

bustan.14.2.0218
* Firdaus, R. (2023). Kepemimpinan dan spiritualitas: studi kepemimpinan kh. abdurrahman wahid. Benchmarking: An International Journal. https://doi.org/10.30821/benchmarking.v7i2.18973
* Wickramasinghe, A. S. (2021). Trust and Organizational Leadership (pp. 490–511). IGI Global. https://doi.org/10.4018/978-1-7998-3811-1.CH025
* Mansyur, A. (2022). Konsep Kepemimpinan Visioner Di Lingkungan Madrasah Ibtidaiyah. Education and Learning Journal, 3(2), 76. https://doi.org/10.33096/eljour.v3i2.150
* Wang, T., Lam, W., Chen, Z., Yu, Q., & Geng, X. (2024). Future Organizational Identification: Visionary Leadership Gives Me Foresight to Identify With My Organization in the Future. Journal of Organizational Behavior. https://doi.org/10.1002/job.2852
* Amah, C. O., & Jumbo, V. K.
* Fanani, A. (2022). Jihad Sebagai Politik Luar Negeri dalam Al-Ahkam Al-Sulthaniyyah Karya Al-Mawardi. JPW (Jurnal Politik Walisongo), 4(1), 24–39. https://doi.org/10.21580/jpw.v4i1.12622
* Ahmad, A. (2024). Jihadist Governance in Civil Wars. Oxford Research Encyclopedia of International Studies. https://doi.org/10.1093/acrefore/9780190846626.013.763
* Khelghat-Doost, H. (2021). Women in State-Building Jihadi Organizations: Legitimacy (pp. 71–103). Springer, Cham. https://doi.org/10.1007/978-3-030-59388-9_6
* Juma, J. (2022). Fatwa jihad dan resolusi jihad: historisitas jihad dan nasionalisme di indonesia. Aqlam : Journal of Islam and Plurality, 7(2). https://doi.org/10.30984/ajip.v7i2.2187
* Whiteside, C. (2023). Jihadi Politics: The Global Jihadi Civil War, 2014–2019. Bustan: Middle East Book Review, 14(2), 218–221. https://doi.org/10.5325/

* Azizah, R. N. N. (2025). Kepemimpinan Visioner dan Manajemen Efektif dalam Meningkatkan Mutu Sekolah. Indo-MathEdu Intellectuals Journal, 6(1), 251–260. https://doi.org/10.54373/imeij.v6i1.2421
* Avdeeva, E., & Lobanova, G. (2024). Leadership and management in a modern organization: a review of current approaches. Social'no-Èkonomičeskoe Upravlenie: Teoriâ i Praktika, 20(3), 6–16. https://doi.org/10.22213/2618-9763-2024-3-6-16
* Handayani, E. (2023). Competence of Visionary Leaders of Educational Institutions in the Challenges of Technology-Disruption. Edumaspul : Jurnal Pendidikan, 7(1), 892–901. https://doi.org/10.33487/edumaspul.v7i1.5713
* Fauzi, M. I., Aimah, S., & Khaudli, M. I. (2024). Visionary Leadership of School Principals in Developing Institutional Quality Management. https://doi.org/10.29062/edu.v7i4.880
(2024). Visionary Leadership and Organisational Performance of Oil and Gas Companies in Rivers State. European Modern Studies Journal, 8(5), 143–156. https://doi.org/10.59573/emsj.8(5).2024.13
* Alsayegh, A. (2024). The content of Ayatollah Sistani's charismatic authority: the affective bond. Antropolítica. https://doi.org/10.22409/antropolitica2024.v56.i3.a61528
* Gooty, J., Banks, G. C., McBride, A., & van Knippenberg, D. (2023). Is authenticity a "true self," multiple selves, behavior, evaluation, or a hot mess? Response to Helmuth et al. Journal of Organizational Behavior. https://doi.org/10.1002/job.2752
* KARASEL, N., TAÇOY, F., MENTEŞOĞULLARI, E., ŞAFAKOĞULLARI, Ş., & YILDIZ, M. (2023). Eğitim Yönetiminde Vizyoner Liderlik Yaklaşımı. International Journal of Social Sciences (IJSS)/ Uluslararasi Sosyal Bilimler Dergisi, 7(28).

velopment. 3, 00041. https://doi.org/10.29103/micoms.v3i.205

* Mutohar, P. M., & Masduki, M. (2022). Visionary Leadership Based on Brand Image in Improving the Competitiveness of Islamic Higher Education at UIN Sayyid Ali Rahmatulullah Tulungagung Indonesia. Journal of Advances in Education and Philosophy, 6(12), 581–597. https://doi.org/10.36348/jaep.2022.v06i12.004

* Bahri, M. H. (2023). Kajian Kualitas Sanad Hadis tentang Keutamaan Berjihad Dalam Islam. https://doi.org/10.31219/osf.io/xqb4v

* Bahri, M. H. (2023). Kajian Kualitas Sanad Hadis tentang Keutamaan Berjihad Dalam Islam. https://doi.org/10.31219/osf.io/xqb4v

* Anirah, A., & Nasbih, I. (2020). Jihad in the perspective of al-quran. 8(2), 133–143. https://doi.org/10.24252/JDI.V8I2.15514

* Bahri, M. H. (2023). Kajian

* Westover, J. (2024). Harnessing Grassroots Visionary Leadership in Your Organization. Human Capital Leadership., 16(2). https://doi.org/10.70175/hclreview.2020.16.2.7

* Lamu, R. (2023). Visionary Leadership in Modern Organizations: Exploring Charismatic and Transformational Approaches. Journal of Education, Humanities and Social Sciences. https://doi.org/10.54097/ehss.v23i.13136

* Mansyur, A. (2022). Konsep Kepemimpinan Visioner Di Lingkungan Madrasah Ibtidaiyah. Education and Learning Journal, 3(2), 76. https://doi.org/10.33096/eljour.v3i2.150

* Sarwati, K., Hadiati, E., Mas Ayu, S., & Junaidah, J. (2022). Kepemimpinan visioner kepala madrasah dalam meningkatkan mutu pendidikan. 2(1), 35–42. https://doi.org/10.70371/jise.v2i1.47

* Kumala Sari, D., & Rasyimah, M. (2023). Vision and Leadership: The Nature, Role and De-

Thanatoethics of Sacrifice. Journal of Global Postcolonial Studies. https://doi.org/10.5744/jgps.2024.1217

* Ahlan, A., & Redho, M. R. (2022). Konsep Jihad dalam Al-Qur'an (Kritik Hermeneutika Otoritatif Khaled Abu El-Fadh). Al-Dzikra: Jurnal Studi Ilmu Al-Qur'an Dan Al-Hadist, 16(1), 61–82. https://doi.org/10.24042/al-dzikra.v16i1.10428

* Sternberg, R. J. (2022). The Most Important Gift of All? The Gift of Courage. Roeper Review, 44(2), 73–81. https://doi.org/10.1080/02783193.2022.2043501

* Dalla Rosa, D. (2024). Sincere and Insincere Arguing. Informal Logic, 44(2), 278–304. https://doi.org/10.22329/il.v44i2.8358

Kualitas Sanad Hadis tentang Keutamaan Berjihad Dalam Islam. https://doi.org/10.31219/osf.io/xqb4v

* Rofi'i, M. A., Emilda, P., & Rachmawati, E. (2024). The Dimension of Sincerity According To The Qur'an And Sunnah: The Key To Accepting Deeds. 2(1), 53. https://doi.org/10.55062//ijr.2024.v2i1/532/5

* Alsayegh, A. (2024). The content of Ayatollah Sistani's charismatic authority: the affective bond. Antropolítica. https://doi.org/10.22409/antropolitica2024.v56.i3.a61528

* Rohman, M. M. (2020). De-radicalization of interpretation the concept of jihad in tafsir al-qusyairi. 5(2), 325–344. https://doi.org/10.32505/AT-TIBYAN.V5I2.1874

* Ali, S. S. (2024). Islam and the

فتوى الدِّفاع الكفائي والخطب المتعلِّقة بها
دراسة تحليليَّة في ضوء مهارات الذَّكاء المنظومي

أ.د. رياض كاظم عزوز الكريطي
جامعة بابل / كليَّة التربية الأساسيَّة

م.م. حسام كريم كاظم الجنابي
وكالة الاستخبارات والتحقيقات الاتحاديَّة

ملخَّص البحث

تهدف الدراسة الحاليَّة والموسومة بـ(القيادة الاستراتيجيَّة عند السيِّد السيستاني دام ظلَّه الوارف دراسة تحليليَّة لفتوى وخطب الجهاد الكفائي قائمة على مهارات الذكاء المنظومي)؛ إذ تأتي أهميَّة هذه الدراسة من أهميَّة الشخصيَّة التي تناولتها، وهو المرجع الدِّيني الأعلى سماحة السيِّد علي السيستاني؛ كونه رمزًا للقيادة الاستراتيجيَّة التي ظهرة تأثيرها بوضوح في تحقيق الاستقرار في البلاد؛ إذ يظهره نهجًا حكيماً يقوم على مهارات الذكاء المنظومي عبر دعوته لأطياف الشعب العراقي كافَّة إلى توحيد الصفوف ونبذ مظاهر الطائفيَّة والاقصاء والتهميش بهدف تحقيق السلم والامن الاجتماعي، فلولا توجيهات سماحته لانجرفت البلاد إلى حرب أهليَّة لا تحمد عقباها.

يرى الباحثانِ أنَّه كانت لفتاوى الجهاد الكفائي بما تضمنتها من مهارات الذكاء المنظومي الأثر البالغ في القضاء على تلك الفتن التي كادت أن تعصف بالبلاد؛ إذ حاول زرعها تنظيم داعش الإجرامي. وقد اشتمل البحث على أربعة مباحث؛ إذ احتوى المبحث الأوَّل على معرفة القيادة الاستراتيجيَّة وأهميَّتها وخصائص القائد الاستراتيجي ومتطلبات القيادة وعناصرها.

أمَّا المبحث الثاني فقد احتوى على معرفة الذكاء المنظومي وأهميَّته وسمات الشخص الذكي. واحتوى المبحث الثالث القيادة الاستراتيجيَّة عند السيِّد السيستاني (دام ظلَّه الوارف) دراسة تحليليَّة لفتوى وخطب الجهاد الكفائي قائمة على مهارات الذكاء المنظومي، وختم البحث بجملةٍ من الاستنتاجات والمصادر والمراجع.

الكلمات المفتاحية: القيادة الاستراتيجيَّة، الذكاء المنظومي ،فتوى الدفاع الكفائي

Abstract

The current study, " Sufficient Defense Edict and Related Sermons: Analytical Study in Light of Systemic Intelligence Skills," derives its significance from the importance of the figure on focus : the Supreme Religious Authority, His Eminence Seid. Ali Al-Sistani. As he stands as a symbol of strategic leadership whose influence was clearly manifested in achieving stability in the country. He demonstrates a wise approach based on Systemic Intelligence skills by calling upon all segments of the Iraqi people to unite and reject manifestations of sectarianism, exclusion, and marginalization, thereby achieving social peace and security. Without His Eminence's directives, the country would have drifted into a civil war with dire consequences.

The researchers argue that the Edicts of Sufficient Jihad, containing skills of Systemic Intelligence, had a profound impact on eliminating the sedition that nearly ravaged the country—sedition that the criminal organization ISIS attempted to sow. The research comprises four sections:

1. Defining Strategic Leadership, its importance, the characteristics of a strategic leader, and leadership requirements and elements.

2. Defining Systemic Intelligence, its importance, and the traits of an intelligent individual.

3. Strategic Leadership of Seid. Al-Sistani: An analytical study of the Edict and sermons of Sufficient Jihad based on Systemic Intelligence skills.

4. Conclusions and references.

Keywords: Strategic Leadership, Systemic Intelligence.

مقدِّمة:

الحمد لله الذي أجزى على ألسنتنا شكره قبل كلِّ شيء، وألهم أنفسنا سبلها بما فيه صلاح دنياها وأُخراها، فكان سبيل الشكر واحدًا منها، والصلاة والسلام على أشرف الخلق النبي محمَّد وآله الأطهار صلى الله عليهم أجمعين، وعلى أنبيائه كافة المبعوثين رحمة للعالمين، الهداة المهديين الطيبين الطاهرين، وأكمل دينه وحجته بأوصياء معصومين لرسله، حفظ بهم الشرع القويم، وجعل الإنابة لهم بمراجع وفقهاء للدين الإسلامي أحيوا سنَّة الرسول محمَّد والأئمة المعصومين الطاهرين عليهم أفضل الصلاة وأتم التسليم.

أمَّا بعد:

بات واضحًا من خلال الدراسات والبحوث التي تطرقت للقيادة الاستراتيجيَّة دورها الحيوي في تطوير المؤسَّسات والمنظَّمات وانعكاس ذلك على المجتمع بشتَّى مجالاته، ونتيجة دورها الفعَّال في صناعة الأمَّة وبروز عباقرة الأمم حتَّى تُسهم في رسم مستقبلها بطريقة متكاملة، أخذه في الاعتبار الاتجاهات المتوقعة والتطورات في البيئة الخارجيَّة على قدم وساق مع البيئة الداخليَّة، الأمر الذي جعلنا نفكِّر في إسقاط تطبيقي لهذه الدراسات على فتوى الجهاد الكفائي للسيِّد السيستاني (دام ظلَّه الوارف)؛ لنرى مدى تطابق ما توصَّلت إليه من الآليات للقيادة الاستراتيجيَّة معتمدين مهارات الذكاء المنظومي التي استخدمها، بدأ من أوَّل إعلان للفتوى المباركة أصدرها المرجع الدِّيني الأعلى الإمام علي السيستاني (دام ظلَّه الوارف) خلال صلاة الجمعة التي ألقاها الشيخ (عبد المهدي الكربلائي) في الصحن الحسيني الشريف بتاريخ ١٣/٦/ ٢٠١٤ لمواجهة التمدد التكفيري لعصابات الموت الداعشي، الذين كانوا يتقدَّمون محققين كثيرًا من الانتصارات وملحقين الهزيمة ومجبرين القوات العراقيَّة على التراجع، ومسيطرين على مناطق الواحدة تلو الأخرى، ويمهدون للسيطرة على بغداد .

لكـن هـذه الفتـوى أظهـرت قـوَّة الـذَّكاء المنظومـي والقيـادة الاسـتراتيجيَّة للمرجـع الكبـير في حفـظ السـلم الاجتماعـي في العـراق، التـي حولـت تلـك الانتصـارات الزائفـة والخطـط الإجراميَّـة للأعـداء إلى سراب؛ بـل أسـهمت هـذه القيـادة السيسـتانية في حفـظ دمـاء السـنَّة أكثـر مـن غيرهـم مـن أبنـاء الوطـن الواحد فهـي جسـدت معنـى (الحيـاة، الإنسـان، الوطـن)؛ بـل وحكمـة في التصـدي لهـذه اللعبـة القـذرة التـي وقـف العـالم أمامهـا متفرِّجًـا؛ إذ القتـل والذبـح وسـبي النسـاء وبيعهـنَّ في مـزادات الهـلاك باسـم الديـن، حتَّـى اسـتطاعت هـذه الفتـوى المباركـة أن تذهـل العـالم بقـوَّة تأثيرهـا وروعـة تنظيمهـا وسـحر صداهـا، فقـد اسـتطاع هـذا الرجـل مـن خـلال هـذا النـداء القويـم أن يؤسِّـس مقاومـة صلبـة تقـف بوجـه مـا يهـدِّد بهـذا البلـد مـن مخاطـر داخليَّـة متمثِّلـة في فسـاد بعـض مؤسَّسـات الدولـة، وخارجيَّـة متمثِّلـة في عـزو عـدون أجنبـي عـلى أراضيـه ومصالحـه .

وفي خضـم هـذه الظـروف عمـل السـيِّد السيسـتاني باحثًـا عـن مسـارات جديـدة لتعزيـز الأمـن الوطنـي وتحقيـق الاسـتقرار والحيـاة الكريمـة لجميـع العراقيـين، والعفـة والسـتر للعراقيَّـات جميعهـنَّ مـن منطلـق إنسـاني وشرعـي ومـن دون وجـل أو خـوف، مرتكـز عـلى إرث ثمـين في المواقـف المبدئيـة للرسـول محمَّـد وآلـه الطيبين الأطهـار، متخـذ مـن صفاتهـم العطـرة منهـج عمـل ونهـج سـلوك في التعامـل مـع قضايـا الأمَّـة الإسـلاميَّة.

وانطلاقًـا مـن ذلـك يمكننـا القـول إنَّ لهذا الفتـوى الدور الرئيسـي والجوهري في حفـظ العـراق، كلُّ العـراق بـلا اسـتثناء وتحويـل الواقـع البائس من عدم الاسـتقرار والأمـن والتخبـط السـياسي لم يكـد يهـدأ والحـرب الإعلاميَّـة بـين السياسـيين في أوجِّهـا، بسـبب أنَّ معظـم المقاربـات الأمنيَّـة كانـت مـا تـزال تحـت رحمـة التوافـق السـياسي؛ إذ كان كل واحـد منهـم يتخذهـا ذريعـة لأسـقاط خصمـه، ليصطـاد بالماء العكـر ليكـون هـو البطـل القومـي الـذي سـيعيد للبلـد مهابتـه الزائفـة.

ويمكنا القول في خضم هذه الظروف ظهر رجل عظيم يحمل قضيَّة أمَّة، ويدافع عن هويَّة مجتمع متصدِّيًا للأنا لدى بعض أفراده ومساحتها الضيِّقة، وتأثيرها السَّلبي في الواقع العراقي؛ إذ مارس الأدوار والمواقف والمراحل وبطرائق عديدة، منها التوجيه والإرشاد، ومنها إصدار البيانات حول العمل السياسي، ومنها دعوة ومساندة الجماهير في مطالبها السياسيَّة والاجتماعيَّة، ومنها الدعوة إلى التهدئة وعدم الانجرار وراء الفتن الطائفيَّة، متَّخذًا من منهج أهل البيت عليهم السلام أسوة وقدرة ضد حركة الانحراف والفتنة الطائفيَّة، والتدهور الذي بسببه تحوَّلت خطب الأئمَّة في المساجد إلى منابر للتحريض الطائفي، مستدعية كل ما في التراث والتاريخ من رصيد للكراهيَّة المتبادلة والصراع المذهبي.

وتأسيسًا لما ذكرنا عن محاولتنا لتقصِّي مهام هذه الشخصيَّة الفذَّة والمتميِّزة التي تمكنت بفضل رجاحة عقلها ومهارات ذكائها المنظومي وقيادته الاستراتيجيَّة الناجحة وتخطيطها لأبعاد هذه الحرب، مستعملًا الأساليب العسكريَّة باستراتيجياتها المعنويَّة والماديَّة في إدارة المعركة ووعي منظومي وإدارك علاقات التأثير والتأثر بين أفراد المجتمع على الرغم من أنَّها لا يقبل أن يتمَّ تصويره، ولا يخرج على الملأ ليخاطب العموم أو كما يسمونهم العوام.

ومن هنا برزت قيادته وكفاءته وحكمته وذكاءه في إدارة هذه الحرب من خلال فتوى واحدة قادرة على إيقاف زحف هذه العصابات التكفيريَّة الداعشيَّة، ومساندة القوى الأمنيَّة والجيش الذي كان منكسرًا قبل فتوى الدفاع الكفائي؛ لتكون فتوى تاريخيَّة ثورية، لإعادة المناطق المغتصبة إلى أرض الوطن، لتقلب المعادلة الدوليَّة بين الدول المتنازعة العظمى التي بعضها يريد إبقاء داعش من أجل الهيمنة وإقصاء خصومه وتنفيذ مآربه، وفي الختام لهذه الشخصيَّة التي يتمتَّع به من قيادة وذكاء هي مفتاح النصر الحقيقي وتحقيق نتائج الانتصارات، ورعايته

تجاه أبناء الوطن جميعًا كما يرعي الأب ولده الصغير حتَّى يكبر ويشيد، ويكون قادرًا على البقاء والمواجهة ومن ثمَّ الانتصار .

وانسجامًا مع ذلك ارتأى الباحثان استقصاء ملامح قيادتها الاستراتيجيَّة من طريق تحليل مهارات ذكائه المنظومي التي مثل جانبها العسكري أحد الجوانب الأساسيَّة لتلك القيادة على الرغم من كونه رجل كبير السن، لا يقوى على حمل طفل صغير يعيش في إحدى دهاليز النجف لا يمتلك جيشنا ولا معدَّات حربيَّة.

وأخيرًا هذا عملنا لا ندعى له الكمال فذلك ممَّا لا يُنال وهو أمر محال؛ لأنَّ الكمال لله تعالى وحده، فإن أصبتُ فيه فبفضل الله تعالى وتوفيقه ومنّه عليَّ وهو غاية القصد، وإن أخطأتُ فمن نفسي، وحسبي أنِّي طلبتُ الصواب.

وأسال الله أن يجعل هذا العمل خالصًا لوجهه الكريم، ويرزقنا فيه السداد والتوفيق، ويتقبله منّا بقبولٍ حسن، إنَّه وليُّ ذلك والقادرُ عليه.

المبحث الأوَّل

مصطلحات البحث

١ .فتوى الدفاع الكفائي:

وهي فتوى دينية شرعية للجهادي الكفائي التي أصدرها المرجع الديني الأعلى في العراق اية الله العظمى السيد الامام علي الحسيني السيستاني (دام ظله) في صلاة الجمعة الثانية (١٤شعبان ١٤٣٥هـ) الموافق ل (١٣ حزيران ٢٠١٤م) في الصحن الحسيني الشريف التي كانت بإمامة الشيخ عبد المهدي الكربلائي والقاها على المصلين لمواجهة التمدد التكفيري لعصابات داعش التي تمكنت من السيطرة على مدينة الموصل، مركز محافظة نينوى شمال العراق في العاشر من حزيران عام ٢٠١٤ والتي كانت الأوضاع التي يمر بها العراق ومواطنوه خطيرة جداً واستجاب لفتواه جميع غفير من مقلديه ومن غيرهم داخل العراق وخارجه ،حتى من المذاهب الأخرى ومن الديانات الأخرى لانها

كانت تهدف الى حماية العراق وشعبه من دنس الإرهاب والتكفير وشكلت الموقف الشرعي تجاه القضايا المختلفة .(العامري ،٢٠١٦: ١١)

واما الواجب الكفائي فقد مثل القسم المهم من اقسام الواجبات الدينية المطلوب فيه القيام بالفعل من أي مكلف كان ، بحيث لو صدر عن بعضهم سقط عن البعض الاخر ، وفي حالة أداء الواجب الكفائي يسقط الوجوب عن الاخرين ،ويحصل من اشترك بهذا الواجب على الثواب ،واذا لم يقم أي شخص بهذا الواجب سوف يكون الجميع مستحقين للعقاب .(النجفي، ١٤٢٣هـ، ص٥٧) ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحْفًا فَلَا تُوَلُّوهُمُ الْأَدْبَارَ ﴾ (الانفال :١٥)

القيادة الاستراتيجيَّة:

توطئة ...

يعيش الإنسان اليوم في عالم متسارع فيه العديد من الصعوبات التي تقف في طريق التقدم والنجاح، لذلك لا يمكن لأحدٍ أن يتماشى معها إلَّا إذا تميَّز بالقوَّة التي تساعده على ذلك، وهذا العالم لا يعترف بالضعيف والهزيل؛ بل القوي واليقظ، ويجب على الإنسان أن يطور مهارته، وأن يكون لديه الصفات التي تجعله قائدًا ناجحًا في حياته حتَّى يمضي في طريق إلى الذروة بحماس كبير، ويعدُّ مفهوم القيادة الاستراتيجيَّة من المفاهيم الحديثة نسبيًّا في الأدب الإداري، وذلك أنَّ الجذور الأولى لهذا المفهوم انحدرت من أصول عسكريَّة، إلَّا أنَّه سرعان ما حظي بأهميَّة استثنائيَّة في عالم الأعمال اليوم أكثر من أي وقت مضى، ولعلَّ السبب الرئيس في ذلك يعود إلى التغييرات البيئيَّة المتسارعة، فضلًا عن التعقيد المتزايد من جانب منظَّمات الأعمال نفسها (الفيحان ٢٠٠٦: ١).

وتعدُّ القيادة الاستراتيجيَّة محورًا مهمًّا ترتكز عليه نشاطات المؤسَّسات والمنظَّمات الدور الحيوي في تطويره وانعكاساته على المجتمع بشتَّى مجالاته،

التي أكَّدت دورها الفعَّال في صناعة عباقرة الأمم لرسم مستقبلها بطريقة متكاملة، المنظمات المختلفة، وبخاصَّة في إطار العصر الحديث الذي يشهد في العالم تغيرًا كبيرًا في مجمل مناحي العمل المنظَّمي لاسيَّما العقد الأخير من القرن الماضي استلزمت وجود القيادة الحكيمة، والقادة من ذوي المهارات والقابليَّات والقدرات التي تتبنَّى الرؤى المستقبليَّة لمواجهة متطلبات العصر سريعة التغير، ومحاولة المتابعة والاستشراف المستمر للبيئة لضمان نجاح المنظمات وبقائها، وقد ظهرت الحاجة إلى وجود القيادة في المنظمات لترشيد سلوك الأفراد وحشد طاقاتهم وتعبئة قدراتهم وتنسيق جهودهم وتنظيم أمورهم، وتوجيههم الوجهة الصحيحة. (الشلمة، ٢٠٠٩ :ص ٣٥-٣٤)

أوَّلًا: مفهوم القيادة الاستراتيجيَّة

ورد في وجهات نظر العلماء والباحثين على مستوى السنوات الماضية وخاصَّة في مجالات العلوم الإداريَّة والأمنيَّة العديد من التعريفات لمفهوم القيادة الاستراتيجيَّة التي ترتبط بشكل إيجابي بجميع المخرجات التنظيميَّة والفرديَّة للمنظمات، فهي تدخل في مجالات المجتمع سواء أكانت المجالات دينيَّة أم حكوميَّة أم أمنيَّة أم اجتماعيَّة أم تجاريَّة أم رياضيَّة، لتقوم بوظيفتها في خلق رؤيةٍ مستقبليَّة تحمل بذور الماضي، وتمد للمستقبل آفاق وتوجهات وتوصل هذه الرؤية إلى جميع الأفراد؛ إذ تقوم بنقل المنظَّمات من سلوك تقليدي إلى منظمات رياديَّة مستقبليَّة . وتكون مفتاح نجاح لجميع مجالات الحياة للمجتمع، لأن ذكاء القائد الناجح هو ذلك الذي يجعل الناس يتبعونه ويحقِّق للمجتمع هذا التطور والقوَّة والقدر على التطور، وخير تعريف للقيادة قول رسول الله ﷺ: ((كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته))، وسيتم عرض مجموعة من التعريفات التي وردت في الكتابات المختلفة وبحسب أسلوب الباحث في التفكير، الذي يتأثَّر بحسب الاتجاه الفكري الذي يؤمن به.

وسنعرض عددًا من وجهات النظر المختلفة لعدد من الباحثين على النحو الاتي: -

* **يرى** (المدرسي: ٢٠٠٤) هي قيادة طوعيَّة تعتمد على الرِّضا والتسليم، وليست قيادة قسريَّة تعتمد التسلط والإرهاب ومن دون الرضا في المجتمع لا يمكن إيجاد الحالة القياديَّة. (المدرسي،٢٠٠٤، ص١٧.)

* **ويرى** (Prasertcharoensuk :2017) بأنَّه القدرة التي يمتلكه القائد على اتِّخاذ مجموعة من القرارات والإجراءات المصممة وتنفيذ كلِّ الخطط المصمَّمة ومراقبتها؛ لتحقيق رؤية استراتيجيَّة واضحة، ومفهومة ومن خلال التأثير في الثقافة التنظيميَّة وتخصيص الموارد لتشخيص الفرص والتهديدات الذي تنشط فيه. (Prasertcharoensuk :2017,38)

* في حين يرى (Hill&gones,2001) القدرة على توضيح الرؤيا الاستراتيجيَّة، علاوة على القدرة على تحفيز المرؤوس أو إقناعهم للتفاعل مع هذه الرؤيا.

* **ويؤكِّد** (العيساوي واخرون،٢٠١٢) بإنَّها تعني فنَّ قيادة شاملة يمتلكه القائد لجميع مجريات أرض المعركة في سبيل تحقيق الغرض النهائي الذي قد يكون النصر (ربح المعركة) (العيساوي وآخرون، ٢٠١٢، ص٣١-٣٣)

* **ويؤكِّد تعريف** (جاد الرب، ٢٠١٢) القيادة تعني السبق والقدرة على التخيل والتصور المستقبلي، وأيضا بناء المرونة في دعم الآخرين نحو خلق التغيير الاستراتيجي الضروري والمطلوب في المنظمة. (جاد الرب، ٢٠١٢، ص٢٩)

* **ويشير** لي وشين (Lee & Chen,2007) بأنَّها: قدرة الشخص على التوقع، والتصور، وإبقاء المرونة، والتفكير بشكل استراتيجي، والعمل مع الآخرين لبدء التغييرات التي ستخلق مستقبل قابل للنمو والازدهار للمنظمة. (Lee & Chen,2007 ،1028:)

* **ويشير** (عبودي،٢٠٠٦) بأنَّها عمليَّة إبداعيَّة، عقلانيَّة التحليل، وحدسية التصور الإنساني، وهي أيضًا عمليَّة ديناميكيَّة متواصلة، تسعى إلى تحقيق رسالة المنظمة من خلال إدارة وتوجيه موارد المنظمة المتاحة بطريقة كفؤة وفعالة، والقدرة على مواجهة تحديات بيئة الأعمال الصغيرة من تهديدات وفرص منافسة، ومخاطر أخرى مختلفة وبغية تحقيق مستقبل أفضل انطلاقًا من نقطة ارتكاز أساسيَّة في الحاضر.

* ويرى جويلوت (Guillot,2003) بأنَّه مفهوم مركب يتضمَّن دقَّة الملاحظة، والقدرة على الإدراك على المستوى الدقيق، وعلى المستوى الأوسع، فهي عمليَّة تستلزم اتخاذ قرارات بناء على الثقافات، والمخططات، والشخصيات والرغبات التي تتطلب تدبير الخطط الملائمة والمقبولة من وجهة نظر المنظمة والشركاء سواء أكانت منظمة محليَّة أم متعدِّدة الجنسيَّة.

ومن خلال ما تقدَّم أعلاه حول ماهيَّة القيادة الاستراتيجيَّة يرى الباحثان هي العمليَّة التي يتم فيها التأثير على الآخرين وتوجيههم على وفق الرؤية المستقبليَّة، التي تربط الحاضر بالمستقبل بشكل أهدف واضحة، وتعمل على تنشيط التابعين وتحفيزهم وجذبهم، ثمَّ الهامهم عبر خلق التغيير والدعم لتحقيق النتيجة المطلوبة.

ثانيًا-أهميَّة القيادة الاستراتيجيَّة

* القيادة الاستراتيجيَّة استثمار طويل الأمد يصنعون في وقت مبكر وتجنى فوائدهم بعد سنين قادمة، والقيادة الاستراتيجيَّة الجديدة ضرورة سياسيَّة لأجدل فيها لتحمل المسؤوليَّة عن تنظيم وإدارة كلِّ ما يتعلَّق بفريق العمل سواء أكان منظمة أم مؤسَّسات ومساعدتهم على أداء أدوراهم، وتحفيزهم في تعزيز الإبداع واستبقاء أفضل المواهب من أجل تحقيق النجاح، فهي عمليَّة تنظيميَّة مستمرة من جهة، ومجموعة الخصائص الشخصيَّة المنفردة في

شـخص معـين، تسـهم في تحقيـق اسـتمراريَّة هـذه العمليَّـة في المنظمـة مـن جهـةٍ أخـرى؛ لذلـك تبـدوا أهميَّـة كبـيرة عـلى مسـتوى المنظـمات المعـاصرة بمختلـف أشـكالها، ولعـلَّ مـن أهـمِّ جوانـب أهميَّـة القيـادة الاسـتراتيجيَّة مـا يـأتي .(Hill& Janes,2001:15;Bernon Korsten، 2002:8;keller, 2002:3; As-sociates,2003:6)

١-تشـجيع العمـل الجماعـي: لأنَّهـا ليسـت مهمَّـة الإدارة العليـا -حـصرًا-أو المديريـن التنفيذيـين فقـط؛ بـل هـي مسـؤوليَّة جماعيَّـة والسـجام عـال في العمـل.

٢-تنميـة قـدرة القـادة عـلى التأثـير في السـلوك البـشري، كذلـك الأفـكار والمشـاعر الخاصَّـة بالأفـراد العاملـين.

٣-تهيئة الاستجابة السريعة والصحيحة للتغيرات الحاصلة في بيئة العمل التنافسي.

٤-تهيئـة الظـروف الملاءمـة لـبروز القـادة؛ وذلـك في إطـار مـا يعـرف بنمذجـة عمليَّـة القيـادة التـي مـن شـأنها أن تسـهم في إعطـاء قيمة مضافـة للحياة الشـخصيَّة، والمهنيَّـة للأفـراد العاملـين كافَّـة مـن دون اسـتثناء.

٥-تحديـد التوجـه المسـتقبلي للمنظمـة باعتـماد المنهجيَّـة العلميَّـة في تشـخيص البيئـة الخارجيَّـة والداخليَّـة وتحديـد الفـرص والتهديـدات ومواطـن القـوة والضعـف؛ لأنَّهـا تعتمـد التخطيـط المسـند بالرؤيـة المسـتقبليَّة.

٦-تعمـل عـلى تسـهيل اسـتقطاب الأفـراد الجيديـن والاحتفـاظ بهـم مـن خـلال تهيئـة المنـاخ الصحـي الملائـم للعمل.

٧- وضـع اسـتراتيجيَّة تعتمـد الرؤيـة المسـتقبليَّة الدقيقـة في تحقيـق النجـاح الـذي تصبـو إليـه، وتأسيسًـا عـلى ذلـك فالقيـادة ممثلـة بالقائـد.

ثالثا- خصائص القائد الاستراتيجي:

أورد الخـبراء في مجـال القيـادة العديـد مـن السـمات التـي تميِّـز القائـد الناجـح البـارز عـن غيرهـا، ولعـلَّ أهـم مـا يميِّـز القائـد أنَّـه يتصـف بالـذكاء التحليـلي

والعاطفي والروحي والنظامي، وبعض الصفات الأخرى التي يظهرونها مثل القدرة على التوصل الاجتماعي والحكمة والبصير والشخصيَّة والحب والرعية والتدريب والتوجيه والشجاعة والاقناع للتعامل مع المستويات الداخليَّة والخارجية، ولعلَّ من أهم خصائص القائد الاستراتيجي ما يأتي:

١-**الثبات على المبادئ**: يلهم ويثير العظمة، ويثق في الذات والآخرين بدلًا من التخويف أو التلاعب.

٢-**بعد النظر**: أكثر حكمة ونضجًا وامتلاكه الرؤية الصحيحة القائمة على الحكمة والعلم بأمور المنظمة، والعاملين وليس مراهقًا.

٣-**رجاحة العقل وحسن التدبير**: يستمر في التقدم والتعلم وسعة المعرفة وتنوعها، وما يترتَّب عليها من معالجة للمواقف عبر توازنات معرفيَّة دون إهمال أحد جوانبها بدلًا من أن يصبح غير مؤهل في نهاية المطاف .

٤-**قوَّة الشخصيَّة**: شخصيَّة حقيقيَّة وليست صوريَّة في إدارة الموقف واختصاره على الأدوار القياديَّة من دون الدخول في أدوار روتينيَّة غير مرنة في وصف المهام القياديَّة العقائديَّة الصحيحة، التي تمثِّل القيم العليا التي يسعى القائد إلى تحقيقها والدفاع عنها.

٥-الفطنة وبعد النظر وقدرته على اشتقاق المعاني من المواقف وتقديم روى تلهم مرؤوسيهم.

٦-**الشجاعة في الموقف والأحداث**: يتَّخذون مواقف قويَّة للتغير الإيجابي والشجاعة، وسرعة حسم المواقف الحرجة واتِّخاذ القرارات الحازمة عند الضرورة.

٧-**الأمانة وتحمله للمسؤوليَّة**: يقود بحضور وقدرة البدنيَّة وقدرته على ممارسة مهامه دون تمهل أو كلل وليس بالقوة.

٨-**الإيمان والثقة العالية بأهدافه**: الإلمام بأصول الإدارة والطمأنينة على ممارسة

العمليَّـة الإداريَّة.

٩-**النزاهـة والاسـتقامة**: يمتلـك السـيادة والاتقـان والشـخصيَّة النافـذة والمـاضي المجيـد؛ إذ يحتـل الصـدارة الطبيعيَّـة، وليسـت المفضلـة أمـام المجتمـع الداخـلي والخارجي، فضـلًا عـن ضرورة حضـوره المتـوازن نفسـيًا وأخلاقيًـا بـين الآخريـن. (الربيعـي، ٢٠٠٨، ص١٣١- ١٣٦)

ويـرى الباحثـان ان القائـد لا يمكنـه ان يكـون قائـد اسـتراتيجي الا اذ امتزجـت لديـه هـذه الخصائـص في شـخصيَّته، وقـد كان السـيِّد عـلي السيسـتاني يجسِّـد هـذه الخصائـص في حياتـه الشـخصيَّة وممارسـاته القياديَّـة في المرجعيَّـة الدينيَّـة.

رابعًا: متطلَّبات القيادة وعناصرها:

- **متطلَّبات القيادة هي:**

أ) التأثير: القدرة على إحداث تغيير ما أو إيجاد قناعة ما.

ب) النفـوذ: القـدرة عـلى إحـداث أمـر أو متعـه، وهـو مرتبـط بالقـدرات الذاتيَّـة وليـس بالمركز.

جـ) السلطة القانونيَّة: وهي الحق المعطى للقائد في أن يتصرَّف ويطاع.

- **وعليه فعناصر القيادة هي:**

١) وجود مجموعة من الأفراد.

٢) الاتفاق على أهداف للمجموعة تسعى للوصول إليها.

٣) وجـود قائـد مـن المجموعـة ذو تأثـير وفكـر إداري، وقـرار صائـب وقـادر عـلى التأثـير الإيجـابي في سـلوك المجموعـة.

المبحث الثاني

الذكاء المنظومي

أوَّلًا- مفهوم الذكاء المنظومي

توطنه

خلق الله الإنسان وكرمه وجعل له الخلافة في الأرض، وميزه عن بقيَّة الكائنات التي سخَّرها من أجله؛ إذ كرَّم الله الإنسان بالعقل الذي وهبه إيَّاه ليتحمَّل الأمانة التي كلَّفه الله بها، ويرى كثيرًا من علماء النفس أنَّ الذكاء عاملًا مهمًّا، ومؤثِّرًا على الحياة الأكاديميَّة والاجتماعيَّة والوجدانيَّة للفرد، والذكاء باعتباره قدرة عامَّة كان أوَّل مكوِّنات الإنسان قابليَّته للدراسة، وذلك من خلال ممارسة الفرد للذكاء في صوره المتعدِّدة، التي شكَّلت للعلماء الأوائل النقاط الأولى في دراسة الذكاء بشكله العام، وأنَّ مكانة الذكاء في علم النفس وسيطرته على جزء من اهتمامات علماء النفس ودراستهم، جعلته القدرة الحقيقيَّة على تطوير الفرد وإنشائه لأفضل المجتمعات .

إنَّ مفهوم الذكاء أقدم في نشأته الأولى من علم النفس ومباحثاته التجريبيَّة، فقد نشأ في إطار الفلسفة القديمة، ثمَّ اهتمَّت بدراسته العلوم البيولوجيَّة والفسيولوجيَّة والعصبيَّة، واستقر أخيرًا في ميدانه السيكولوجي الصحيح الذي يدرسه بوصفه مظهرًا عقليًّا من مظاهر السلوك الذي يخضع للقياس العلمي الموضوعي، وما زالت آثار هذا الماضي الطويل تضفي طابعها الخاص على بعض المعاني الشائعة لمفهوم الذكاء، وقد تبوأ موضوع الذكاء والقدرات العقليَّة مكانًا بارزًا في علم النفس؛ إذ استحوذ على جزء كبير من وقت العلماء وجهدهم منذ قديم الزمان، إلَّا أنَّ ذلك لم يؤدِ إلى إيجاد تعريف محدد للذكاء أو إدراك ونظر لحداثة مصطلح الذكاء المنظومي، وندرة عدد الدراسات التي أجريت عليه، وكذا فإنَّ هذا المصطلح يتَّسم بالعمق والاتساع إلَّا أنَّه توجد

بعض التعريفات القليلة لهذا المصطلح ومنها ما يلي:

* بداية يري (انن،٢٠٠٧) أنَّ الذكاء المنظومي: مفهوم جديد عن السلوك الذكي للإنسان. (الفيل،٢٠١٥: ص٣١)

* ويؤكِّد (جابر،١٩٩٠) أنَّ مفهوم الذكاء قد يستخدم ليخدم أحد غرضين فقد يستخدم ليوضح أحد المصطلحات، وربَّما ليزودنا ببعض الاستبصار والفهم لظاهرة يصفها هذا المصطلح، والغرض ثاني هو أن يتمَّ تحديد المصطلح من التعريف للتأكد من أنَّ كلَّ إنسان يهتمَّ بهذا الموضوع؛ ليفهم الاستعمال الخاص للمصطلح الذي تستخدمه. (جابر،١٩٩٧: ٣٩)

* ويعرفه (هاملنن وسارنن،٢٠٠٧) بإنَّه السلوك الذكي في السياقات والأنظمة.

* ويعرفه (هاملنن وسارنن،٢٠٠٧) أيضًا أنَّه ما الذي يستطيع الناس فعله أو تحسنيه عندما يجدون أنفسهم في إعداد نظامي، ويركز الذكاء المنظومي على علم النفس الإيجابي. (الفيل،٢٠١٥: ص٣١)

* في حين يؤكِّد (Westerlund,2004) أنَّ الشخص الذكي منظوميًّا هو الذي يدرك أنَّ حقيقة مفهومه حول المنظومة التي يعمل من خلالها ربما تكون مشوهة أو أحاديَّة الجانب أو حتَّى خاطئة. إنَّ ذلك الشخص يكون في حالة بحث دائمة عن التعديلات الممكنة في مفهومه للمنظومة أو احتمالات أعلى (Westerlund,2004:24)

ثانيًا- أهميَّة الذكاء المنظومي: -

* يرى كثير من علماء النفس مثل (Hamalainen & sarin-en،2003,2007) و(Rnkknen& sarinen) أنَّ أهميَّة الذكاء المنظومي تكمن في أنَّه: -

١-يقلل من عوامل الخوف التي قد تطول الفرد.

٢- يزيد المبادرة وسرعة الاستجابة لدى الأفراد.

٣- ينمي الثقة في الآخر.

٤- ينمي جودة الحياة لدى الأفراد.

٥- يزيد من الطاقة الانتاجيَّة للفرد والمؤسَّسة

٦- يزيد من الابتكاريَّة لدى الأفراد..

٧- يساعدنا على فهم البيئة والتأثير فيها وهندستها بما يحقِّق النمو والازدهار..

٨- يمكن الفرد من استبدال الجوانب السلبيَّة بأخرى إيجابيَّة من طريق بثِّ الثقة والتشجيع والمشاركة والتفاؤل.

٩- يمكن من خلق أنظمة ذكيَّة للفرد ليستخدمها في حياته.

١٠- يساعد الأفراد على قراءة المواقف كنظام

وفي صدد ما ذكر يتجلَّى الذكاء المنظومي عن نفسه فيما يأتيه الفرد من نشاط في مجرى حياته اليوميَّة، ومن انسجام دوافعه وتوتراته وتوافقها ينشأ تكامل الشخصيَّة ونموها، فالشخصيَّة إذن هي ما يمكن أن يكون عليه الفرد من خصائص تجعله فريدًا في صفات تميِّزه عن غيره من الأفراد، ويسعى لأهداف خاصَّة به، وهو على صلة وثيقة بالعالم من حوله. وهو قادر على تكوين خبرات خاصَّة به. وبما أنَّ السلوك سواءه وانحرافه يعدُّ نتاجًا للشخصيَّة، لذلك يهتمُّ علم الصحة النفسيَّة بدراسة الشخصيَّة من حيث توافقها مع القدرات العقليَّة للأفراد (Tormanen،2012,18)

ثالثًا- سمات الشخص الذكي منظوميًا:

١ - يرى نفسه جزءًا من النظام ويدرك تأثير هذا النظام فيه.

٢- يستفيد من التغذية المرتدة الناتجة من النظام.

٣- يمتلك القدرة على التدخل في بنية النظام بالتعديل والتحسين والتطوير.

٤- يمتلك المبادأة والمبادرة.

٥- يمتلك قدرًا كبيرًا من مهارات التفكير المنظومي.

٦- يمتلك القدرة على اتخاذ قرارات جيدة وصحيحة.

٧- لديه ثقة في الآخر.

٨- لديه القدرة على قيادة حياته لتحقيق النجاح.

٩- يستبدل الجوانب السلبيَّة لديه بأخرى إيجابيَّة.

١٠ متعاون ويمكنه العمل ضمن فريق (**الفيل ٢٠١٥: ٦١-٦٣**).

وكذلك يضيف (Ranne 2007) أنَّ الأفراد الأذكياء منظوميًّا يمكنهم إدراك أنفسهم بوصفهم جزءًا من المنظومات والتصرف على هذا الأساس، وتبدو البيئة المحيطة منظوميَّة، ومن الممكن أن يقوم الفرد بإبعاد نفسه عن الأسلوب العازل للتفكير ويصبح واعيًا بالمنظومة، وبعد الذكاء المنظومي قدرة سلوكيَّة يمكن تنميتها (Ranne 2007:3).

رابعًا- مهارات الذَّكاء المنظومي

توصَّل كل من هاملنن وسارنن (Hamalainen & sarinen،،2007) إلى مهرات تشكل الذكاء المنظومي وهي :-

١-**مهارة الادراك الموقفي**: ويقصد به القدرة على إدراك الأنماط المختلفة من مواقف الحياة بوصفها بنية مميَّزة وكيانات بصورة دائمة .

٢-**مهارة التركيز على الجزئيات**: القدرة على التأمُّل وتبنى وجهات النظر والتفسيرات الجديدة.

٣-**السلوك الذكي في القيادات والأنظمة المعقدة**: قدرت القيادة الناجحة في الموقف الاجتماعيَّة وإظهار الإمكانيَّات الإيجابيَّة مع النَّاس .

٤-**الاتجاه الإيجابي**: ويقصد به طريقة للتعامل مع الموقف والاحتمالات والسياقات والأحداث بصورة إيجابيَّة .

٥-الانسجام أو المؤامة: ويقصد به القدرة على مشاركة التأثيرات بين النظم والانشغال بها بصورة ذاتيَّة ومشتركة .

٦-التوجه المنظومي طويل الأمد: ويقصد به القدرة على الإدراك ومعالجة التأثيرات المتصاعدة والطويلة الأمد، والخاصَّة بردود الأفعال المعقدة في الوقت الحاضر، أي تقديم الاستجابة الآنية للتغييرات والأحداث البيئية السريعة .

٧- إدارة النظم في السياقات العامَّة: ويقصد به القدرة على التكيف والتصرف الناجح في الموقف والسياقات المتنوعة والبيئات المعقدة .

٨-مهارة بناء المنظومة وإعادة هيكلتها: تشمل هذه المهارة إعادة بناء وتكوُّن المنظومة، وهذا التكوين يفضل أن يكون في بنية جديدة وأطار جديد.((Hamalainen & sarinen،,2007،p:821-825)

المبحث الثالث

مهارات الذكاء المنظومي في القيادة الاستراتيجيَّة

عند السيِّد السيستاني (دام ظلَّه الوارث) دراسة تحليليَّة استنباطية

تمهيد:

السيِّد السيستاني صاحب الفتوى المباركة شخصيَّة تستدعى التوقُّف عندها والبحث في طبيعة هذا العالم ومكنوناته الذي يتمتَّع بخصائص روحيَّة ومثاليَّة عالية من قائدٍ استثنائيٍّ ماهرًا يقظًا، يحمل روح الإبداع في مواقفة القياديَّة وذكاء منظومي، يحتذي بها جميع أفراد المجتمع، وهذا الذكاء جعله ملاذًا آمنًا يلوذ بحكمته ورجاحة قراراته كلُّ مريدي العمل السياسي والإداري للبلد، فضلًا عن ذلك فهو من أصّلَ للمفاهيم السلميَّة في التعايش، وثبّت أوتادًا قويَّة لحقيقة الدين الإسلامي بوصف دينًا للحياة السلميَّة، وكمؤثِّر في حياة البشر جميعًا وليس الشيعة أو المسلمين فحسب، يدفع بعجلتها نحو التكوين والتشكل الوجودي، لا نحو التمييز والتفرق الماهوي.

ولعلَّ مسيرة الرسول الأكرم ﷺ وأهل البيت عليهم السلام وضعت لنا نهجًا قويَّة تستطيع من خلاله أن يستخلص ما يمكن أن نستعين به على واقعنا المرير؛ إذ تكالب علينا فيه أعداء الأمَّة اليوم، فالمرجعيَّة الموقرة هي الامتداد الحقيقي لسير المعصومين في الظروف العصيبة التي فرضها الواقع المزري المعقد بالمشاكل والتقاطعات والمستجدات في العراق الذي أصاب البلاد والعباد من خطر جسيم على الأمَّة والإنسانية، هو التنظيم الداعشي الإجرامي الذي كان هدفه قتل جميع الهويات الدينيَّة من دون تحديد بالأسلحة، والسبب يكمن في قوِّته وانتشاره بين البلدان دعم الدول المتنازعة العظمى التي بعضها يريد إبقاء داعش من أجل الهيمنة وإقصاء خصومه وتنفيذ مآربه، ممَّا أعطى الفرصة لرجاله بالتحرك بين البلدان كيفما شاؤوا، لذلك ستكون المهمة كبيرة وخطيرة يجب التعامل معها بحرص يكفي لأن ينهي هذا الخطر الجسيم على الأمَّة والإنسانية، ومثل هكذا تحرك إرهابي دولي مصطنع في دهاليز مخابرات دوليَّة لا يمكن مواجهته بالمواجهات التقليدي المعروفة؛ بل يحتاج الذكاء المنظومي في القيادة الاستراتيجيَّة أي ليس بمعناها العرفي المتبادر الذي ينسحب إلى المجالين (السياسي والعسكري) وإنَّما نريد بها أن يمارس في هذه القيادة الاستراتيجيَّة وذكاء منظومي يوجه التحديات الدينيَّة والإعلاميَّة والاجتماعيَّة والاقتصاديَّة والتكنلوجيَّة والاجتماعيَّة لبناء السلم الاجتماعيَّة وحل النزعات .

وهنا أظهرت الفتوى المباركة التي أصدرها المرجع الدِّيني الأعلى الإمام علي السيستاني (دام ظلَّه الوارف) خلال صلاة الجمعة التي ألقاها الشيخ (عبد المهدي الكربلائي) في الصحن الحسيني الشريف بتاريخ ١٣/ ٦/ ٢٠١٤ (العامري ،٢٠١٦: ١١) للتصدِّي للزمر الإرهابيَّة ولعصابات الموت الداعشي التي أرادت تدمير حضارة بلاد الرافدين، وتدنس أرض الأنبياء؛ ولكن الفتوى شكلت منعطفًا مهمًّا في حياة العراقيين خاصَّة

والشيعة عامة، تستنير بتعاليمه وإرشاداته، وتهدي بما يواجه وجب علينا طاعتها والالتزام بتوجيهاتها وعدم السماح بأيِّ حال من الأحوال للأصوات النشاز بالنيل منها، ومن مقامتها فهي أثبتت من خلال الفتوى المباركة بأنَّه الأب الحنون على جميع أبنائه، يمتلك أسمى درجات الإنسانيَّة؛ إذ احتضنت ملايين النازحين وسخَّرت همَّ كلِّ الإمكانات من مأكل ومسكن ومشرب، وبنت مجمَّعات سكنيَّة؛ بل بكلِّ أمانةٍ وصدقٍ نقولها المرجعيَّة صمَّام الأمان للعراق وشعبه العزيز، بلد يملك مثل هكذا قائد ذكي بذكاء منظومي يهابه الجميع وتنحني له الرؤوس، منتصر أبيًّا شامخًا .

على هذا الأساس عمل الباحثان على تحليل مهارات الذكاء المنظومي في القيادة الاستراتيجيَّة عند السيِّد السيستاني (دام ظلَّه الوارف)، معتمدين المنهج الوصفي الاستنباطي لفتوى الجهاد الكفائي وخطبه وتوجيهاته في أثناء القتال ضد داعش الدموي، ويعرض الباحثان هنا أهمَّ مهارات الذكاء المنظومي في القيادة الاستراتيجيَّة عند السيِّد السيستاني (دام ظلَّه الوارف) في خطبة فتوى الجهاد المقدَّس، وما تبيَّنت من خطبٍ في أثناء قتال عصابات داعش الإجراميَّة معتمدين المنهج التحليلي الاستنباطي وعلى النحو الآتي:

١-**مهارة الإدراك الموقفي**: إدراك السيِّد لسيستاني بحكمة وحنكة القائد الاستراتيجي تعقد الموقف وخطورة الأوضاع مجسِّدًا بذلك مهارة الإدراك الموقفي من طريق بعد النظر على النقيض ممَّا يصفه به بعض المختلفين معه؛ كونه بحسب وجهة نظرهم القاصر بطيء في اتخاذ القرار، ذلك دام ظلَّه الوارث يرى أنَّ مفسدة العجلة، وعدم النضج في اتِّخاذ القرار، أشد من مفسدة التأخير والتأنِّي، فقد دأب في تعامله مع الأحداث المختلفة، على النظر للعواقب المحتملة على أمَّته، بتمام مفاصلها، ونخبها، في اتخاذ أيِّ قرار مؤثر؛ إذ صدم بهذه الفتوى للدفاع الكفائي القريب والعبيد، ولم

تكـن واردة في حسـاب أحـد عـلى الإطـلاق، وعامـل المباغتـة والمفاجـأة لمعالجـة الموقـف المختلفـة هـو مـن أبـرز مـا اتَّصـف بـه سـماحته؛ إذ لا يمكـن أن يحـزر مـن لـدن أعدائـه أبـدًا، ولا يمكـن توقُّـع مواقفـه عـلى الإطـلاق لذلـك كانـوا دائـمًا يعجـزون عـن مجاراتـه؛ إذ ورد في الخطبـة أنَّ طبيعـة المخاطـر المحدقـة بالعـراق وشـعبه تتضمَّـن الدفـاع عـن هـذا الوطـن وأعراضـه وأهلـه عـلى خـوض غـمار المعـارك بـما لا يؤثِّـر عـلى معيشـة عوائلهـم وحياتهـم الطبيعيَّـة، **(وأنَّ هـذا الدِّفـاع واجـب عـلى الموطنـين بالواجـب الكفائـي)**، .(الكربلائـي ،عبـد المهـدي ،(٢٠١٤) ،وكيـل الامـام السيسـتاني ، خطبـة صـلاة الجمعـة في الصحـن الحسـيني ،ص٣٢٢)

وأنَّ كثيًرا من القادة قد يستغل الظروف السياسيَّة، أو الاجتماعيَّة، من أجل اكتساب ألقاب جديدة، أو صيت ذائع، فهو حريص على ركوب أي موجة، من أجل تلميع صورته، أو توسعة مساحة نفوذه الاجتماعي؛ ولكن القائد المخلص لأمَّته، هو الحريص على أن يتعامل مع الظروف المختلفة بمنطلق الواقعيَّة، وتقديم الأهم على المهم، ودفع الأفسد بالفاسد، في إطار المصالح العامَّة للمجتمع الإسلامي هذا ما تجسَّد في مواقف السيِّد دام ظلَّه

٢-مهارة التركيز على الجزئيَّات: فتقديم الأهم على المهم، وإن كان أمرًا مرًّا وصعبًا، ومصادمًا لغليان العواطف والمشاعر، إلَّا أنَّه هو المنسجم مع مهارة القيادة الاستراتيجيَّة، وواقعيها، وإخلاصها فيتجسد هذه المهارة لتركيز على الجزئيات؛ إذ إنَّه (جهاد كفائي) حيث يتمُّ الانتقال إلى الجهاد بشكلٍ عامٍّ إلَّا في حالة الضرورة القصوى فقط فتقديم الأهم على المهم، وهنا جعل بقيَّة أفراد المجتمع من نساء وأطفال يعيشون حياة طبيعيَّة بصورةٍ آمنه ومستقرة ومطمئنَّة (الدفاع واجب على الموطنين بالوجب الكفائي) (الكربلائي ،عبد المهدي ،(٢٠١٤) ،وكيل الامام السيستاني ،خطبة صلاة

الجمعـة في الصحـن الحسـيني ،ص٣٢٢)

٣-السلوك الذكي في القيادات والأنظمة المعقدة: تتجسَّد هذه المهارة بوضوح عـن السيِّد السيستاني في أثناء قيادته الاستراتيجيَّة؛ إذ أكَّدها في خطبة الجهاد ففي ظلِّ الأوضاع المعقدة وسقوط بعض المحافظات بيد داعش الإرهابي نرى السيِّد دام ظلَّه الوارف ليقدِّم خطبته متكاملة متناسقة، يكمِّل كلَّ جزءٍ فيها الجزء الآخر في تنبيه بالخطر (**أنَّ طبيعة المخاطر المحدقة بالعراق وشعبه في الوقت الحاضر**) إلى كيفيَّة التصدِّي (**تقتضي الدفاع عن الوطن وأهله وأعراض مواطنيه**)، ثمَّ موضِّحًا لدورهم كجزء من القوات الأمنيَّة لتحقيق هذا الغرض المقدَّس . (الكربلائي، عبد المهدي،(٢٠١٤) ،وكيل الامام السيستاني ،خطبة صلاة الجمعة في الصحن الحسيني)

٤- **الاتجاه الإيجابي**: إنَّ أحد مهارات الذكاء المنظومي التي ينبغي أن تتوافر في القائد الاستراتيجي هو زيادة اتِّجاه الأفراد الذين يرأسهم الإيجابي نحو عمل معيَّن، وهذا ما عمل عليه السيِّد دام ظلَّه الوارف (**أيُّها المقاتلون الميامين، فالنصر منكم ولكم وإليكم، وأنتم أهله وأصحابه فهنيئًا لكم به، وهنيئًا لشعبكم بكم، وبوركتم وبوركت تلك السواعد الكريمة التي قاتلتم بها، وبوركت تلك الحجور الطاهرة التي ربيتم فيها، أنتم فخرنا وعزنا ومن نباهي به سائر الأمم، وما أسعد العراق بكم، لقد استرخصتم أرواحكم وبذلتم مهجكم في سبيل بلدكم وشعبكم ومقدساتكم، إنَّنا نعجز عن أن نوفيكم بعض حقكم؛ ولكن الله تعالى سيوفيكم الجزاء الأوفى، وليس لنا إلَّا أن ندعوه بأن يزيد في بركاته عليكم ويجزيكم خير جزاء المحسنين**) (الكربلائي ،عبد المهدي ،(٢٠١٧) ،وكيل الامام السيستاني ،خطبة النصر من الصحن الحسيني الشريف ،ص١)

٥-الانسجام أو المؤامة: ركَّز السيِّد السيستاني (دام ظلَّه الوارف) على هذه المهارة مدركًا لأهميَّتها ودورها في نجاح مهارات الذكاء المنظومي كلها، لذلك اعتنى وأفاض حنانه الأبوي، وتواضعه، وعنايته على الجميع، واستوعب معارضيه والمختلفين معه بالكلمة الطيبة والنصيحة الصادقة، وبالنتيجة القيادة الاستراتيجيَّة لا حظ معنا روعة العبارات لمخاطبة المقاتلين لتحقيق المؤامة بين القائد وأفراده (**أيُّها العراقيين الميامين، ما أسعد العراق، وما أسعدنا بكم**) وغيرها من العبارات التي تخاطب القلوب قبل الألباب لتنفذ محقِّقا تأثيرها الرهيب، فهو انسجام ما أروعه ؟ ومؤامة ما أبدعها؟ (الكربلائي ،عبد المهدي ،(٢٠١٧) ،وكيل الامام السيستاني ،خطبة النصر من الصحن الحسيني الشريف)

فمن جهة قد أدرك أنَّ الشعب العراقي المظلوم على مدى خمس وثلاثين سنة نزف دماءً كثيرة، وأعطى من الشهداء والجرحى عشرات الآلاف، وقدم من الضحايا والمآسي ما لا يحصى، فمقتضى حب القائد لشعبه، وإخلاصه له، وحفاظًا على دمائه، وأعراضه، وأمواله؛ ألا يكلفه ويلزمه ببذل المزيد من الدماء، وتقديم كثير من الضحايا، ولا سيَّما أنَّ قطاعًا كبيرًا من هذا الشعب قد سئم من كثرة الجراح والمآسي، وآثر أن يخلد إلى الراحة وترميم الجراح.

٦-التوجه المنظومي طويل الأمد: طبق السيِّد السيستاني (دام ظلَّه الوارف) هذه المهارة؛ بل جعل منها مقدمة أولوياته حرصًا منها على انتصار أتباع مذهب أهل البيت (عليهم السلام) وديمومة هذا الانتصار برؤية استشراقية المستقبل، نابعة من رؤى باصرة وتخطيط مبصر في ضوء الأحداث؛ إذ صرَّح وقال قبل حرب داعش التفكيري (**المرحلة القادمة هي الأخطر؛ لأنَّها حرب فكريَّة ضد الدين والمذهب**)، وكأنَّه (دام ظلَّه الوارف) يخطط للجهاد الكفائي والتصدي العدو قبل سنوات من عدونهم الهمجي؛ بل حتَّى التخطيط والتوجه المنظومي ما

بعد النصر (من الضروري المحافظة على هذه المكانة الرفيعة والسمعة الحسنة، وعدم محاولة استغلالها لتحقيق مآرب سياسيَّة يؤدِّي في النهاية إلى أنَّ يحلّ بهذا العنوان المقدَّس ما حلّ بغيره من العناوين المحترمة نتيجة للأخطاء والخطايا التي ارتكبها من ادّعوها)

٧- **إدارة النظم في السياقات العامَّة**: إنَّ القيادة هي التي لا تنشغل بالقضايا الثانوية والهامشيَّة، على حساب القضايا الأساسية والأوليَّة، وهذا ما أفاده السيِّد دام ظلَّه فعلًا، وحركة، فهو الذي يرى أنَّ أهم قضيَّة يعنى بها مرجع الأمَّة، والقائد المسلم، هي الدفاع عن حرمة الإسلام والمذهب الإمامي، والمحافظة على نقاء صورته، وصفاء سمعته، في نظر المجتمع العقلائي العام، وأنَّ حرمة الإسلام والإيمان أشد من حرمة المؤمن، وأي حرمة أخرى، عمل القائد الاستراتيجي السيِّد السيستاني (دام ظلَّه الوارف) على تطبيق هذه المهارة في الذكاء المنظومي قولًا وعملًا نظريَّة وسلوكًا حتَّى يتمكَّن من معالجة الأزمات في محاولة ناجحة لصد من يريد التصيد بالماء العكر، وفصل أبناء الشعب الخلص عن الاتهامات مهما اختلفوا في المذهب أو المعتقد (**السنة إخواننا؛ بل أنفسنا**) ومن أبرز مواقفه، التي تظهر مدى اهتمامه بحرمة الإسلام وعظمته، وقوله الصارم أمام الفتن الطائفيَّة، التي حاولت العبث بالمجتمع العراقي الواحد، فقد حرم على كل عراقي دماء المسلمين من أبناء المذاهب الإسلامية الأخرى، وأكد على أنَّهم إخوة في الإسلام، وأنَّ لهم جميع حقوق الأخوة، لا لضعف، أو جلب مودة، أو حيازة سمعة، أو لقب؛ بل لأجل أنَّ حرمة الإسلام، وأهميَّة امتداده وقوته، وبيان مدى سماحته وشموليَّته الأبوية لأبنائه، قضيَّة أساسية لا يستخف بها، وصولًا إلى الدفاع عن وحدة الهدف لدى جميع أبناء الشعب (**لا ينبغي ان ويفكر البعض بالتقسيم حلا للازمة الراهنة بل هو الحل الذي يحفظ وحدة العراق وحقوق جميع مكوناته**)،

ولهذا أفتى بأنَّه لا يجوز للمسلم الاستيلاء على أموال غير المسلم في البلاد الإسلاميَّة، وغيرها، إلَّا بطريق قانوني عقلائي، بمقتضى عقد الأمان الجاري بين أبناء الشعوب المختلفة، حفاظًا منه على سمعة الإسلام، وقيادته؛ بل أصبح صمام الأمان للشعب العراقي المظلوم.(الخفاف، ٢٠٠٩ : ٤١٣)

٨-**مهارة بناء المنظومة وإعادة هيكلتها** :وضف السيِّد السيستاني دام ظلَّه الوارف بقدرة رائعة ومقدرة رائدة عندما أكَّد على دور المنظومة الأمنيَّة مع متطوعي فتوى الجهاد الكفائي المقدَّس من خلال شحن جبهات القتال وغرف العمليات برجال الحوزة وعلمائها، وعصبة من عظمائها ومحققيها وكان بعظهم سقطوا شهداء في أرض المعركة وأنَّ دماء القوات الأمنيَّة وشهدائه انمزج مع قوات رجال الدين بحيث أصبح أحدهما يكمِّل الآخر بصنوفها كافَّة بحزمة كبيرة من التوجيهات والتعليمات التي شكَّلت طوق أمان ودرعًا حصينًا يقي رجال السواتر من مكر الاعداء وسموم السنتهم، وأنَّ في المنظومة الأمنيَّة وإن احترقت في المناطق التي تمَّ السيطرة عليها من قبل تنظيم داعش الارهابي فإنَّ هناك عناصر أمنيَّة بطلة وباسلة في المناطق الأخرى قادرة على الإسهام في تحرير المناطق المسيطر عليها (إنَّ الكثير من الضباط والمنتسبين والجنود والموظفين في وزارة الدفاع والداخليَّة قد أبلوا بلاءً حسنا في الدفاع والصمود، فالمطلوب من الجهات المعني تكريم هولاء تكريماً خاصًّا لينالوا مستحقاتهم) وصولًا إلى وحدة الهدف بين متطوعي فتوى الجهاد المقدَّس والقوات الأمنيَّة (اجعلوا مقدكم ونيتكم ورافقكم هو الدفاع عن حرمات العراق ووحدته، وحفظ الأمن للمواطنين وصيانة المقدَّسات) .(وكالة هنا الجنوب الإخبارية ، رقم الاعتماد في نقابة الصحفيين ٥/ ١٢/ ،بتاريخ ٥/ ٧/ ٢٠١٤)

ومن جهة، ومن جهة أخرى ما أعده السيِّد السيستاني من خطة محكمة لم تترك للعدو ثغرةً واحدة، ولم تعطه فرصة يلتقط بها نفسه من خلال

تشكيل لجنة التعبئة والإرشاد؛ إذ تخصَّصت في توجيه المساعدات في الجبهات وتكليف مؤسَّسة العين بمتابعة جرحى القوات الأمنيَّة والمتطوعين ومعالجتهم سواء داخل العراق أو خارجه ، فالمتأمِّل في كلِّ خطوات القيادة الاستراتيجيَّة ومهاراتها عند السيِّد السيستاني أنَّ القائد هو الماسك بزمام الأمور من عليائها، ومن كان محيطًا علمًا بكلِّ صغيرةٍ وكبيرةٍ، وأكثر من ذلك قد رأيناه ولمسناه في مرجعنا المفدَّى، وما النصر الذي تحقق اليوم إلَّا ثمرة تلك لفتوى الخالدة والخطط المنيعة، والجهود العظيمة التي ما عرفنا عنها إلَّا القليل جدًّا.

المبحث الرابع

(الاستنتاجات)

ويتم في هذا المبحث عرض أهمِّ الاستنتاجات التي توصَّل إليها الباحثان من نتائج وأهمها:

الاستنتاجاتَ: في ضوء النتائج للبحث الحالي توصَّل الباحثان إلى الاستنتاجات التالية:

١-ممارسة السيِّد السيستاني لدوره القيادي من خلال قيادة استراتيجيَّة وذكاء المنظومي كاملة الأبعاد جعل أبناء الشعب العراقي وحدة متماسكة؛ إذ هب أبناء الجنوب والوسط للدفاع عن المناطق الشمالية والغربيَّة، فضلًا عن ذلك نجد أنَّ أبناء تلك المناطق قد ساندوا إخوانهم من أبناء القوات الأمنيَّة والحشد الشعبي، والمتطوعين من مختلف الطوائف.

٢-حقَّقت القيادة الاستراتيجيَّة الأهداف الرئيسة التي أرادها من فتوى الجهاد الكفائي؛ بل رسمت هذه الفتوى صورة المقاتل المثالي الذي يتحلَّى بها المقاتل من الصبر والصدق والأمانة والرفق بالأسير والإخلاص، وعدم التعرض لحرمات النساء وعدم الاجهاد على الجريح، والحفاظ على الممتلكات العامَّة.

٣-من دلائل نجاح هذه الفتوى المباركة أنَّها أصبحت نبراسًا تتضمَّن قيماً روحيَّة وأخلاقيَّة مستمدة من كتاب الله عز وجل، ومبادئ المعصومين، ولذا تلقاها المؤمنون سواء في العراق أو في بلاد المسلمين بالرضا، والقبول والتأييد كما جسَّدت مدى التلاحم بين المؤسَّسة الدينيَّة والجماهير.

٤-من دلائل نجاح هذه الفتوى المباركة أنَّ السيِّد السيستاني يمتلك الصِّفات والخصائص للقائد الاستراتيجي الذكي من أهمِّها: **خصائص ذاتيَّة فطريَّة**: كالتفكير والتخطيط والإبداع والقدرة على التصور، **ومهارات إنسانيَّة اجتماعيَّة** كالعلاقات والاتصال والتحفيز **ومهارات فنيَّة "تخصصيَّة"**: كحلِّ المشكلات واتخاذ القرارات.

المصادر والمرجع

*** أوَّلا – المصادر العربية**

* الفيحان، إيثار عبد الهادي، وجلاب، إحسان دهش (٢٠٠٦)، ممارسات القيادة الاستراتيجيَّة وعلاقتها بخدمة الزبون، دراسة تحليليَّة لآراء عينة من مديري المصارف الأهليَّة، مجلة الإدارة والاقتصاد العدد٥٩، بغداد، العراق.
* الشلمة، ميسون عبد الله احمد (٢٠٠٩)،دور أبعاده القيادة الرؤيويَّة في رأس المال البشري: دراسة لآراء مجموعة من القادة الأكاديميين في جامعة الموصل والمعهد التقني، رسالة دكتوراه فلسفة في إدارة أعمال، كليَّة الإدارة والاقتصاد، جامعة الموصل.
* المدرسي، محمَّد تقي (٢٠٠٤)،" القيادة السياسيَّة في المجتمع الإسلامي"، دار محي الحسين، ط١.
* العيساوي، محمَّد حسين، العارضي، وجليل كاظم، العبادي، هاشم فوزي، (٢٠١٢)، "الإدارة الاستراتيجيَّة المستدامة"، مدخل لإدارة التنظيمات في الألفية الثالثة .
* جاد الرب، سيد (٢٠١٢)، القيادة الاستراتيجيَّة، ط١، دار النهضة للنشر، القاهر مصر.
* يونس، طارق شريف، (٢٠٠٢)، الفكر الاستراتيجي للقادة، دروس مستوحاة من التجارب العالمية والعربية "، القاهرة، المنظمة العربية للتنمية الإداريَّة .
* الربيعي، نازك نجم، (٢٠٠٨) أبعاد القيادة الاستراتيجيَّة وممارستها، دراسة تحليليَّة لفكر واحاديث وممارسات الإمام علي ﷺ، رسالة ماجستير غير منشورة، مقدمة إلى مجلس كليَّة الإدارة والاقتصاد جامعة الكوفة.
* عبودي، زيد منير (٢٠٠٦)، الإدارة الاستراتيجيَّة، دار كنوز المعرفة عمان، الأردن.
* الفيل، حلمي عبد العزيز (٢٠١٥) الذكاء المنظومي في نظرية العبء المعرفي، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة .
* جابر، عبد الحميد جابر، (١٩٩٧) الذكاء ومقاييسه، القاهرة، دار النهضة العربية.
* العامري ،عمار ياسر (٢٠١٦) :قراءة في فتوى الدفاع المقدس للأمام السيستاني ،ط،١، دليل فعاليات وبحوث مهرجان فتوى الدفاع المقدسي الثقافي الأول ،قسم الشؤون الفكري ،العتبة العباسية المقدسة ،كربلاء المقدسة العراق .
* الكربلائي ،عبد المهدي ،(٢٠١٤م):وكيل المرجع السيستاني ،كربلاء المقدسة ،خطبة الجمعة .
* الخفاف ،حامد (٢٠٠٩) :النصوص الصادرة عن سماحة السيد السيستاني في المسالة العراقي ،دار المؤرخ العربي .
* وكالة هنا الجنوب الإخبارية ، رقم الاعتماد في نقابة الصحفيين ٥/ ١٢/ ،بتاريخ ٥/ ٧/ ٢٠١٤.
* الكربلائي ،عبد المهدي ،(٢٠١٧) ، وكيل الامام السيستاني ،خطبة النصر من

الصحن الحسيني الشريف ، موقع المرجعي https://www.sistani.org/arabic/statement/25878/

* النجفي ،محمد حسن (١٤٢٣هـ):جواهر الكلام فيشرح شرائع الإسلام ،طهران ،دار الكتب الإسلامية.

*** ثانيًا المصادر الأجنبية**

* A.BOOKS

* Prasertcharoensuk،T.,& Tang. .The effect of strategic leadership factors of administrators on school effectiveness under the office of Maha Sarakham primary Educational Service Area 3.Kasetsart Journal of Social Sciences 2017, 38(3).

* Hill,C;jons، G., "Strategic Management Theory ", Houghton Mifflin Company، 2001, p15.

* Westerlund,M.(2004) .Theory of Constraints Revis – ited – Leveraging Teamwork by Systems Intelligence . Mat-2. 108 Independent Research project in Applied Mathematics Helsinki University of Technology .pp1-29.

* Guilford,j.p,(1959). Personality ،New York. McGraw-Hill,1959.

* Hamalainen & Saarinen,E, (2003) Systems intelligence ; A programmatic Qutine .Helsinki Universiy of Technology .Systms Analysis Laboratory.

* Tormanen، J,(2012) Systems intelligencein ventory،Master Thesis, Aalto ،Unikversity ،Finland.

* Hamalainen،Raimo p. and Esa Saarinen، (2007) : Systems intelligence،A key competence fom organizational life،Reflections The Sol Journal،vol.V,NO. 2,PP.

v-TAUNIVERSITY of Techno

الأساس الدستوري لفتوى المرجع الدِّيني الأعلى بالدِّفاع الكفائي سنة ٢٠١٤م

أ.م.د. حيدر ناجي طاهر
جامعة الفرات الأوسط التقنيَّة / جمعيَّة العميد العلميَّة والفكريَّة

ملخَّص البحث

يتناول هذا البحث الإطار الدستوري الذي تستند إليه فتوى الدِّفاع الكفائي التي أصدرها المرجع الأعلى السيِّد علي السيستاني (دام ظلّه الوارف) في حزيران ٢٠١٤، في ظلِّ تهديد جماعة إرهابيَّة لسيادة العراق ووحدة أراضيه. يهدف البحث إلى بيان مدى انسجام هذه الفتوى مع التشريعات العراقيَّة النافذة، ولا سيَّما الدستور العراقي لعام ٢٠٠٥، وتشخيص المواد الدستوريَّة ذات الصلة بمواجهة الإرهاب الداخلي والخارجي، وبيان مدى وجود مركز دستوري للمرجعيَّة العليا في الدولة العراقيَّة الحديثة.

ينطلق البحث من مبدأ فقهي إمامي ثابت، يقضي بضرورة التزام المكلف بالتشريعات الوضعيَّة، وبخاصَّة الدستور، بوصفه الوثيقة الأمّ للتشريع، وما ينبثق عنه من قوانين وأنظمة وتعليمات. ومن هذا المنطلق، يسعى الباحث إلى إثبات التوافق بين الفتوى الشرعيَّة ومقتضيات النصِّ الدستوري، بوصفها استجابة دينيَّة لحالة تهديد وجودي للوطن؛ لكنَّها في الوقت نفسه مشروعة من الناحية الدستوريَّة والقانونيَّة.

مشكلة البحث:

مدى مطابقة فتوى الدِّفاع الكفائي للتشريعات العراقيَّة النافذة، وخاصَّة

الدستوريَّة منها، وتشخيص المواد الدستوريَّة المرتبطة بمكافحة الإرهاب الداخلي والخارجي وبيان واجب الدولة إزاء ذلك، إضافة إلى التحقيق في وجود مركز تشريعي للمرجعيَّة العليا في إطار التنظيم الدستوري العراقي

أهداف البحث:

لفت نظر الرأي العام والمتخصِّصين إلى مواءمة الفتوى الشرعيَّة مع التشريعات سواء أكان الدستوريَّة منها أو القانونيَّة، وبيان انسجام مواقف المرجعيَّة العليا مع الإطار القانوني النافذ الحاكم على الدولة العراقيَّة أفرادًا ومؤسَّسات.

النتائج المتوقعة:

التفعيل العملي للمواد الدستوريَّة ذات الصلة بالأمن والدِّفاع وتعزيز المراقبة والمتابعة للواقع الأمني من لدن المرجعيَّة، بما يسهم في حفظ أركان الدولة وحياطتها: الشعب، والإقليم، والنظام السياسي.

الكلمات المفتاحية: الدستور – الفتوى – الدِّفاع – المرجع – الإرهاب

Abstract

This research addresses the constitutional framework underpinning the Sufficient Defence Edict issued by the Supreme Authority, Seid. Ali Al-Sistani (may Allah prolong his life), in June 2014, amidst a threat by a terrorist group to the sovereignty and territorial integrity of Iraq . The research aims to clarify the extent to which this edict aligns with effective Iraqi legislation, particularly the 2005 Iraqi Constitution. It identifies constitutional articles relevant to confronting internal and external terrorism and elucidates the existence of a constitutional position for the Supreme Authority within the modern Iraqi state.

The research shows a fixed Imami jurisprudential principle: the necessity of the religiously accountable individual adhering to favorable legislation, specifically the Constitution, as it is the supreme document of legislation, and the laws and regulations stemming from it. From this premise, the researcher seeks to prove the compatibility between the Religious Edict and the requirements of the constitutional text, describing it as a religious response to an existential threat to the nation that is simultaneously legitimate from constitutional and legal standpoints.

• **Research Problem**: The extent to which Sufficient Defence Edict conforms to effective Iraqi legislation, especially constitutional law; identifying constitutional articles related to combating internal and external terrorism; outlining the duty of the state and investigating the existence of a legislative center for the Supreme Authority within the Iraqi constitutional organization.

• **Objectives**: To draw the attention of public opinion and specialists to the alignment of the Religious Edict with legislation (constitutional or legal) and to demonstrate the harmony of the positions for

the Supreme Authority with the practical legal framework governing the Iraqi state, its individuals, and institutions.

• **Expected Results**: The practical activation of constitutional articles related to security and Defence, and the enhancement of the monitoring and follow-up of the authority to ground security , contributing to the preservation and protection of the state pillars: the People, the Territory, and the Political System.

Keywords: Constitution, Edict, Defense, Religious Authority, Terrorism.

المقدمة

تم تناول مقدمة البحث، من خلال عرضه عرضًا مقتضبًا لموضوع الدراسة، والأهميَّة الموضوعيَّة التي تتَّصف بها، والمشكلة البحثيَّة التي يرتجي الباحث الوقوف عليها وتقديم الحلول الناجعة لها، والمنهج العلمي المُعتمد، والخِطة الذي يستند اليها للوصول إلى النتيجة المرجوة.

أوَّلًا: موضوع البحث

حوت الدراسة الأسس الدستوريَّة لفتوى المرجعيَّة الدينيَّة العليا في النجف الأشرف بالجهاد الكفائي ضدَّ عصابات داعش الإرهابيَّة عام ٢٠١٤، التي توغلت في الأراضي العراقيَّة لتحتل ما يقارب ثلث مساحة البلد، رامية احتلال البقية من أراضيه، وإهلاك الحرث والنسل وهتك الأعراض واستباحة المقدسات، والباحث في ذلك يتوخَّى تأشير المواد ذات العلاقة في دستور جمهوريَّة العراق لسنة ٢٠٠٥ النافذ، التي تُعدُّ بمثابة مصادر تشريعيَّة تدعم وتُسند الفتوى المباركة، وبذلك يلتقي المصدر الفقهي التفصيلي الذي يعتمده المرجع الأعلى في فتواه مع المصدر والمسوغ التشريعي ـ الدستوري ـ عند نقطة التكليف الشرعي والوطني في صد الجماعات التكفيريَّة ــ داعش عن غيهم وإخراجهم من حريم العراق.

ثانيًا: هدف البحث

يهدف البحث لفت نظر الرأي العام والمتخصِّصين إلى مواءمة الفتوى الشرعيَّة مع التشريعات الدستوريَّة، وبيان انسجام مواقف المرجعيَّة العليا مع الإطار القانوني النافذ في الدولة العراقيَّة.

ثالثًا: أهميَّة البحث

خطورة أي بحث وأهميَّة أي دراسة تأتي من خطورة موضوعها وأهميَّتها، والجوانب الدقيقة التي تتناولها، بما تنتجه من ثمرة تحقيقيَّة، تمثِّل إضافة علميَّة، وكيف لا يكون ذلك وهو يتناول المرجعيَّة الدينيَّة في جنبتين رئيسين

في العالم المعاصر: الأولى تتعلَّق بفتوى الجهاد ضد الإرهاب في إطار الدولة ومؤسَّساتها، والأخرى تتمثَّل في الانطلاقة الدستوريَّة لتلك الفتوى، بحيث يتَّصل الشرع والوضع في إخراج فتوى تنقذ البلد من الانهيار وجودًا واستمرارًا؛ كون أثرها أو مبرر وجودها لازال شاخصًا إلى وقتنا هذا.

رابعًا: مشكلة البحث

تنطوي ورقة الدراسة على مشكلة بحثيَّة، يحاول الباحث الوقوف عليها واستنطاق المواد ذات العلاقة من دستور ٢٠٠٥ النافذ، بحيثيَّات بالغة الدقة والمسؤوليَّة، من جهة المرجعيَّة العليا وفتواها بجهاد الدِّفاع المقدَّس، وجهة المشروعيَّة الدستوريَّة لتلك الفتوى؛ إذ تمثِّل الجهة الجانب الحضاري الذي يستقطب الاهتمام العالمي، بما يعطي زخمًا إضافيًّا من النجاح في عالم التشريع الوضعي، ويسد الذريعة على الواثبين لكلِّ زلَّة أو خطأ قد يدعيها الأعداء لسلب الغطاء الدستوري عن تلك الفتوى المباركة.

خامسًا: منهج البحث

اتَّخذ الباحث في دراسته من الوصف والتحليل منهجًا علميًّا، وذلك من خلال تحليل النص الدستوري ودِلالات ألفاظه، وصولًا إلى إظهار المراد القطعي للمشرع الدستوري العراقي، على النحو الموضوعي البعيد عن التكلف والانحياز.

سادسًا: خطَّة البحث

تمَّ تقسيم البحث إلى ثلاثة فروع، تناول الفرع الأوَّل منها أثر المرجعيَّة الدينيَّة العُليا في التشريع الدستوري، أما الفرع الثاني فقد حوى المركز التشريعي للمرجعيَّة الدينيَّة العُليا، وأخيرًا في الفرع الثالث تمَّ عرض الأساس الدستوري لفتوى الدِّفاع الكفائي ضد داعش.

الفرع الأوَّل

أثر المرجعيَّة الدينيَّة العُليا في التشريع الدستوري

The effect of the supreme religious authority on constitutional legislation

يقتضي الدخول في موضوع البحث تقديم توطئة، تتضمَّن مفهوم التشريع الدستوري أو مفهوم الدستور ضمن دائرة التشريع بصورة عامَّة، ومن ثمَّ بيان لمحة عن دور المرجعيَّة العليا في النجف الأشرف في الواقع الدستوري العراقي.

أوَّلًا: مفهوم الدستور

يُعرَّف الدستور أو القانون الدستوري بأنَّه القواعد التي تنظِّم سلطات الدولة وتحديد اختصاصاتها وعلاقاتها مع بعظها، ويعدُّ الدستور أعلى القوانين العامَّة داخل الدولة، وهو الأساس لجميعها، وسندها، ولا يصدر أي قانون في الدولة إلَّا على وفق الإجراءات التي يحددها ذلك الدستور، ولا يجوز بأيِّ حالٍ مخالفة القانون لدستور الدولة، ويتناول الدستور تعيين أسس تنظيم الدولة السياسيَّة والاقتصاديَّة والاجتماعيَّة والثقافيَّة والدِّفاع الوطني، إضافة إلى ذلك يحدِّد الدستور حقوق المواطنين الأساسيَّة وواجباتهم، وينظِّم عمل سلطات الدولة، التشريعيَّة والتنفيذيَّة والقضائيَّة والنصِّ على اختصاصات رئيس الدولة والعلاقة ما بين السلطات الثلاث[1].

وقد اختلف فقهاء القانون الدستوري في المدلول والعيار المُعتمد لدى كلٍّ منهم في بيان طبيعة قواعد هذا القانون إلى اتجاهات عدَّة: الاتجاه الأوَّل وهم أصحاب المدلول اللغوي فقد عرّفوا القانون الدستوري؛ كونه مجموعة القواعد التي يقوم عليها بناء الدولة وتكوينها، وأمَّا أصحاب المدلول التاريخي فهم أصحاب الاتِّجاه الثاني فقد عرّفوه من كونه مجموعة القواعد القانونيَّة التي تحدد السلطات العامَّة وحقوق الأفراد في ظلِّ نظام ديمقراطي نيابي، والاتجاه

الثالث وهم أصحاب المدلول الشكلي اتجهوا إلى تحديد قواعد القانون الدستوري بمجموعة القواعد الأساسيَّة التي تحويها الوثيقة القانونيَّة التي يطلق عليها الدستور، وأخيرًا الاتجاه الرابع وهم أصحاب المدلول الموضوعي الذين يرون أنَّ قواعد القانون الدستوري تتحدد وتتعين على وفق أساس المضمون الجوهر والمضمون والموضوع، وعليه فإنَّ قواعد القانون موضوع البحث تشمل جميع المسائل ذات الطبيعة الدستوريَّة، سواء تضمنه دستور الدولة بالذات أو القانون الاعتيادي [٢]، وهو ما نرجحه من بين الاتجاهات مارة الذكر.

ثانيًا: مفهوم المرجعيَّة الدينيَّة العُليا

تميَّز المذهب الإمامي الاثني عشري بإبقاء باب الاجتهاد مفتوحًا على مرِّ العصور وتعاقب الدهور، وتميَّزت أيضًا بالتقليد، الذي هو رجوع المكلفين عامَّة الذين لا معرفة لهم بالأحكام الشرعيَّة في أعمالهم وتروكهم للمجتهد المأمون على الحكم الشرعي [٣].

والاجتهاد هو استنباط الأحكام الشرعيَّة الفرعيَّة عن أدلتها التفصيليَّة، والمجتهد إمَّا أن يكون مجتهدًا مطلقًا، وهو من يتمكَّن من استنباط الأحكام في جميع الأبواب الفقهيَّة، أو مجتهد متجزئ، أي الذي يتمكَّن من عمليَّة الاجتهاد بالملكة في بعض الفروع والأبواب الفقهيَّة دون بعضها الآخر [٤].

وإزاء ذلك يترتَّب على كلِّ مكلَّف من لم يصل إلى رتبة الاجتهاد في المسائل الشرعيَّة، أن يكون في سائر عباداته وجميع أفعاله وتروكه، إمَّا مقلدًا أو محتاطًا، إلا أن يحصل له العلم ـ بالحكم الشرعي ـ بأنَّه لا يلزم من فعله أو تركه مخالفة الحكم إلزامي أو يكون ذلك الحكم من ضروريات الدين أو المذهب، كما في بعض الواجبات وبعض المحرمات، وكثير من المستحبَّات والمباحات، ويحصل للكلف العلم المذكور بطريقين، فإمَّا أن يكون بطريق الوجدان أو بطريق الاطمئنان، من المناشئ العقلائيَّة، كالشياع وإخبار المُطلع عليها بكونه منها [٥].

ويشترط في مرجع التقليد مجموعة أمور وهي البلوغ، والعقل، والإيمان، والذكورة، والاجتهاد، والعدالة، وطهارة المولد، وأن لا يقل ضبطه عن الحدِّ المتعارف، والحياة، فلا يجوز تقليد الميت ابتداءً، والأعلميَّة، في مورد اختلاف الفقهاء في الفتوى [٦].

وولاية أي اختصاص الفتوى التي هي بمعنى حق ابداء الرأي في المسائل الشرعيَّة ـ لا شك في ثبوتها للفقيه مطلقًا؛ لأنَّ وجود هذه الصفة للفقيه هو حقيقة علميَّة، كون الفقيه شأنه شأن غيره من ذوي الاختصاص الذين لهم حق إبداء الرأي فيما يتخصَّصون فيه من العلوم والمعارف، وعلاوة على ذلك اختصاص الفقيه بالفتوى فله كذلك الحق بالمرجعيَّة، أي أن تكون فتواه قابلة لعمل المسلمين بها ويجوز لهم الرجوع إليه في ذلك، وحجيَّة الفتوى التي هي بمعنى اعتبار فتواه واستنباطه الفقهي للآخرين أمر اعتباري، وظاهرة شرعية قابلة للسلب والايجاب والثبوت واللاثبوت تحت شرائط خاصة، وقد أقيمت لأثبات حجيَّة فتوى الفقيه الجامع للشرائط أدلَّة كافية من كتاب الله العزيز والحديث؛ بل استقرَّت السيرة المستمرَّة للعقلاء في العالم على الرجوع في كلِّ فنٍّ من الفنون أو شعبة من شعب العلوم إلى أهل الخبرة، وتقليد الفقهاء والرجوع إليهم يرجع إلى هذا المعنى، فمقام الإفتاء ثابت في الدرجة الأولى للرسول ﷺ ـ بعنوان التبليغ ـ ثمَّ للائمَّة عليهم السلام، ثمَّ إلى عامَّة المجتهدين الفقهاء [٧].

ثالثًا: اختصاص المرجع الديني الأعلى بفتوى الدِّفاع

من الثوابت في الفقه الإمامي؛ بل الفقه الإسلامي بصورة عامَّة أنَّه " يجب على كلِّ مسلم الدِّفاع عن الدين الإسلامي إذا كان في معرض الخطر"[٨]، فالدِّفاع الشرعي في الدين الإسلامي يدخل تحت عنوان فرع من فروعه، ألا وهو الجهاد، الذي هو "القتال لإعلاء كلمة الإسلام وإقامة شعائر الإيمان" [٩]، ويشمل ذلك قتال العدو على النطاق الداخلي ـ الحرب الأهليَّة ـ والنطاق الخارجي ــ الحرب مع دولة أو دول أخرى.

وفي الوقت الذي يُعدُّ الجهاد من وظائف الدولة في الإسلام [١٠]، فقد عدّها أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام ثانيَ تلك الوظائف الرئيسة للحاكم،

وذلك بعد تأمين الجانب المالي ـ جباية الخراج ـ لنشاطاتها كمرفق عام؛ إذ قال ﷺ "هذا ما أمر به عبد الله علي أمير المؤمنين، مالك بن الحارث الأشتر في عهده إليه، حين ولاه مصر: جباية خراجها، وجهاد عدوها ...."[١١].

الفرع الثاني

المركز التشريعي للمرجعيَّة الدينيَّة العُليا

Legislative Centre of the Supreme Religious Authority

يمكننا العثور على مصاديق للمركز التشريعي[١٢] الخاص بالمرجعيَّة الدينيَّة العليا في النجف الأشرف، خلال إمعان النظر في نصوص دستور جمهوريَّة العراق لسنة ٢٠٠٥ النافذ والقوانين والأنظمة النافذة ذات العلاقة.

أوَّلًا: المركز الدستوري للمرجعيَّة الدينيَّة العليا

تمَّ النصُّ على المرجعيَّة الدينيَّة العليا في صلب دستور جمهوريَّة العراق لسنة ٢٠٠٥ النافذ، وذلك في ديباجته أو مقدمته " عرفانًا منَّا بحقِّ الله علينا، وتلبيةً لنداء وطننا ومواطنينا، واستجابةً لدعوةِ قياداتنا الدينيَّة وقوانا الوطنيَّة، وإصرارِ مراجعنا العظام وزعمائنا وسياسيينا، ووسطَ مؤازرةٍ عالميَّة من أصدقائنا ومحبِّينا، زحفنا لأوَّل مرَّةٍ في تاريخنا لصناديق الاقتراع بالملايين".

والديباجة تُعرض فيها الأفكار الرئيسة التي ينطلق منها الدستور، أو الظروف المحيطة أو السابقة على وضعه، أو الحقيقة التاريخيَّة المهمَّة في تاريخ البلد.... وهي بكلِّ الأحوال تعدُّ جزءًا من الدستور بغضِّ النظر عن مدى قوَّتها الإلزاميَّة الذي تباينت فيها الاتجاهات في ذلك، وهي تنصُّ فيما تنصُّ على الغايات والأهداف المعروفة في الفقه الدستوري بالفكرة القانونيَّة السائدة، التي "**يراد منها مجموعة المقاصد والأهداف التي يرسمها دستور الدولة من النواحي السياسيَّة والاقتصاديَّة والاجتماعيَّة، وهذه الفكرة تمثِّل الفكرة الأساسيَّة التي تبنى عليها الدساتير أحكامها من جهةٍ وتتقيَّد بها التشريعات العادية من جهةٍ أخرى**" [١٣].

ومع عدم النصِّ بشكل صريح على المرجعيَّة الدينيَّة العليا في غير الديباجة من مواد الدستور أعلاه، إلَّا أنَّ العلاقة والرابطة والتلازم الوثيق ما بين المرجعيَّة العليا ومضامين بعض نصوص الدستور الرئيسة تعدُّ من المسلمات، وإن كانت ــ المرجعيَّة العليا ـ من الناحية الواقعيَّة ــ "تضطلع بواجبات وتمارس أدوارًا متعدِّدة تصب في الصالح العام، لا تتناسب مع محدوديَّة مركزها القانوني الحالي وفق القواعد القانونيَّة السائدة"[١٤].

ويتبيَّن ذلك فيما تحويه النصوص الدستوريَّة في أدناه، من موضوعات ترتبط بشكل مباشر بالمرجعيَّة الدينيَّة العليا لغالبيَّة الشعب العراقي، بوصفها تمثِّل قيادة دينيَّة كبرى، ترسم وتعبّد لهم الطريق المعتبر إلى الشارع المقدَّس في أفعالهم وتروكهم، بما يبرئ ذممهم إزاء التكليف الشرعي، والنصوص الدستوريَّة ذات العلاقة، التي هي:

١. الإسلام دين الدولة، وهو المصدر الأساس للتشريع، ولا يجوز سن قانون يتعارض مع ثوابت أحكام الإسلام.

٢. يضمن هذا الدستور الحفاظ على الهويَّة الإسلاميَّة لغالبيَّة الشعب العراقي، ويضمن أيضًا كامل الحقوق الدينيَّة لجميع الأفراد في حريَّة العقيدة والممارسة الدينيَّة.

٣. العتبات المقدَّسة والمقامات الدينيَّة في العراق كيانات دينيَّة وحضارية، وتلتزم الدولة بتأكيد وصيانة حرمتها، وضمان ممارسة الشعائر بحريَّة فيها.

٤. العراقيون أحرار في الالتزام بأحوالهم الشخصيَّة بحسب دياناتهم أو مذاهبهم أو معتقداتهم أو اختياراتهم وينظم ذلك بقانون.

٥. لكلِّ فردٍ حريَّة الفكر والضمير والعقيدة.

٦. أتباع كلِّ دين أو مذهب أحرار في ممارسة الشعائر الدينيَّة، وإدارة الأوقاف وشؤونها ومؤسَّساتها الدينيَّة وحريَّة العبادة وجرمة أماكنها[١٥].

ومع تقدم أعلاه، يتبيَّن أنَّ الدين الإسلامي في الواقع التشريعي العراقي

هو مصدر رسمي [١٦] لدستور سنة ٢٠٠٥ النافذ، وقد أكَّد القضاء الدستوري في العراق المتمثِّل في المحكمة الاتحاديَّة العليا بالصفة الرسميَّة للدين بوصفه مصدرًا للدستور المذكور في أثر من قرار[١٧]، ويترتَّب عن ذلك أيضًا اعتماد واعتبار فتاوى المرجعيَّة الدينيَّة العليا، بوصفه وسيلةً رصينةً ومأمونةً للأخذ من المصدر الديني.

ثانيًا: المركز القانوني للمرجعيَّة العليا

بالنسبة إلى موارد النصوص التي تمَّ التصريح فيها بالمرجعيَّة الدينيَّة العليا في القانون العادي أي القوانين والأنظمة، فهي كما يلي:

١. التعديلات الواردة على قانون إدارة الأوقاف رقم (٦٤) لسنة ١٩٦٦

٢. قانون ديوان الوقف الشيعي رقم (٥٧) لسنة ٢٠١٢

٣. قانون إدارة العتبات المقدسة الشريفة رقم (١٩) لسنة ٢٠٠٥

٤. النظام الداخلي للعتبة الحسينيَّة المقدسة رقم (١) لسنة ٢٠٠٧

٥. نظام الخدمة في العتبات المقدسة والمزارات الشريفة رقم (٤) لسنة ٢٠١٤ [١٨]

٦. قانون رقم (١) لسنة ٢٠٢٥ الخاص بتعديل قانون الأحوال الشخصيَّة رقم (١٨٨) لسنة ١٩٥٩.

الفرع الثالث

الأساس الدستوري لفتوى الدِّفاع الكفائي ضد داعش

The constitutional basis of the fatwa of jihad against ISIS

في هذا الفرع يتناول الباحث، الأسس الدستوريَّة لفتوى المرجع الديني الأعلى بالجهاد ضد تنظيم داعش التكفيري، ممهدًا في ذلك بالحديث عن دور وأثر المرجعيَّة العليا في الحياة والحركة الدستوريَّة بعد التغيير الشامل من عام ٢٠٠٣.

أوَّلًا: دور المرجعيَّة الدينيَّة العُليا في الحياة الدستوريَّة

للمرجعيَّة الدينيَّة في النجف الأشرف موقع حيوي وفعال على المستويات

الأساسيَّة في حياة الأمَّة الإسلاميَّة، ومنها المستوى التشريعي لاسيَّما الدستوري منه، ومنذ وقتٍ مبكِّر في التاريخ الإسلامي الحديث قامت بدورٍ رئيسٍ في التأصيل للحركة الدستوريَّة في إيران، أي أن يتقيَّد الملك بدستور ومجلس نيابي منتخب، منذ نهايات القرن التاسع عشر إلى بدايات القرن العشرين واستقراراها في الحياة السياسية [١٩].

ومؤخرًا أدت المرجعيَّة الدينيَّة العليا في النجف الأشرف دورًا رئيسيًا في العمليَّة السياسيَّة الجارية في العراق، فأسَّست لمرتكزاتها، وواكبت تحولاتها، ورعت مسيرتها، وكان لمواقفها الأثر البالغ في الحفاظ على الوحدة الوطنيَّة، والسعي لإنجاز الاستقلال والسيادة، والعمل على أساس الالتزام بالقانون، ومبادئ العدالة والمساواة واحترام الآخر، وتفعيل المشاركة الشعبيَّة [٢٠].

وبالتتبع حتَّى العابر لا الدقيق لمواقف المرجعيَّة الدينيَّة العليا في النجف الأشرف حول القضايا الدستوريَّة في العراق بعد التغيير الشامل لعام ٢٠٠٣، نجد أنَّ الحياة الدستوريَّة تكاد أن تكون مطبوعة بطابع المرجعيَّة العليا، من حيث المواكبة تأييدًا أو رفضًا أو تفعيلًا، وفي هذا الإطار نعرض نماذج محدودة لتوضيح ذلك:

١. الاستفتاء حول آلية تشكيل المجلس الدستوري في ٢٠/ ربيع الأول/ ١٤٢٤، الذي بيَّنت فيه المرجعيَّة العليا رفضها القاطع تشكيل مجلس لكتابة الدستور العراقي من قبل سلطات الاحتلال، وأكَّدت على ضرورة إجراء انتخابات عامَّة؛ لكي يختار كلُّ عراقي مؤهل للانتخابات من يمثِّله في مجلس تأسيسي لكتابة الدستور، ثمَّ يجري التصويت العام على الدستور الذي يقرُّه هذا المجلس.

٢. الرسالة الجوابيَّة الموجهة إلى السيِّد الأخضر الابراهيمي المؤرخة في ٢٧/ محرم/ ١٤٢٥ــ ١٩/ آذار/ ٢٠٠٤، المتضمنة الموقف من قانون إدارة الدولة

للمرحلة الانتقاليَّة لعام ٢٠٠٤، الذي كان سلبًا من قبل المرجعيَّة العُليا.

٣.استفتاء حول المشاركة في الانتخابات النيابية بتاريخ ٢/ ربيع الأول/ ١٤٣١، الذي دعا فيه سماحة السيِّد السيستاني إلى ضرورة المشاركة الواسعة من قبل جميع المواطنين.

٤.استفتاء مؤرخ في ١٧/ جمادى الآخرة/ ١٤٢٤، حول جعل الثوابت الدينيَّة والمبادئ الدينيَّة والقيم الاجتماعيَّة النبيلة للشعب العراقي هي الركائز الأساس للدستور العراقي القادم، جنب مبدأ الشورى والتعددية واحترام الأقليَّة لرأي الأكثريَّة ونحو ذلك [٢١].

ثانيًا: الأساس الدستوري لفتوى الدِّفاع الكفائي عام ٢٠١٤

ألقى متولي العتبة الحسينيَّة ووكيل المرجع الديني الأعلى السيستاني في كربلاء المقدَّسة الشيخ عبد المهدي الكربلائي نصَّ الفتوى في خطبة صلاة الجمعة في ضريح الإمام الحسين عليه السلام وجاء في ضمن الخطبة:

> **"إنَّ طبيعة المخاطر المحدقة بالعراق وشعبه في الوقت الحاضر، تقتضي الدِّفاع عن هذا الوطن وأهله وأعراض مواطنيه، وهذا الدِّفاع واجب على المواطنين بالوجوب الكفائي... ومن هنا فإنَّ على المواطنين الذين يتمكَّنون من حمل السلاح ومقاتلة الإرهابيين دفاعًا عن بلدهم وشعبهم ومقدَّساتهم، عليهم التطوع للانخراط في القوات الأمنيَّة؛ لتحقيق هذا الغرض المقدس.[٢٢]"**

وحيث إنَّ من المبادئ الدستوريَّة المسلم بها، هو مبدأ سمو الدستور وأعلويته على القواعد القانونيَّة كافَّة النافذة في الدولة .... فإنَّه يقتضي ــ هذا المبدأ ــ خضوع الكافة لأحكامه، حكامًا ومحكومين، بإضافة إلى ضرورة إيجاد الطرق والوسائل والآليَّات الكفيلة باحترام أحكامه، من قبل الأفراد وهيئات الدولة المختلفة [٢٣]، وهو ما نصَّت عليه المادة

(١٣/ اولًا) من دستور جمهوريَّة العراق لسنة ٢٠٠٥ النافذ، "**يُعدُّ هذا الدستور القانون الأسمى والأعلى في العراق، ويكون ملزمًا في أنحائه كافَّة وبدون استثناء**".

وحيث إنَّ المرجع الأعلى هو العالم المجتهد، الذي ترجع اليه الأمَّة بالحكم الشرعي لحياتها اليوميَّة، وكذا هو يقودها إلى منهج الرسالة الإسلاميَّة وتطلعاتها المصيريَّة العامَّة، وبمرور الزمن اتَّسع هذا المفهوم؛ نظرًا لتوسع مسؤوليَّة المجتهد العام لشؤون الأمَّة، حيث أصبح يتصدر المركز القيادي فيهم، وأطلق على هذا المجتهد المرجع العام، وهو المتصدِّي للمرجعيَّة[٢٤]، ومن هذا المنطلق يمكننا أن نحدِّد الموارد الدستوريَّة التي تعدُّ ركائز لفتوى المرجعيَّة الدينيَّة العليا في فتواها بالجهاد الكفائي ضد داعش الإرهابيَّة عام ٢٠١٤.

١. حماية الهويَّة الإسلاميَّة لغالبية الشعب العراقي

إنَّ غالبيَّة الشعب العراقي من الطائفة الإماميَّة، وهم يتعبدون إلى الله تعالى بطاعة المرجعيَّة العليا بوصفها امتدادًا لطاعة النبي وآله صلوات الله تعالى عليهم، فهي تمثِّل القيادة الدينيَّة والزعامة الروحيَّة، لمعظم المواطنين في هذا البلد ــ مع أنَّها ــ المرجعيَّة الدينيَّة العليا ـ موضع إعظام ومورد احترام من بقيَّة أطياف الشعب العراقي الدينيَّة والمذهبيَّة والقوميَّة، ومن هذا الموقع المسؤول فالمرجعيَّة العليا تستند في فتواها إلى ثوابت دستوريَّة رئيسة، تم استهدفها من قبل التنظيم الإرهابي داعش بالصميم، يقف في مقدمتها ما نصَّ عليها دستور جمهوريَّة العراق لسنة ٢٠٠٥ النافذ وهي " الهويَّة الإسلاميَّة لغالبية الشعب العراقي "[٢٥] والذي تكفل هذا الدستور بضمانها، بما فيها الأبرز من مصاديقها، وهي:

أ-العتبات المقدَّسة والمقامات الدينيَّة

ب-الشعائر الدينيَّة[٢٦]

٢. مكافحة الإرهاب

وفي الوقت الذي استهدف الإرهاب التكفيري الهويَّة الإسلاميَّة لغالبيَّة الشعب العراقي، هو يستهدف في الوقت نفسه البلد والشعب والمقدَّسات، الذي كان الغرض لفتوى المرجعيَّة العليا في مقاتلة الإرهابيين، مؤكدةً ما ذكره الدستور العراقي النافذ في وجوب مكافحة ومحاربة الإرهاب [٢٧]؛ إذ نصَّ على أن "يحظر كل كيان أو نهج يتبنَّى العنصريَّة أو الإرهاب أو التكفير أو التطهير الطائفي أو يحرض أو يمهد أو يمجد أو يروج أو يبرر له .... وتلتزم الدولة محاربة الإرهاب بجميع أشكاله، وتعمل على حماية أراضيها من أن تكون مقرًّا أو ممرًّا أو ساحة لنشاط" [٢٨].

ويجدر الإشارة إلى أنَّ المرجعيَّة العليا قد أفتت مسبقًا وقبل مدَّة مبكِّرة بالوجوب الكفائي في مكافحة الإرهاب مع القوات الأمنيَّة، ومنذ عام ٢٠٠٥، ولأهميَّة هذه الفتوى وأسبقيَّتها على فتوى الجهاد الكفائي المشهورة عام ٢٠١٤، نعرضها نصًّا:

بسم الله الرحمن الرحيم

مكتب سماحة المرجع الأعلى السيِّد علي السيستاني دام ظله

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

في الظروف الحاليَّة وما يتكشف يوم بعد يوم من أبعاد الدور التخريبي الذي يقوم به أفراد وجماعات من أزلام النظام البائد، والوافدين من الخارج في زعزعة أمن العراقيين واستهدافهم بعمليات إجراميَّة، والسعي في تصفية نخبهم الفكريَّة والدينيَّة والسياسيَّة ... هل يرى سماحة السيِّد دام ظله أنَّ التعاون مع الأجهزة الأمنيَّة المكلفة بحفظ الأمن والاستقرار هو واجب شرعي، يتحتَّم على العراقيين جميعًا أن ينهضوا به لرصد أولئك الأفراد والجماعات، وللحد من تفاقم دورهم الهدام الذي يستبيح دماء الأبرياء ويهدِّد بفتنة طائفيَّة؟ أفتونا مأجورين.

محمد صالح

٢/ ٣/ ٢٠٠٥ م

بسمه تعالى

نعم يجب ذلك ـكفايةً ـ مع مراعاة الضوابط الشرعيَّة والله العالم

٦/ صفر/ ١٤٢٦ هـ

مكتب السيِّد السيستاني (دام ظله)

النجف الأشرف [٢٩]

وممَّا تقدَّم يتبيَّن أنَّ المرجعيَّة العليا بفتوى الجهاد الكفائي ضد الإرهاب بصوره المختلفة من خلال مساندة القوات الأمنيَّة، إنَّما هي تقوم بإسناد وإعانة الدولة العراقيَّة للقيام بتحقيق أهم هدف من أهداف نشاطاتها في ميدان الضبط الإداري، ألا وهو الأمن العام المعروف في دراسات القانون الإداري[٣٠]، وتمكينها من القيام بوظائف الدولة القانونيَّة، الرائج في حقول النظم السياسيَّة المعاصرة، لاسيَّما الوظيفة الأمنيَّة من جهتيها: الدِّفاع الخارجي والأمن الداخلي[٣١].

الخاتمة

في نهايـة الدراسـة نعـرض مجموعـة الاسـتنتاجات التـي توصَّـل الباحـث إلى مخرجاتهـا، وهـي تتضمَّـن عرضًـا جوهريًّـا ومركـزًا لموضوعـه، إضافـةً إلى وصايـا ومقترحـات يتـمُّ طرحهـا عـلى ذوي الاهتـمام والاختصـاص.

أوَّلًا: الاستنتاجات

١. أصـدرت المرجعيَّـة العليـا في النجـف الأشرف عـام ٢٠١٤ فتـوى الدِّفـاع المقـدَّس ضـد عصابـات داعـش الإرهابيَّـة، الـذي احتـل مسـاحات حيويَّـة مـن العـراق، وفي الحـال الـذي يسـتند المرجـع الأعـلى في فتـواه بالجهـاد إلى مصـادر الحكـم الشرعـي، كذلـك الحـال كان هنـاك أسـاس تشريعـي وضعـي لـه في ذلـك، تمثَّـل في مـوارد رئيسـة في دسـتور جمهوريَّـة العـراق لسـنة ٢٠٠٥ النافـذ.

٢. أنَّ مـن المبـادئ الدسـتوريَّة المسـلم بهـا، هـو مبـدأ سـمو الدسـتور وأعلويَّتـه، وهـو يقتضي ــ هـذا المبدأ ــ خضـوع الكافة لأحكامـه، حكامًـا ومحكومـين، بإضافة إلى ضرورة إيجاد الطـرق والوسـائل والآليَّات الكفيلـة باحـترام أحكامـه، مـن قبـل الأفـراد وهيئـات الدولـة المختلفـة.

٣. الأسـاس الدسـتوري الأوَّل لفتـوى الدِّفـاع الكفائـي ــ بحسـب تتبُّـع الباحـث ـ حمايـة الهويَّـة والشـخصيَّة الإسـلاميَّة لغالبيَّـة الشـعب العراقـي، التـي كانـت مستهدفة بشـكل رئيـس مـن قبـل عصابـات داعـش التكفيريَّـة، وقـد تكفَّـل دسـتور ٢٠٠٥ النافـذ حمايـة تلـك الهويَّـة الدينيَّـة المتأصِّلـة في وجـدان غالبيَّـة المواطنـين.

٤. المصـدر الدسـتوري الآخـر لفتـوى الدِّفـاع الكفائـي هـو محاربـة ومكافحـة الإرهـاب ــ الـذي يسـتهدف الـذي يسـتهدف البلـد والشـعب والمقدَّسـات ــ مـن خـلال "حظـر كل كيـان أو نهـج يتبنَّـى العنصريَّـة أو الإرهـاب أو التكفـير أو التطهـير الطائفـي أو يحـرض أو يمهـد أو يمجـد أو يـروج أو يـبرر لـه .... والتـزام الدولـة بمحاربـة الإرهـاب بجميـع أشـكاله، وأن تعمـل عـلى حمايـة أراضيهـا مـن

١ الأساس الدستوري لفتوى المرجع الدِّيني الأعلى بالدِّفاع الكفائي سنة ٢٠١٤م

أن تكـون مقـرًّا أو ممـرًّا أو سـاحة لنشـاط".

ثانيًا: التوصيات

١. توسيع دائرة الدراسات والأبحاث والتحقيقات حول أثر المرجعيَّة الدينيَّة العليا ودورها في الحياة العامَّة من جهة الحركة الدستوريَّة من جهة أخرى، ومعطيات الجهتين على الوقع الإيجابي على المجتمع.

٢. توسيع رقعة الدراسات والبحوث والتحقيقات في فتاوى مراجع الدين العظام بالجهاد بصورة عامَّة وفتوى المرجعيَّة الدينيَّة العليا في النجف الأشرف موضوع الدراسة بصورة خاصَّة بما تحتاجه من المزيد من الاشباع البحثي، فكلُّ ما كتب هو خطوات على طريق تنادي بخطوات أخرى.

٣. اعتماد العمل المؤسَّسي للغرضين المذكورين، من خلال تأسيس مراكز بحوث ومؤسَّسات تخصُّصيَّة للعمل المرجعي بصورة عامَّة والعمل المرجعي ذات العلاقة بالجهاد.

٤. التشجيع المادي والمعنوي المُستقطب للدراسات والبحوث ذات الربط بدور وأثر المرجعيَّة العليا في مجال مكافحة الإرهاب، سواء تمثل الأثر والدور المذكورين إزاء الجماعات التشكل في صورة دولة ــ تنظيم الدولة الإسلاميَّة التكفيري ــ أو في غيرها من الصور.

٥. التعريف العالمي والإقليمي بتجربة فتوى الدِّفاع الكفائي موضوع البحث؛ كونها تمثِّل أنموذجا متكاملاً وفريدًا على مستوى النطاق التشريعي ــ الشرعي والوضعي ــ وعلى مستوى النطاق التطبيقي، مستوى الأثر والفاعليَّة في تحقيق الأهداف والنتائج باقلها كلفة واختزلها زمنًا.

الهوامش

١- د. سهيل حسين الفتلاوي، المدخل لدراسة علم القانون، ط٢، مكتبة الذاكرة، بغداد، بغداد، ٢٠٠٩، ص٢١٠ ـ ٢١١.

٢- د. حميد حنون خالد الساعدي ، مبادئ القانون الدستوري، ط١، مكتبة السنهوري، بغداد، ٢٠١١، ص١٩ـ٢٠.

٣- آية الله العظمى السيِّد محمَّد سعيد الطباطبائي الحكيم، منهاج الصالحين، ج١، دار الهلال، ط٣، ٢٠٠٤، بيروت، ص٧.

٤- آية الله العظمى الشيخ الشهيد علي الغروي، موجز الفتاوى المستنبطة، ج١، دار المحجة البيضاء، بيروت ط٣، ١٩٩٧، ص٦.

٥- آية الله العظمى السيِّد علي الحسيني السيستاني، منهاج الصالحين، ج١، ط٤، دار المؤرخ العربي، بيروت، ١٩٩٨، ص٩.

٦- آية الله العظمى السيِّد أبو القاسم الموسوي الخوئي، منهاج الصالحين، ج١، ط٢٩، مؤسَّسة صدر الخلائق، ١٤٢٤هـ، ص ٥ ـ ٦.

٧- آية الله السيِّد محمَّد مهدي الموسوي الخلخالي، الحاكمية في الإسلام، ط١، دار التعارف للمطبوعات، بيروت، ٢٠١٢، ص ٣٦٩ ـ ٣٧٠ ـ ٣٧١.

٨- آية الله العظمى السيِّد أبو القاسم الخوئي، منهاج الصالحين، ، ج١، ط٢٩، مؤسَّسة صدر الخلائق، ١٤٢٤هـ ، ص٣٨٨.

٩- آية الله العظمى السيِّد أبو القاسم الخوئي، منهاج الصالحين، المصدر السابق، ص٣٦٠.

١٠- د. عبد الغني بسيوني عبد الله، النظم السياسية والقانون الدستوري، مكتبة دار السلام القانونيَّة، النجف الأشرف، ٢٠١٧، ص ١٤٧ ـ ١٤٨ـ ١٤٩.

١١- الإمام علي بن أبي طالب ﷺ، نهج البلاغة، جمعه الشريف الرضي، ط٥، مؤسَّسة أنصاريان، قم المقدَّسة، سنة ٢٠٠٩م ، ص٤٩٩. ، ص٤٩٩.

١٢- يقصد بالمراكز القانونيَّة الحالة التي يوجد فيها الفرد إزاء القانون، وتنقسم بنفسها على قسمين:

- المراكز القانونيَّة العامَّة أو الموضوعيَّة: وهو كلُّ مركز يكون محتواه واحد بالنسبة إلى طائفة معينة من الأفراد، فترسم حدوده ومعالمه قواعد مجردة متماثلة لجميع من يشغلون هذا المركز، ومثله الموظف العام في القانون العام والرجل المتزوج في القانون الخاص.

المراكز القانونيَّة الشخصيَّة أو الخاصَّة: وهي المراكز التي يحدد محتواها بالنسبة إلى كلِّ فرد على حدة، وهي بهذا تختلف من شخص إلى آخر، ولا يمكن للقانون أن يحدِّد مقدَّمًا هذه المراكز؛ بوصفها تتميَّز بأنَّها خاصَّة وذاتيَّة، ومثله مركز الدائن أو المدين في القانون الخاص ومركز المتعاقد مع الإدارة العامَّة في القانون العام. أستاذنا د. مازن ليلو راضي، أصول القضاء

الإداري، ط٤، دار المسلة، بغداد، ٢٠١٧، ص ١٧٨.

١٣- أستاذنا د. عدنان عاجل عبيد، القانون الدستوري النظرية العامَّة والنظام الدستوري في العراق، ط٢، بلا دار نشر، بغداد، ٢٠١٣، ص٧٦-٧٧.

١٤- د. سعد الدين هاشم البناء، المركز القانوني للمرجعيَّة الدينيَّة العليا في العراق، ط١، دار الوارث، كربلاء المقدسة، ٢٠٢٣، ص٣٩٨.

١٥- المواد (٢/ أولاً-٢/ أولاً/ أ-٢/ ثانيًا-١٠-٤١-٤٢، ٤٣).

١٦- تتنوَّع مصادر القانون الدستوري على نوعين رئيسين، وهما: المصادر المباشرة أو الرسميَّة، التي تعطي القواعد الدستوريَّة قوَّتها الملزمة، والمصادر غير المباشرة أو الموضوعية، التي تسمى كذلك المصادر التفسيرية، وتتمثَّل المصادر الرسميَّة للقانون الدستوري في الدين والتشريع والعرف الدستوري، بينما تنحصر المصادر التفسيريَّة في القضاء والفقه، وأهميَّة كل مصدر من المصادر المذكورة تختلف من بلد إلى آخر ومن عصر إلى آخر.

د. عبد الغني بسيوني عبد الله، النظم السياسية والقانون الدستوري، مصدر سابق ٢٠١٧، ص ٣٩٥.

١٧- راجع قرارات المحكمة الاتحادية العليا ذات الأرقام التالية:

٣٩.١/ اتحادية/ ٢٠٢٤

٢١٩.٢/ اتحادية/ ٢٠٢٤

٣. ٣٤/ اتحادية/ ٢٠٢٣

٣٥.٤/ اتحادية/ ٢٠٢٣

١٨- للمزيد والتوسعة راجع: د. سعد الدين هاشم البناء، المركز القانوني للمرجعيَّة الدينيَّة العليا في العراق، مصدر سابق، من ص١٥٢ إلى ١٥٨.

١٩- المتمثِّلة بقيادة آية الله العظمى الشيخ محمَّد كاظم الخراساني طاب ثراه ومجموعة من مجتهدين الكبار في النجف الأشرف للحركة الدستوريَّة في ايران، المعروفة بالمشروطة أو المشروطيَّة ضد شاه إيران مظفر الدين والشاه محمَّد علي والشاه أحمد القاجاريين في نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين.

للتوسعة في ذلك راجع: محمَّد كامل سلمان، السيِّد محمَّد كاظم اليزدي سيرته وأضواء على مرجعيَّته ومواقفه ووثائقه السياسيَّة، ط١، ذوي القربى، قم المقدَّسة، ٢٠٠٦، من ص١٦١ إلى ص١٩٤.

٢٠- حامد الخفاف، النصوص الصادرة عن سماحة السيِّد السيستاني في المسألة العراقيَّة، ط٦، دار المؤرخ العربي، ٢٠١٥، ص٩.

٢١- للاطِّلاع والتوسعة في الاستفتاءات المذكورة وغيره في السياق موضوع الدراسة يُراجع: حامد الخفاف، النصوص الصادرة عن سماحة السيِّد السيستاني في المسألة العراقيَّة، المصدر السابق، من ص١٥٨ إلى ص١٧٧ ومن ص٣٠١ إلى ص٣١١.

٢٢- حامد الخفاف، النصوص الصادرة عن سماحة السيِّد السيستاني في المسألة العراقيَّة، المصدر السابق، ص ٤٠٣.
٢٣- د. علي يوسف الشكري، مبادئ القانون الدستوري، ط١، مكتبة دار السلام، النجف الأشرف، ٢٠١٦، ص ٣٤٩.
٢٤- د. محمَّد بحر العلوم، آفاق حضاريَّة للنظرية السياسيَّة في الإسلام، ط٢، دار الزهراء عليها السلام، بيروت، ٢٠٠٤، ص٤.
٢٥- المادة (٢/ ثانيًا) من دستور جمهوريَّة العراق لسنة ٢٠٠٥ النافذ.
٢٦- المادة (١٠) من دستور جمهوريَّة العراق لسنة ٢٠٠٥ النافذ.
٢٧- عرّف قانون مكافحة الإرهاب رقم (١٣) لسنة ٢٠٠٥ النافذ الإرهاب في المادة (١) منه من كونه " كل فعل إجرامي، يقوم به فرد أو جماعة منظمة، استهدف فرد أو مجموعة أفراد أو جماعات أو مؤسَّسة رسميَّة أو غير رسميَّة، أوقع الأضرار بالممتلكات العامَّة أو الخاصَّة؛ بغية الإخلال بالوضع الأمني أو الاستقرار أو الوحدة الوطنيَّة أو إدخال الرعب والخوف والفزع بين الناس أو اثارة الفوضى، تحقيقا لغايات إرهابيَّة".
٢٨- المادة (٧/ أولا/ ثانيا) من دستور جمهوريَّة العراق لسنة ٢٠٠٥ النافذ.
٢٩- حامد الخفاف، النصوص الصادرة عن سماحة السيِّد السيستاني في المسألة العراقيَّة، المصدر السابق، ص١٣٤.
٣٠- يعرف الأمن العام في ضوء دراسات القانون الإداري بوصفه غرضًا رئيسًا وأوَّلًا للضبط الإداري الذي تمارسه السلطة أو الحكومة هو تحقيق كلِّ ما من شأنه اطمئنان الإنسان على نفسه وماله من خطر الاعتداء والانتهاكات، واتخاذ الإجراءات الكفيلة بمنع وقوع الكوارث الطبيعية والأخطار العامَّة، مثل الحرائق والفيضانات والسيول، والتجاوزات التي يتسبَّب بها الإنسان كجرائم القتل والسرقة وإحداث الفوضى.
أستاذنا د. مازن ليلو راضي، القانون الإداري، ط٤، دار المسلة، بغداد، ٢٠١٧، ص ٩٩.
٣١- تتجسد وظائف الدولة القانونيَّة المرتبطة بسيادتها بـ:
- الوظائف الأمنيَّة (الدِّفاع الخارجي والأمن الداخلي)
- الوظيفة العدليَّة (حماية الانتظام القانوني)
- الوظيفة الدوليَّة (إدارة العلاقات الدوليَّة)
- الوظيفة الماليَّة (النقد والمال العام)

للتوسعة في ذلك راجع:
د. علي هادي حميدي الشكراوي، النظم السياسيَّة المعاصرة، ط١، دار النهضة العربيَّة، ٢٠١٣، ص ١١٣ ـ ١١٤.

المصادر والمراجع

أوَّلًا: الكتب

* الإمام علي بن ابي طالب ﷺ، نهج البلاغة، جمعه الشريف الرضي، ط٥، مؤسَّسة أنصاريان، قم المقدسة، سنة ٢٠٠٩م.
* آية الله السيِّد محمد مهدي الموسوي الخلخالي، الحاكمية في الاسلام، ط١، دار التعارف للمطبوعات، بيروت، ٢٠١٢.
* آية الله العظمى السيِّد أبو القاسم الموسوي الخوئي، منهاج الصالحين، ج١، ط٢٩، مؤسَّسة صدر الخلائق، ١٤٢٤هـ.
* آية الله العظمى السيِّد علي الحسيني السيستاني، منهاج الصالحين، ج١، ط٤، دار المؤرخ العربي، بيروت، ١٩٩٨.
* آية الله العظمى السيِّد محمد سعيد الطباطبائي الحكيم، منهاج الصالحين، دار الهلال، ط٣، ٢٠٠٤.
* آية الله العظمى الشيخ الشهيد علي الغروي، موجز الفتاوى المستنبطة، ج١، دار المحجة البيضاء، بيروت ط٣، ١٩٩٧.
* حامد الخفاف، النصوص الصادرة عن سماحة السيِّد السيستاني في المسألة العراقيَّة، ط٦، دار المؤرخ العربي، ٢٠١٥.
* د. حميد حنون خالد الساعدي، مبادئ القانون الدستوري، ط١، مكتبة السنهوري، بغداد، ٢٠١١.
* د. سعد الدين هاشم البناء، المركز القانوني للمرجعيَّة الدينيَّة العليا في العراق، ط١، دار الوارث، كربلاء المقدسة، ٢٠٢٣.
* د. سهيل حسين الفتلاوي، المدخل لدراسة علم القانون، ط٢، مكتبة الذاكرة، بغداد، بغداد، ٢٠٠٩.
* د. عبد الغني بسيوني عبد الله، النظم السياسية والقانون الدستوري، مكتبة دار السلام القانونيَّة، النجف الأشرف، ٢٠١٧.
* د. عدنان عاجل عبيد، القانون الدستوري النظرية العامَّة والنظام الدستوري في العراق، ط٢، بلا دار نشر، بغداد، ٢٠١٣.
* د. علي هادي حميدي الشكراوي، النظم السياسية المعاصرة، ط١، دار النهضة العربية، ٢٠١٣.
* د. علي يوسف الشكري، مبادئ القانون الدستوري، ط١، مكتبة دار السلام، النجف الأشرف، ٢٠١٦.
* د. مازن ليلو راضي، أصول القضاء الإداري، ط٤، دار المسلة، بغداد، ٢٠١٧.
* د. مازن ليلو راضي، القانون الإداري، ط٤، دار المسلة، بغداد، ٢٠١٧.
* د. محمد بحر العلوم، آفاق حضارية للنظرية السياسية في الإسلام، ط٢، دار الزهراء عليها السلام، بيروت، ٢٠٠٤.
* محمَّد كامل سلمان، السيِّد محمد كاظم اليزدي سيرته وأضواء على مرجعيَّته ومواقفه ووثائقه السياسية، ط١، ذوي القربى، قم المقدسة، ٢٠٠٦.

ثانيًا: التشريعات

* دستور جمهوريَّة العراق لسنة ٢٠٠٥ النافذ

* التعديلات الواردة على قانون إدارة الأوقاف رقم (٦٤) لسنة ١٩٦٦
* قانون مكافحة الإرهاب رقم (١٣) لسنة ٢٠٠٥ النافذ
* قانون إدارة العتبات المقدسة الشريفة رقم (١٩) لسنة ٢٠٠٥
* النظام الداخلي للعتبة الحسينيَّة المقدسة رقم (١) لسنة ٢٠٠٧
* نظام الخدمة في العتبات المقدسة والمزارات الشريفة رقم (٤) لسنة ٢٠١٤
* قانون ديوان الوقف الشيعي رقم (٥٧) لسنة ٢٠١٢
* قانون رقم (١) لسنة ٢٠٢٥ الخاص بتعديل قانون الأحوال الشخصيَّة رقم (١٨٨) لسنة ١٩٥٩.

*** ثالثًا: قرارات المحكمة الاتحادية العليا**

* ٣٩ / اتحادية/ ٢٠٢٤
* ٢١٩/ اتحادية/ ٢٠٢٤
* ٣٤/ اتحادية/ ٢٠٢٣
* ٣٥/ اتحادية/ ٢٠٢٣

فتوى الجهاد الكفائي ودورها في مواجهة التطرف العنيف والإرهاب في العراق بعد عام ٢٠١٤

م.د. زينب غالب جعفر
جامعة تكريت / كليَّة العلوم السياسيَّة
م.م. محمَّد غالب جعفر
جامعة الإمام جعفر الصادق عليه السلام فرع صلاح الدين / الدجيل

ملخَّص البحث

لقد كان العراق منذ عام ٢٠٠٥ (أي إقرار الدستور) وما قبلها مشغولًا في تحديد تصميم عملياتي لمعركته ضد الإرهاب، تلك المعركة التي حملت أوصاف اجتماعيَّة عديدة جعلتها تفهم وكأنَّها عبء تاريخي، ولم يزل به النظام السياسي العراقي الجديد، فالإرهاب والتطرف وإن كانا متناقضان إلَّا أنَّ هدفهما واحد، وهو ما عجز العراقيون على فهمه على الرغم من ما بذلوه من تخطيطات وتدابير وتضحيات؛ ليرهنوا أمنهم بتمثيلات عقليَّة من الصعب الفكاك منها في الوقت الذي كانت فيه تلك التمثُّلات، ولو لوقت قريب جزء من الافتراضات التي يمكن معالجتها من خلال إيجاد بنى لمعالجة المؤسَّسات الأمنيَّة من دون الدفع بها لآثام الساسة، ولتعلن براءتها منها لا سيَّما أنَّ الإرهاب هو عدو سياسي لا أمني بالولادة، لذلك فإنَّ ما حلَّ بالأمن الوطني العراقي عام ٢٠١٤ مردَّه إلى ذلك الإثم؛ إذ إنَّ معالجة خطر تنظيم داعش دفع الشعب العراقي إلى الإقرار في معالجته، وذلك لا سيَّما بعد إصدار المرجعيَّة الدينيَّة فتوى الجهاد الكفائي في حزيران عام ٢٠١٤ التي عدَّت علامة فارقة في تاريخ العراق الحديث؛ إذ لعبت دورًا محوريًّا في التصدِّي لتنظيم داعش الإرهابي بعد سيطرته على مناطق متفرقة وواسعة من العراق

من خلال وسائل عدَّة أبرزها تأسيس الحشد الشعبي المقدَّس، ورفع الروح المعنوية عبر إعادة ثقة الشعب العراقي بالقوات الأمنيَّة وتحقيق التوازن بين القوى الأمنيَّة التي كانت تعاني من الانهيار فضلًا عن تأسيس فكرة الأمن الشعبي من خلال جعل المواطن شريكًا في صناعة الأمن؛ لتشكِّل بذلك فتوى الجهاد الكفائي أكثر من مجرَّد نداء ديني؛ بل تحرُّكًا استراتيجيًّا بني على إحساس بالمسؤوليَّة الوطنيَّة والشرعيَّة ساعدت العراق في أصعب أوقاته ورسَّخت مكانة المرجعيَّة بوصفها صمَّام أمان للوطن .

Abstract

Since 2005 , ratification of the Constitution, and even before that, Iraq has been preoccupied with defining an operational design for its battle against terrorism. This battle carried numerous social descriptions that made it appear as a historical burden that the new Iraqi political system struggled to hold. Although terrorism and extremism are contradictory concepts, their goal is singular—a fact Iraqis failed to grasp despite their planning, measures, and sacrifices. They entrusted their security to mental representations difficult to disentangle , even though these representations were, until recently, part of assumptions that could have been addressed by structuring security institutions without pushing them toward the sins of politicians.

Since terrorism is a political enemy by birth, not merely a security one, the collapse of Iraqi national security in 2014 is attributed to that political sin. However, addressing the danger of ISIS compelled the Iraqi people to acknowledge the solution, particularly after the Religious Authority issued the Sufficient Jihad Edict in June 2014. This was a landmark event in modern Iraqi history, playing a pivotal role in countering the terrorist ISIS organization after it seized vast areas of Iraq. This was achieved through several means, most notably the founding of Al-Hashd, which raised morale by restoring the confidence to the Iraqi people in the security forces and achieving a balance among security forces that were suffering from collapse. Furthermore, it established the concept of Popular Security by making citizens partners in the production of security. Thus, the Sufficient Jihad Edict constituted more than a mere religious call; it was a strategic move built upon a sense of national and spiritual responsibility that aided Iraq during its most difficult times and entrenched the status of the Religious Authority as a safety valve for the homeland.

المقدِّمة:

لقد كان العراق منذ عام ٢٠٠٥ (أي اقرار الدستور) وما قبلها مشغولًا في تحديد تصميم عملياتي لمعركته ضد الإرهاب، تلك المعركة التي حملت أوصاف اجتماعيَّة عديدة جعلتها تفهم وكأنَّها عبء تاريخي ولم يزل به النظام السياسي العراقي الجديد، فالإرهاب والتطرف وإن كانا متناقضين إلَّا أنَّ هدفهما واحد، وهو ما عجز العراقيين على فهمه على الرغم من ما بذلوه من تخطيطات وتدابير وتضحيات؛ ليرهنوا أمنهم بتمثيلات عقليَّة من الصعب الفكاك منها في الوقت الذي كانت فيه تلك التمثُّلات ولو لوقتٍ قريبٍ جزء من الافتراضات التي يمكن معالجتها من خلال إيجاد بنى لمعالجة المؤسَّسات الأمنيَّة من دون الدفع بها لآثام الساسة، ولتعلن براءتها منها لا سيَّما أنَّ الإرهاب هو عدو سياسي لا أمني بالولادة، لذلك فإنَّ ما حل بالأمن الوطني العراقي عام ٢٠١٤ مردَّه إلى ذلك الإثم؛ إذ إنَّ معالجة خطر تنظيم داعش دفع الشعب العراقي إلى الإقرار في معالجته، وذلك لا سيَّما بعد إصدار المرجعيَّة الدينيَّة فتوى الجهاد الكفائي التي حثَّت فيها الشعب العراقي على التطوع في القوات الأمنيَّة للدفاع عن الوطن والمقدَّسات، ولمنع انجرار البلاد إلى حرب أهليَّة فتشكَّلت بذلك قوات الحشد الشعبي بوصفها جهةً مساعدةً وداعمةً للقوات المسلحة العراقيَّة .

اشكالية البحث: ينطلق البحث من إشكاليَّة مفادها أنَّ الإرهاب وما ينجم عنها من تداعيات على الأمن الوطني العراقي جعلت منه عبًا تاريخيًّا للنظام السياسي في العراق. وعليه يحاول البحث الإجابة على الأسئلة الآتية:

* ما هو مفهوم التطرف وماهي المفاهيم المقاربة؟
* ما هي أسباب التطرف في العراق؟
* ماهي فحوى ومضامين فتوى الجهاد الكفائي؟
* ما هو دور فتوى الجهاد الكفائي في مواجهة الإرهاب؟

فرضيَّـة الدراسـة: ينطلـق البحـث مـن فرضيَّـة مفادهـا أنَّ المرجعيَّـة الدينيَّـة أصبحـت تمثِّـل الحجـر الأسـاس في السياسـة الأمنيَّـة في العـراق بعـد عـام ٢٠١٤ لا سـيَّما في ظِّـل مـا نتـج مـن تداعيـات عـن فتـوى الجهـاد الكفائـي التـي كانـت الأسـاس في مواجهـة تنظيـم داعـش الإرهـابي والانتصـار عليـه.

هيكليَّـة البحـث: مـن أجـل إعطـاء العنـوان حقَّـه في التوضيـح ارتأينـا تقسـيم البحـث عـلى ثلاثـة محـاور يتنـاول المحـور الأوَّل: التطـرف العنيـف مقاربـة مفاهيميـة، المحـور الثـاني: أسـباب ظهـور التطـرف والإرهـاب في العـراق بعـد عـام ٢٠١٤، بينـما خصـص المحـور الثالـث للبحـث في فتـوى الجهـاد الكفائـي الفحـوى والمضامـين. امـا المحـور الرابـع خصـص للبحـث في دور فتـوى الجهـاد الكفائـي في مواجهـة التطـرف العنيـف والإرهـاب.

المحور الأوَّل: مقاربة مفاهيميَّة لمفهوم التطرف العنيف.

التطرُّف مصطلـح لم يعـرف في الكتـب والمراجـع العربيَّـة قديمًـا بمعناهـا المنضبـط اصطلاحًـا في الوقـت الراهـن[١] فمعنـى التطرُّف في اللغـة العربيَّـة قيـل فيـه: تطـرف المـرء، أي جـاء الطـرف وجـاوز حـد التوسـط. وكلمـة التطـرف تسـتدعي إلى الذهـن كلمـة (الغلـو) أي تجـاوز الحـد المعقـول في مسـألة مـن المسـائل الفكريَّـة، دينيَّـة كانـت أم سياسـيَّة[٢]، أمَّـا اصطلاحًـا يعني البعـد عن الاعتـدال واتِّبـاع طرق في التفكير والشـعور غـير معتـادة عنـد النـاس[٣]، فالتطـرف حالـة مرضيَّـة تتَّسـم بالغلـو وضيـق الأفـق والتعصـب الأعمـى للفكـرة ومحاولـة الانتصـار لهـا بـكلِّ السـبل، أي أنَّهـا حالـة مرضيَّـة عـلى المسـتوى الفـردي والجماعـي تدفـع إلى تصرفـات غـير سـويَّة بعيـدة عـن العقـل كالاسـتهانة بمعتقـدات الآخريـن[٤]، وعـرّف القامـوس الفلسـفي التطرُّف أنّـه (اندفاع غـير متـوازن إلى التحمُّـس المطلق لفكر واحـد يصبح معه صاحبه أحادي الشـعور، وفي حالـة اضطـراب نفسـي تفقده حاسـة التمييز بين الاحسـن والحسـن، والسيء والأسـوأ) [٥] ويعـرف التطـرف أيضًـا بوصفـه إيديولوجيا خاصَّة في الفكر والسياسـة والدين، تقع

بعيدًا عن الاتجاهات الرئيسيَّة السائدة في المجتمع أو تتعارض مع المعايير الأخلاقيَّة المشتركة بين غالبيَّة الناس، ويمكن أن يأخذ التطرف أشكالًا متعددة (سياسيَّة، دينيَّة، اقتصاديَّة)، ولقد ساد اعتقاد أنَّ التطرُّف الفكري هو مصدر لكلِّ أنواع التطرُّف الأخرى، وهو ظاهرة إنسانيَّة لا يخلو منها أي مجتمع إنساني، لكنَّه يبدو أكثر انتشارًا في المجتمعات المغلقة ثقافيًا أو التي تشعر بتهديدات تمسُّ هويَّتها وكينونتها فتسعى للحفاظ عليها برفض التعدد والتجديد والتنوع من خلال تضييق حركة الإبداع والابتكار[٦]، وبذلك فإنَّ التطرُّف يعدُّ من المفاهيم التي يصعب إطلاق تعميمات بشأنها؛ لأنَّ التطرف في جوهره حركة في اتِّجاه القاعدة الاجتماعيَّة أو القانونيَّة أو الأخلاقيَّة يتجاوز مداها الحدود التي ارتضاها المجتمع، وهو ما يشكل صعوبة في تحديد من أين يبدأ وينتهي التطرف، فالمتطرف يبدأ كما يبدأ سائر الناس في موقفه من القاعدة الاجتماعيَّة، وفي اتجاهها الصحيح بذلك لا يمكن مؤاخذته؛ لأنَّه يتحرَّك مع القاعدة واتجاهها[٧]، إلَّا أنَّه هنالك مجموعة من السمات التي تميِّز التطرف يمكن من خلالها تحديد الظاهرة إن كانت تطرف أو إرهاب أو تشدد تتمثَّل بالآتي[٨] :

١- أنَّه منفر لا تحملهُ الطبيعة الإنسانيَّة السويَّة .

٢- التعصب ورفض الأفكار والاضطهاد وإنكار دور العقل والعلم .[٩]

٣- غرابة المنظر والشكل وعنفيَّة التعامل وخشونة الحوار والطرح.

٤- ازدراء الآخرين والنظر اليهم بتشاؤميَّة وعدم تقدير واحترام.

٥- الاندفاع وعدم ضبط النفس.

٦- الخروج عن السلوك السوي والممارسة المعتدلة.[١٠]

بعد أن تعرَّفنا على خصائص التطرف لابدَّ لنا من التعرُّف على أهمِّ أسباب هذه الظاهرة:

١-الظلم والاضطهاد والتهميش؛ نتيجة غياب العدالة الاجتماعيَّة، وهو ما يولِّد الحقد والكراهيَّة لدى الأفراد، ومن ثمَّ السعي إلى الانتقام بالتالي القيام

بتصرُّفات غير مسؤولة كاللجوء إلى العنف كوسيلةٍ للتعبير عن رفع الظلم[١١].

٢-الجهل والتخلف الذي يضرب المجتمع ويسري بين زواياه.

٣-التفسير والفهم الخاطئ لبعض النصوص الدينيَّة .

٤-التضاد الفكري الحاد بين الجماعات ممَّا يولِّد تطرف فكري مضاد يتنافس لإثبات الذات وإن كانت الوسيلة تؤدِّي إلى التطرف.

٥- الظلم الامبريالي والاستعمار الامبريالي للبلدان الفقيرة وآثاره السلبيَّة عليها .

٦-الاختلاف الثقافي الحاد بين أفراد المجتمع .[١٢]

على الرغم من أنَّ هنالك خصائص أو مميزات للتطرف إلَّا أنَّه يختلط بكثير من المفاهيم من أهمِّها:

١-الراديكاليَّة: لا تشير الراديكاليَّة إلى منظومة محددة من الأفكار والحجج، إنَّما تصف الأفكار والتيارات التي تناهض النظم المتفق عليها، التي أصبحت مقبولة وموضع إجماع في المجتمع، فالراديكاليَّة السياسيَّة توجهات تسعى إلى تغير المجتمع ونظام القيم السائد فيه بصورة جذريَّة بمعنى أنَّه الهدف الذي تسعى إليه هو الراديكالي وتختلف الحركات الراديكاليَّة باختلاف الأساليب المتَّبعة للوصول إلى الهدف الراديكالي، فقد تؤدِّي راديكاليَّة الهدف إلى العزوف عن العمل السياسي أو الاعتكاف في الفكر والأدب، وقد تؤدِّي إلى البحث عن أساليب مقبولة وتبنِّيها وغالبًا ما يطلق وصف التطرف على الذين لا يتمكَّنون من الجسر بين الهدف والواقع القائم فيلجؤون إلى استخدام أساليب عنيفة .[١٣]

فالراديكاليَّة عندما تقترن بالعنف تصبح تهديدًا للمجتمع؛ أي الراديكاليَّة الإرهابيَّة التي تتمثَّل في المسار الذي يؤدِّي بشخصٍ إلى الاقتناع بكون العنف الإرهابيّ يمثِّل وسيلة ممكنة، وربما أيضًا شرعيَّة لتحقيق الغاية، ويمكن أن يؤدِّي هذا المسار من دون أن يكون حتميًّا بذلك الشَّخص إلى الدعوة إلى أعمال إرهابيَّة أو مناصرتها أو المشاركة فيها.[١٤]

٢-التشدد: يعدُّ التشدد من المفاهيم البديهيَّة التي يفترضها صانعوا السياسة التي تستعمل في مجموعة متنوعة السياقات .[١٥] إلَّا أنَّه يمكن فهمه على أنَّه عمليَّة يتمُّ من خلالها إقناع الأفراد أنَّ النشاط العنيف له ما يبرره ويصبحون في نهاية المطاف مصمِّمين على الانخراط في العنف.[١٦] أو أنَّه عمليَّة يتبنَّى من خلالها الناس الآراء والأفكار التي قد تؤدِّي أو لا تؤدِّي إلى أعمال عنف، وهي ظاهرة ناتجة بشكل أساسي عن تفاعل معقد لعوامل لا تؤدِّي بالضرورة إلى العنف، ومن الواضح تمامًا أنَّ هذه العمليَّة يمكن أن تتطور في اتجاهات عديدة، بما في ذلك الاتجاهات اللاعنفيَّة أي أنَّ تطوير أو تبنِّي معتقدات متشدِّدة تبرِّر أنَّ العنف ما هو إلَّا أحد السبل الممكنة لاتخاذ إجراءات عنيفة، بمعنى أنَّ التركيز على التشدد يهدِّد بالإيحاء أنَّ المعتقدات المتشدِّدة هي وكيل - أو على الأقل مقدِّمة ضروريَّة - للإرهاب".[١٧]

ويتركَّب التشدد من تطور أفكار وأنشطة تميل إلى إحداث تغيرات قصوى أو قلب النظام السياسي أو الاجتماعي الذي تنامى من خلال إرادةٍ أو نيَّة اللجوء إلى العنف، تتضافر هذه العمليَّة مع تقبل متزايد للتأثيرات الشخصيَّة القصوى التي تولدها تلك الأفكار والأنشطة؛ لكي تتوج في المحصلة بسلوك عام أي غياب التوافق والميول بهدف مواجهة أولئك الذي يتصدون ضدهم . ويرتبط التشدد بالاستقطاب فالعلاقة بينهما غالبًا ما تكون في اتِّجاه واحد، يفترض أن يتموقع الاستقطاب والتشدد في موقع تدعيم تبادلي إحداهما مقارنة بالآخر؛ إذ يمكن أن يعمل الاستقطاب بشكل ثنائي مع التشدد أو يمكن أن يعمل الأخير على تقوية الاستقطاب الذي يعني تقوية تعارض الجماعات مع المجتمع، والذي يكون مترتبًا عن تزايد التوترات بين الجماعات في المجتمع، ممَّا ينشأ تهديدات للأمن المجتمعي .[١٨]

٣-الإرهاب: يرى تشومسكي في كتاب "من يمتلك العالم " أنَّ الإرهاب يشكل وباء العصر الحديث.[١٩]؛ وذلك لكونه أخطر الظواهر التي تواجه المجتمع الدَّولي ويقصد به أعمال العنف التي ترتكب من الأفراد التي تعرِّض

الأرواح البشريَّـة لخطـر أو تـؤدِّي بحياتهـم أو التـي تهـدد الحريـات الأساسـيَّة للإنسـان .[٢٠] أو أنَّـه اسـتراتيجيَّة تتَّسـم بعنفٍ ذي طابـع دولي تدفعهـا إيديولوجيًّـا صممـت لإدخـال الرعـب في فئـة مـن مجتمـع مـا لتحقيـق مكاسـب سـلطويَّة أو دعايـة لحـقٍّ أو ضررٍ بـصرف النظـر عـن الجهـة المسـتفيدة سـواء أكان المنفِّـذون يعملـون لمصلحتهـم أم مصلحـة الآخـر .[٢١] أي أنَّ الإرهـاب فعـل عنيـف يقـوم بـه شـخص متطـرف أو جماعـة متطرفـة، والمتطـرِّف ليـس دولـة فـلا يمكـن للدولـة أن تكـون إرهابيَّـة.[٢٢] وبذلـك يعـد التطـرف والإرهـاب وجهـان لعملـة واحـدة، إلَّا أنَّـه يمكـن التميـز بينهـما مـن خـلال الآتي:[٢٣]

١- التطـرُّف يرتبـط بمعتقـدات وأفـكار بعيـدة عـمَّا هـو معتـاد ومتعـارف عليـه سياسـيًّا واجتماعيًّـا ودينيًّـا مـن دون أن ترتبـط تلـك المعتقـدات والأفـكار بسـلوكيَّات مادِّيَّـة عنيفـة في مواجهـة المجتمـع أو الدولـة، أمَّـا إذا ارتبـط التطـرُّف بالعنـف المـادي أو التهديـد بالعنـف فإنَّـه يتحـول إلى إرهـاب، فالتطـرُّف دائـماً في دائـرة الفكـر، أمَّـا عندمـا يتحـول الفكـر المتطـرف إلى أنـماط عنيفـة مـن السـلوك مـن اعتـداء عـلى الحريَّـات أو الممتلـكات أو الأرواح أو تشـكيل التنظيـمات المسـلحة التـي تسـتخدم في مواجهـة المجتمـع والدولـة، فهـو عندئـذ يتحـوَّل إلى إرهـاب.

٢- التطـرف لا يعاقـب عليـه القانـون، ولا يعـدُّ جريمـة، بينـما الإرهـاب هـو جريمـة يعاقـب عليهـا القانـون، فتطـرف الفكـر لا يعاقـب عليـه القانـون بوصـف هـذا الأخـير لا يعاقـب عـلى النوايـا والأفـكار، في حـين أنَّ السـلوك الإرهـابي المُجـرم هـو حركـة عكـس القاعـدة القانونيَّـة، ومـن ثـمَّ يتـمُّ تجريمـه.

٣- يختلـف التطـرف عـن الإرهـاب مـن خـلال طـرق معالجتـه، فالتطـرف في الفكـر تكـون وسـيلة علاجـه هـي الفكـر والحـوار. أمَّـا إذا تحـول التطـرف إلى تصـادم فهـو يخـرج عـن حـدود الفكـر إلى نطـاق الجريمـة، ممَّـا يسـتلزم تغيـير مبـدأ المعاملـة وأسـلوبها.

تأسِّيًا على ما تقدَّم لابدَّ لنا أن نتساءل هنا عن الأسباب التي تدفع بعض المتطرِّفين للعنف في حين لا يلجأ آخرون من المتطرِّفين لذلك؟ كيف يصبح الأفراد متطرفين؛ وهل هناك وسيلة لاستشراف التحول من التطرف إلى سلوك الإرهاب المرتكز على التطرف؟ وكيف يتحول الإنسان من المرحلة السويَّة اللاعنفيَّة إلى اعتناق التطرف كفهم ثمَّ التحول إلى الإرهاب كسلوك وممارسة؟ وثمة حقيقة أخرى لابدَّ من الالتفات لها، وهي أنَّ كثيرًا ممَّن يقومون بالأعمال العنيفة أو الإرهابيَّة لا يعتنقون فكرًا متطرفًا؛ بل إنَّ هناك أجندات سياسيَّة وواجبات وطنيَّة تحركهم لذلك كل بحسب فهمه افترض كلَّ من كلارك مكولي، وصوفيا موسكالينكو الباحثان من كليَّة برين ماور الأمريكيَّة أنَّ مَن (يفعلون) الإرهاب هم نسبة قليلة ممَّن اعتنقوا الفكر المتطرف، ولم يتحول الإرهاب لديهم إلى سلوك ولو بالقوَّة، وقد أعدَّا دراسة بعنوان "فهم التطرف السياسي: نموذج الهرمين"، صاغا فيها أنموذجًا هرميًا ثنائي المحاور، للتمييز بين التطرف في الرأي والتطرف في الفعل، وما يترتَّب على هذا التمييز من طرق المعالجة للتطرف والإرهاب على حدٍ سواء، لأنَّ الخلط – باعتقادي – بين المفهومين وعدم تحديد مساحتيهما والمنطقة المشتركة بينهما، قد يفاقم وتيرة العنف والإرهاب إذا ما تمَّ محاسبة من لم يرتكب فعلًا عنيفًا، بعقوبة مرتكب الفعل العنيف، ويؤكد الباحثان "أنَّ التشدد الفكري يختلف عن الأفعال العنيفة أو الإرهابيَّة، فهما ظاهرتان مختلفتان"، ولذلك يقترحان نموذج "هرم الرأي"، يتضمَّن مستويات تتراوح ما بين "السلبيَّة، النشاط القانوني، العنف السياسي والإرهاب " .[٢٤]

المحور الثاني: أسباب التطرف العنيف والإرهاب في العراق

لقد أضحى موضوع التطرف العنيف في العراق يشغل مساحة في الحوارات الفكريَّة والمساجلات الكلاميَّة، التي تصدَّى لها جمهور من المثقفين والأكاديميين وعلماء الدين الذين مثَّلوا مختلف شرائح المجتمع حاولوا من خلالها وضع حدٍّ

لهذه الظاهرة المتفاقمة، والتي تهدِّد استقرار ومستقبل العراق .[٢٥] لا سيَّما أنَّ التعدُّد الديني والعرقي والمذهبي والجغرافي (ريف، وحضر) في العراق عد أحد بواعث التطرف العنيف لا سيَّما في ظلِّ الخشية من أن يتحوَّل إلى علاقةٍ تصارعيَّةٍ أو عنفٍ أهلي يدمر وشائج الهويَّة الوطنيَّة؛ لأنَّ ميزة الحروب الأهليَّة والعنف الداخلي تؤسِّس دائمًا على أيديولوجيا طوباوية من الفتنة الارتقائيَّة على أساس تاريخي ينسف جسور الوفاق والهدف الأساس منه الرجوع إلى الوراء.[٢٦] وهو ما تعرض له العراق بعد عام ٢٠٠٣ نتيجة فشل سياسات التنمية الاجتماعيَّة ورعاية الفئات الهامشيَّة في المجتمع .[٢٧] فضلًا عن اختلال البناء الاجتماعي فقد ساعد الفقر والعنف والتحول الديمقراطي في تعزيز هذا الاضطراب؛ إذ تحول المجتمع العراقي من حالة الاستبداد والقهر في الحريَّات إلى حالة الانفتاح الشامل، ممَّا جعل المجتمع العراقي يواجه سلوكيَّات مختلفة وبشكل مفاجئ أثَّرت وبشكلٍ كبيرٍ على طبيعة النسق الاجتماعي، وهو ما تسبَّب في إرباك المجتمع وإشاعة حالة من التناحر الطائفي والاغتراب وشيوع الانتماءات والثقافات الفرعيَّة.[٢٨] وهو ما تسبَّب في تغلغل الجماعات الإرهابيَّة التي اعتمدت على أساليب عديدة لترسيخ الفكر المتطرف داخل المجتمع العراقي أبرزها عمليَّاته الإجراميَّة والموجهة ضد المدنيين وترويعهم بشكل دائم، التي بدورها أسهمت في توليد ردود أفعال عكسيَّة ما بين فئات المجتمع على المستوى الفكري والسلوكي انعكست سلبًا على واقع التعايش والتسامح . من هنا بدأت منظومة الأمن المجتمعي تتعرَّض للتصدع تمثَّل بانتشار خطاب الكراهيَّة والتعصب بمختلف مسمياته والتشجيع على استخدام العنف ضد الآخرين لمجرَّد اختلاف الرأي هذه الأوضاع بدأت تهدد المنظومة الأمنيَّة والقيميَّة الجامعة للنسيج العراقي.[٢٩]

من هنا يمكن القول إنَّ ظاهرة التطرُّف بدأت تظهر في العراق بعد عام ٢٠٠٣[٣٠]؛ نتيجة لما مرَّ به المجتمع العراقي من ظروف سياسيَّة واقتصاديَّة

واجتماعيَّة قاسية ومتطرفة ومستمرة، أدَّت إلى تفككه ومعاناته من توترات أمنيَّة واقتصاديَّة واجتماعيَّة وسياسيَّة انعكست بصورة أمراض اجتماعيَّة وفقر وتوترات أمنيَّة، وتظاهرات وتمييز اجتماعي وعنف وتحلل قيمي[٣١] إلَّا أنَّها أخذت تظهر بصورة التطرف العنيف المهدد للأمن الذي لم يشهده العراق من قبل بعد عام ٢٠٠٦. وهذا يوضِّح لنا أمرين هما: أوَّلهما أنَّ هذه الظاهرة لم تظهر في المجتمع العراقي بعد الاحتلال الأمريكي إنَّما كانت لها جذور كامنة ارتبطت بالأساليب المتطرفة لاستخدام القوَّة المفرطة من قبل الأنظمة المتعاقبة للحكم لكلِّ من يعارض السلطة وتوجهاتها بالفكر والرأي لذلك بعد الفوضى الأمنيَّة والسياسيَّة أخذت تظهر بشكل علني، وتمَّ استغلالها وتوظيفها من قبل الاحتلال الأمريكي لتمرير أجندته في منطقة الشرق الأوسط ولتخدم مصالحه الاستراتيجيَّة العليا. أمَّا ثانيًا يؤكِّد أنَّ التطرُّف العنيف ليس مرتبط بالتنظيمات الإرهابيَّة ذات الطابع الديني في العراق (القاعدة وداعش)؛ لأنَّ التطرف العنيف طالما يبقى ضمن حدود الفكر المتشدِّد بوصفه جزءًا من الاعتقاد الراسخ بتلك الأفكار وتمَّت المجاهرة بها سواء تبنَّاها الأفراد أو جماعة معينة .[٣٢] فضلًا عن ذلك هنالك عدد من العوامل التي سببت في تزايد ظاهرة التطرف العنيف في العراق بعد عام ٢٠٠٦ يمكن إجمالها بالآتي:

١-سوء إدارة النظام السياسي: منذ تأسيس الدولة العراقيَّة عام ١٩٢١ حتَّى الآن وبغض النظر عن النظام السياسي ظلَّ الخوف من الآخر هو الهاجس الذي يتحكَّم في الأمن، وقد زاد هذا الهاجس بعد عام ٢٠٠٣ معيدًا دورات إنتاج العنف والإرهاب لطبيعة الحياة السياسيَّة العراقيَّة، لا سيَّما بعد فتح الحدود العراقيَّة على مصراعيها في إطار استراتيجيَّة واشنطن لاستدراج الإرهابيين إلى العراق بحجَّة الإجهاز عليهم، وهو ما عمَّق انتشار الخلايا الإرهابيَّة ونماذج التعصب والتطرف، لا سيَّما بعد إغراق المكتبات بالمطبوعات التي تغذِّي ذلك، فضلًا عن الطائفيَّة

والمحاصصة والفساد الذي كان الوجه الآخر للتطرف والإرهاب .[٣٣] علاوة على ذلك أنَّ تعدد الأحزاب والتنظيمات السياسيَّة وغياب القيادة الموحدة والولاء للعشيرة والطائفة على حساب الانتماء الوطني [٣٤]؛ إذ إنَّ دور العشيرة كمؤسس لقيم الدولة وتوجهاتها الاجتماعيَّة والفكريَّة لا يمكن إغفاله في استراتيجيَّة بناء الدولة، فالوجود العشائري في العراق يحمل في طياته التوجيه السياسي والاجتماعي، لذلك فإنَّ الاحتكام إلى القبائل في جميع القضايا سوف يضعف الدولة كضامن للحقوق ومراقب لتنفيذ الواجبات وهو ما يتطلَّب تحديد الأدوار، لا سيَّما أنَّ التطرف يستهدف توظيف هذه التناقضات للتعامل معها كإطار لحركاتها في المجتمع .[٣٥] بذلك فإنَّ تعدُّد الولاءات أدَّى إلى ظهور أنواع متعددة للتطرف أبرزها الطائفي والعرقي والحزبي حتَّى أظهرت الطروحات المتطرفة أنَّ العراق مهدد بالانقسام والصراعات الأهليَّة ظهرت في البدء كتعبير عن صراع على هويَّة العراق الحديث من دون وجود قوَّة دافعة تدفع إلى تغليب الهويَّة الوطنيَّة، وهو ما أدخل العراق في حلقات قادت إلى نموٍّ متدرِّج من تطرُّفٍ إلى كراهيَّةٍ وتكفيرٍ وإرهاب الذي ضرب العراق من قوى متعددة المفاصل، حتَّى وصل الأمر إلى استفحال الظاهرة في عام ٢٠١٤ وتحول التطرف إلى مزيج من الصراعات الدينيَّة والطائفيَّة التي أصبح يعاني منها الفرد والمجتمع والنظام السياسي والدولة .[٣٦]

٢-الفقر والبطالة: يعد الفقر والبطالة من أهمِّ الأسباب المؤدِّية إلى التطرُّف العنيف؛ إذ تستغل الجماعات الإرهابيَّة الفقراء وعدم قدرتهم على تلبية حاجاتهم الأساسيَّة بالتالي تكوين بيئة خصبة لتجنيدهم .[٣٧] فالمواطن العراقي يعاني من الفقر والبطالة التي تعد مهدد أساس للأمن القومي للدولة؛ إذ يشير الجهاز المركزي للإحصاء الصادر عن وزارة التخطيط العراقيَّة إلى أنَّ معدل بطالة الشباب للأعمار (١٥-٢٤)/ إجمالي ٢٠،٠ عام ٢٠١٤و ٢٢،٧ عام ٢٠١٦ و١٦،٨ عام ٢٠٢٤.[٣٨] وأنَّ وزارة العمل والشؤون الاجتماعيَّة اعلنت

أنَّ نسبة الفقر بلغت أكثر من ٢٥٪ من إجمالي سكان العراق في عام ٢٠٢٢ أي أنَّ مليون عائلة عراقيَّة تعيش تحت مستوى خط الفقر، وفي هذه الحالة أصبح الفقر يعوق المصالح الوطنيَّة بسبب اتساع الفجوة بين طبقات المجتمع.[٣٩] فالفقر والعوز يعني الحرمان والأخير يؤدِّي إلى الإحباط، وإذا استشعر الفرد بالإحباط جراء الحرمان فإنَّه يدفع به إلى إحدى الاحتمالات الآتية:[٤٠]

أ- الهجرة خارج البلاد بيد أنَّ هذا الاحتمال نسبي .

ب- القبول بالواقع والبحث عن مخلص دنيوي، وهذا ينمُّ عن عجز تام عن التغيير والاصلاح.

ج- التغيير وهو ليس بالضرورة أن يتم على وفق الأطر الدستوريَّة؛ بل قد يكون بالعنف بدافع المال والقعيدة . وهنا تكمن أهميَّة توظيف المتغير الاقتصادي بوصفه متغيرًا وسيطًا في استدامة العنف ومن ثمَّ الإرهاب، بالتالي فإنَّ فشل النظام في حلِّ المشكلة يؤدِّي إلى تراكمها .

٣-أميَّة التفكير في الخطاب الديني: إنَّ الصراع بشقيه الاجتماعي والسياسي الذي عاشه العراق بعد عام ٢٠٠٦ أسهم في بروز أنماط من التفكير على المستوى الديني تتميَّز بعدم الانفتاح على الآخر والتجديد والإفادة منه بصورةٍ إيجابيَّة تتوافق مع البنية الاجتماعيَّة والفكريَّة التي تساعد على التغيير والتطور. هذا الواقع أفرز توجُّهًا ذا انغلاق وتشدد للخطاب الديني، وهو أمرًا جديد لم تشهده البيئة العراقيَّة المعروفة بالتسامح والانفتاح، فبوادر أمِّيَّة التفكير أخذت تظهر من لدن الجماعات الدينيَّة المتطرِّفة، وهي إمَّا تكون مرتبطة بأجندة سياسيَّة داخليَّة أو خارجيَّة أو تتبنَّى أفكارًا بأسلوب التقليد الأعمى للجماعات السلفيَّة أو الإرهابيَّة المنتشرة حول العالم . فكان ظهورها بذلك الوقت جزء مخطَّط له لعدم التماسك الاجتماعي بذلك نجد أنَّ الخطاب الدِّيني، وأميَّة التفكير تسبِّب في الهدم وليس البناء، وأنَّه أسهم في دفع الشباب

العراقي نحو حواضن الجماعات الإرهابيَّة بسبب المغذِّيات الفكريَّة التي ملأت عقولهم بأفكار متطرِّفة لا معرفيَّة فأصبح تدمير الآخر المتخلف عنه وإقصائه حد الموت الأساس الذي يستندون إليه بدلًا من التعاون والتعايش[٤١].

المحور الثالث: فتوى الجهاد الكفائي (الفحوى والمضامين)

إنَّ المنهج الذي سارت عليه المرجعيَّة الدينيَّة في النجف الأشرف هو الابتعاد عن السياسة ومشاكلها، والحفاظ على جوهر الإسلام، الأمر الذي انعكس على عدم وضع أطروحة في السياسة، إلَّا أنَّ تغيُّر الأوضاع الأمنيَّة في العراق وظهور متغيِّرات جديدة أفرزت لنا أطروحة سياسيَّة جديدة لدى المرجعيَّة الدينيَّة ارتسمت معالمها في (فتوى الجهاد الكفائي).[٤٢] التي لم تطلق منفردة من دون ضوابط والتزامات تقع على عاتق المجاهدين؛ بل إنَّ السيِّد علي الحسيني السيستاني كلَّلها بتوجيهاتٍ وإرشاداتٍ للمتطوعين حثَّهم فيها على الالتزام بالمعايير الإسلاميَّة في التعامل مع الآخر[٤٣]، وهو ما أكَّده ممثِّل المرجعيَّة الدينيَّة العليا الشيخ عبد المهدي الكربلائي في الصحن الحسيني المقدَّس قائلًا **"إنَّ العراق وشعبه يواجه تحدِّيًا كبيرًا وخطرًا عظيمًا، وإنَّ الإرهابيِّن لا يهدفون إلى السيطرة على بعض المحافظات كنينوى وصلاح الدين فقط؛ بل صرَّحوا أنَّهم يستهدفون جميع المحافظات، ولا سيَّما كربلاء المقدَّسة والنجف الأشرف وبغداد، فإنَّهم يستهدفون جميع العراقيين، وفي جميع مناطقهم، ومن هنا فإنَّ مسؤوليَّة التصدِّي لهم ومقاتلتهم هي مسؤوليَّة الجميع ولا يختص بطائفة دون أخرى"**[٤٤] بذلك كانت الفتوى بمثابة دعوى إلى العراقيين بالانتباه واليقظة والحذر أنَّهم مستهدفون بألوانهم وأطيافهم المختلفة، ونلحظ من ذلك حس تاريخي أراد سماحته تبيانه للعراقيين أنَّ جميع الحروب والغزوات التي تعرض لها العراق كانت وبالًا ونتائجها على الجميع، ولم يستفد منها أحدًا على المدى القريب والبعيد[٤٥]، وشدَّد ممثِّل المرجعيَّة (الشيخ عبد المهدي الكربلائي) على

الاستجابة لإدراك الخطر والمسؤوليَّة ملقاة على عاتق المواطنين مشيرًا إلى أهمِّ النقاط التي تلخِّص مواجهة الأحداث الموجودة في العراق:[٤٦]

١-المسؤوليَّة تقع على الجميع في التصدِّي لتنظيم داعش مع الدعوة للتحلِّي بالصبر والعزيمة والشجاعة المعهودة لأبناء الشعب العراقي .

٢-ضرورة انتباه القيادات السياسيَّة لحجم التهديدات المحقة بالعراق وترك المهاترات السياسيَّة جانبًا .

٣-ضرورة تقديم الإسناد للقوات الأمنيَّة ودعم المرجعيَّة لهم واعتبار دفاعهم مقدَّس.

٤-تحفيز الجنود الذين أبلو بلاءً حسنًا في الدفاع عن الوطن بتكريمهم.

٥-طالب المرجع الديني أسر العسكريين وجميع المتطوعين بقوله "**المطلوب أن يحثَّ الأب ابنه، والزوجة زوجها على الصمود والثبات دفاعًا عن حرمات البلد ومواطنيه**".

٦-وصف السيِّد السيستاني توجهات الإرهابين ومنهجهم وسلوكهم أنَّه منهج ظلامي بعيد عن روح الإسلام، ويرفض التعايش مع الآخر بسلام، ويتَّخذ من العنف وسفك الدماء وإثارة الاقتتال الطائفي وسيلة لبسط نفوذه وهيمنته على مختلف مناطق العراق[٤٧].

بذلك كان لفتوى المرجعيَّة ردود أفعال شعبيَّة تمثَّلت في الآتي:[٤٨]

١-احدثت حماسًا منقطع النظير في صفوف أبناء الشعب العراقي بمختلف الفئات والشرائح الاجتماعيَّة برزت فيه روح الإيثار والتضحية من أجل الوطن والعقيدة .

٢-كانت مرتكزًا لتقهر الرمز التفكيريَّة والقضاء عليها؛ إذ تقدَّمت قوات مدعومة بالجيش والشرطة ليتكلل تقدمها بالنصر.

٣-وضعت حدًّا للحرب الأهليَّة والطائفيَّة التي كانت تلوح بالأفق من خلال توحيد جميع مكوِّنات الشعب العراقي لمواجهة عدو واحد.

٤-هدأت التصريحات الإعلاميَّة بين الأطراف السياسيَّة والاجتماعيَّة التي كانت تجري بين طرف وآخر.

٥-انخراط آلاف العراقيين الذين يتمتَّعون بروح وطنيَّة عالية بالفصائل المسلحة؛ إذ دعت العشائر أبنائها للتطوع ودعمتهم بالسلاح دفاعًا عن الوطن واستجابة لنداء المرجعيَّة؛ إذ أصبحت المضايف نواة لانضمام مقاتلي الحشد الشعبي الذي يعدُّ تشكليه من الناحية الاستراتيجيَّة بمثابة تغيير في المخطَّطات التي كانت الجماعات الإرهابيَّة تأمل تحقيقها من جانب. ومن جانب آخر كان له دور كبير في تغيير موازين القوى لصالح القوات العسكريَّة والمدنيَّة، فدخول القوات أرض المعركة شكَّل فاصلة زمنيَّة بين حالتي الإدراك والاستجابة القويَّة التي حقَّقت معها قوات الحشد الشعبي انتصارات مهمَّة، وشكَّلت أنموذجًا للتعبئة الشعبيَّة[٤٩]؛ إذ تطور الحشد إلى قوَّة قتالية تضم ما يقارب ٤٢ فصيلاً ليتحول قوَّة موازية للجيش العراقي، وأفضل منه بحجم كلي تجاوز ١٤٠ ألف مقاتل، لذلك تعزيزًا ودعماً لدور الحشد الشعبي المقدَّس وجه رئيس الوزراء الأسبق الدكتور حيدر العبادي في ٢٤/ شباط/ ٢٠١٦ وزارات الدولة العراقيَّة ومؤسَّساتها كافَّة بالتعامل مع الحشد الشعبي؛ بوصفه هيئة رسميَّة ترتبط بالقائد العام للقوات المسلحة وبرئاسة الوزراء.[٥٠] من هنا أخذت تظهر أبعاد سياسيَّة لفتوى الجهاد الكفائي يمكن توضحيها بما يلي:[٥١]

١-تحول موقف المرجعيَّة الدينيَّة من مرجعيَّة إرشاد ونصح إلى مرجعيَّة ميدان، أخذت زمام الأمور بعد عجز السياسيين من إدارة الملف الأمني بشكل صحيح.

٢-إعطاء بعد تحليلي ونظري للقادة السياسيين بخطورة المرحلة التي يمر بها العراق وترك الخلافات والمصالح الحزبيَّة والشخصيَّة.

٣-أشعرت الدول الاقليميَّة والدوليَّة أنَّ المرجعيَّة الدينيَّة لديها حلول

ومبادرات، وهي قادرة على الوقوف بوجه من يريد تمزيق العراق .

٤-أفشلت المخطَّط الإقليمي والغربي الذي أراد أن يعبث بالعراق أرضًا" ووطنيَّة .

٥-إفشال السيناريو الذي أراد أن يقضي على الصحوة والمقاومة الإسلاميَّة في داخل العراق وخارجه.

بذلك يمكن القول إنَّ فتوى الجهاد الكفائي حولت التناحر الديني والقومي والطائفي في العراق بعد الاحتلال إلى الاندماج بين الشعب والدين في الوطن الواحد؛ إذ كان للمرجعيَّة رؤيتها الدقيقة لطبيعة المشهد الأمني في البلاد وما آلت إليه البلاد من اجتياح عصابات داعش مدينة الموصل ومدن أخرى قريبة منها، وقد شخصت الواقع الذي تعيشه المؤسَّسة الأمنيَّة والعسكريَّة من انتشار الفساد والولاءات الفرعيَّة غير الوطنيَّة وغياب العزيمة القتالية، وهذا يرتبط بتردِّي أوضاع البلد بمختلف مستوياتها في مقابل قوَّة التنظيم وإمكانيَّته، ممَّا يدعو إلى الشك في إمكانيَّة هذه المؤسَّسة والدولة في حفظ الأمن الوقوف في وجه الإرهاب.[٥٢]

المحور الرابع: فتوى الجهاد الكفائي ودورها في مواجهة التطرف العنيف والإرهاب

واجه الأمن الوطني العراقي عام ٢٠١٤ أكبر تحدي يهدد استقرار الدولة ووجودها، وهو ظهور تنظيم داعش الذي برز في الساحة العراقيَّة بعد أن ظهر في الساحة السوريَّة مستفيدًا من الدعم الكبير الذي تقدمه له الدول الإقليميَّة والعالميَّة بحجَّة مواجهة النظام السوري، إلَّا أنَّه سرعان ما تحولت وجهته الحقيقة إلى العراق وتجربته الديمقراطيَّة، فكانت حربًا شرسة خاضتها جميع الأجهزة الأمنيَّة وتحدِّيًا كبيرًا للأمن الوطني العراق، لا سيَّما أنَّ تداعيات هذا التنظيم خطيرة وامتد تأثيرها إقليميًّا وعالميًّا، فضلًا عن أحداث سوريا

فقد كانت هنالك أسباب عديدة لظهور التنظيم، ومن أبرزها هشاشة الدولة العراقيَّة الفتيَّة، وما تعاني منه من تداعيات بعد الاحتلال الأمريكي، ولعلَّ الفساد المالي هو الذي أنهك الدولة وأوصلها إلى مرحلة الوهن، لا سيَّما أنَّه تسبَّب في عدم بناء منظومات أمنيَّة وعسكريَّة من خلال الميزانيَّات الانفجاريَّة التي كان يعتمدها كل عام؛ لكن غياب الوعي الحقيقي وضعف الإداريَّة المركزيَّة للسلطة وتداخل عمل الأحزاب مع أجهزة الدولة وضعف الرقابة الماليَّة والاداريَّة أدَّى إلى استفحال ظاهرة الفساد، وأنَّ هذا الشكل لم يؤدي إلى عرقلة عمليَّة التنمية فقط؛ بل ساعد على عمليَّة تمويل الجماعات الإرهابيَّة، وهو يمثِّل خطر حقيقي للدولة ناتج عن عدم الوعي السياسي، لذلك إنَّ ما حدث في مدينة الموصل هو دليل على ذلك؛ إذ تشير بعض التقديرات إلى أنَّ دخل تنظيم داعش الشهري الذي كان يأتي من الدعم المقدَّم من شركات البناء والمقاولات وشركات الهواتف بلغ ٨ ملايين دولار، وهو ما مكَّن تنظيم داعش توفير الأموال والأسلحة القتاليَّة إضافة إلى ظاهرة الفساد فإنَّ السبب الآخر والأهم لظهور تنظيم داعش وسيطرته على مدينه الموصل والمحافظات الأخرى هو غياب الاستراتيجيَّة العسكريَّة التي تعدُّ أحد أهمِّ ركائز بناء الدولة وصيانه أمنها فهي لا تعني القوات المسلحة فقط، بل فن الإدارة السياسيَّة والعسكريَّة لهذه القوات إلى جانب موارد الدولة .[٥٣] لذلك إنَّ هذا الانهيار العسكري دفع بالمرجعيَّة الدينيَّة إلى إصدار الفتوى وإدارة المعركة مع تنظيم داعش بمراحل يمكن توضحيها بما يأتي:

١-المرحلة الأوَّلى: التحفيز، إنَّ دافع الحفاظ على الدين والوطن كان المنطلق الذي استندت عليه فتوى المرجعيَّة بقوله: "**إنَّ طبيعة المخاطر المحدقة بالعراق في الوقت الحاضر تقتضي الدفاع عن الوطن وأهله ومواطنيه، وهو واجب كفائي**" بمعنى أن يتصدَّى له وكان فيه الكفاية بحيث يتحقق

الغـرض وحفـظ العـراق، وأكَّـدت المرجعيَّـة أنَّ مـن يقتـل دفاعًـا عـن الوطـن والديـن والمقدَّسـات فهـو شـهيد، فقـد كان هـذا الحافـز الأسـاس في مواجهـة التطـرف والإرهـاب والتفرقـة، لا سـيَّما أنَّـه كان موجـه إلى جميـع المواطنـين، ولم يختـص بفئـة مـن دون الأخـرى .

٢- المرحلـة الثانيـة: إدارة الحـرب مـن خـلال التوجيهـات التـي كانـت تصدرهـا في خطـب الجمعـة؛ لغـرض توجيـه مسـار العمـل الجهـادي عـلى أسـاس المتطلبـات المتوقعـة للبيئـة والموازنـة مـع المـوارد المتوفـرة وتحديـد الاسـبقيَّات؛ وذلـك لوعـي المرجعيَّـة أنَّ الاسـتراتيجيَّة العسـكريَّة لمواجهـة داعـش يجـب أن تكـون مشـتركة تربـط القـدرات العسـكريَّة للمتطوعـين للقتـال مـع القـوات العسـكريَّة للأجهـزة الأمنيَّـة مـن أجـل تحقيـق أهـداف مرحليَّـة تمهـد الطريـق إلى النـصر الأكـبر، وهـو النـصر عـلى تنظيـم داعـش.

٣- المرحلـة الثالثـة: مرحلـة حـرب الأفكار؛ إذ إنَّ النـصر عـلى داعـش لا يمثِّـل نهايـة المعركـة مـع الإرهـاب والإرهابـين؛ بـل سـوف تسـتمر طالما أنَّ هنالـك أناسًـا قـد ظللـوا فاعتنقـوا الفكـر المتطـرف الـذي لا يقبـل صاحبـه بالتعايـش السـلمي مـع الآخريـن، ولهـذا أكَّـدت المرجعيَّـة على الحفاظ عـلى منجز النصر التـي خاض غمارها المتطوعين للجهاد في إطار مؤسَّسـة الحشـد الشـعبي بكلِّ أبعادها السياسـيَّة والقيميَّة والدينيَّـة، وذلـك في الخطبـة الثانيـة في صلاة يوم الجمعة في تاريـخ ١٥/ ١٢/ ٢٠١٧ التـي أكَّـدت فيهـا المرجعيَّـة الدينيَّة العليا عـلى أنَّ مكافحة الإرهاب يجـب أن تتمَّ من خـلال التصـدِّي له من جـذوره الفكريَّـة الدينيَّة، وتجفيـف منابعة الماليـة والإعلامية والبشريَّـة، وهـذا يتطلَّـب العمـل على وفق خططٍ مهنيَّة مدروسـة، وذلك من خلال الاسـتعانة بأبطـال الحشـد الشـعبي ضمـن الأطـر القانونيَّـة والدسـتوريَّة التـي تحصر السـلاح بيـد الدولـة وترسـم المسـار الصحيـح لـدور هـؤلاء الأبطـال للمشـاركة في حفظ أمـن العراق حـاضرًا ومسـتقبلًا.(٥٤)

الخاتمة:

تأسّيًا على ما تمَّ تناولها للمرجعيَّات الدينيَّة دورًا كبيرًا في الحياة الاجتماعيَّة والسياسيَّة في الأوساط الشعبيَّة، وهو ما ينسحب إلى آية الله السيِّد علي الحسيني السيستاني، فمنذ انهيار النظام العراقي المباد في ٩ نيسان٢٠٠٣ تضاعف دور المرجعيَّة الدينيَّة للسيِّد السيستاني وتحولت إلى دور قيادي يخطِّط ويقدِّم المشورة في رسم ملامح النظام السياسي الجديد في العراق، وقد ازدادت ثقة الجماهير فيه والتفت حول مشروعه بإنشاء دولة مدنية في العراق بعد أن فقد العراقيون ثقتهم بالمشروع الأمريكي في بناء عراق ديمقراطي، إنَّه لا يسعى إلى إقحام المؤسَّسة الدينيَّة في مختلف تشكيلات الحياة السياسيَّة وغير السياسيَّة واكتفى بتقديم النصح والمشورة بما يسهم في تعضيد التيار السياسي الجديد، وشدَّد على ضرورة تولِّي المتخصصين في إدارة الشؤون العامَّة. يمكن اعتبار هذه الفتوى نوعًا من الإفتاء الاستراتيجي تعزيزًا للديمقراطيَّة وتكريس الدستور وتحقيق المساواة في الحقوق السياسيَّة؛ ولكنَّها كانت تتدخل لحماية مصلحة الشعب.

الهوامش

١- شريف كلاع، انعكاسات عودة المقاتلين من بؤر التوتر على انتشار التطرف العنيف: دراسة حالة منطقة شمال افريقيا، مجلة العلوم القانونية والسياسيَّة، المجلد (١٠)، العدد (٢)، ٢٠١٩، ص٥٣٥ .

٢- عدنان عويد، قراءه منهجية في التطرف، نشرة المحرر، ٢٠١٤، الشبكة الدَّوليَّة للمعلومات والانترنيت، المصدر متوفر على الرابط الاتي:
https://www.nachrat.com

٣- يوسف ضامن وعبد السلام محمد، عوامل نمو التطرف في المجتمعات العربية المعاصرة: دراسة سيسولوجية، مجلة علوم الانسان والمجتمع، المجلد(٨)، العدد(٢)، ٢٠١٩، ص٣٤.

٤- عالية بنت احمد، التطرف الديني المعاصر: تعريفه، أسبابه، ومظاهره، ومناهج علاجه، مجلة كلية الدراسات الإسلامية بالإسكندرية، الجزء(١)، العدد (٣٩)، ٢٠٢٢، ص٣٥٢.

٥- حمدان رمضان، التطرف الفكري وسبل مواجهته في المجتمع العراقي المعاصر، مجلة جامعة الأنبار للعلوم الإنسانيَّة، المجلد (١)، العدد (١)، ٢٠٢١، ص٢٩٧.

٦- العياشي عنصر، العولمة والتطرف: نحو استكشاف علاقة ملتبسة، مجلة سياسات عربية، العدد (٢١)، ٢٠١٦، ص١١.

٧- محمد ياسر، التطرف الديني ومظاهره الفكرية والسلوكية، مؤمنون بلا حدود، بلا تاريخ، ص٥، الشبكة الدَّوليَّة للمعلومات والانترنيت، المصدر متوفر على الرابط الاتي:
https://mominoun.com

٨- عبد الحكيم الكعبي، التعددية الفكرية وشرعية الاختلاف، ط١، صفحات للدراسات والنشر، دمشق، ٢٠٠٩، ص٥٤.

٩- أمينة رشيد، الحرية الفكرية والأكاديمية في مصر، دار الامين للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠٠٧، ص١٣٠.

١٠- إمام حسنين عطا الله، الإرهاب البنيان القانوني للجريمة، دار المطبوعات الجامعية، القاهرة، ٢٠٠٤، ص ٢٣٢.

١١-محمَّد أحمد وآخرون، التطرف والإرهاب أسبابها وأشكالها وطرق مكافحتها، مجلة الدراسات التاريخيَّة والحضاريَّة، المجلد(١١)، العدد(٤٤)، ٢٠٢٠، ص٢٣٠.

١٢- طاهر يحيى، أسباب ظهور التطرف وأهم مغذياته وآثاره السلبيَّة على المجتمع وأساليب علاجه، مجلة الدراسات التاريخيَّة والحضاريَّة، المجلد(١١)، العدد(٤٤)، ٢٠٢٠، ص١٨٠ .

١٣- عزمي بشارة، في ما يسمَّى التطرف، مجلة سياسات عربية، العدد(١٤)، ٢٠١٥، ص٨.

١٤- مكافحة الإرهاب وحماية حقوق الإنسان: الدَّليل (فرسوبيا مكتب المؤسَّسات

الديموقراطيَّـة وحقـوق الإنسـان بمنظَّمـة الأمـن والتعـاون بأوروبـا ، الشـبكة الدَّوليَّـة للمعلومـات والإنترنيـت، المصـدر متوفـر عـلى الرابـط الاتي:
http://www.osce.org/odihr/29103
15- Sedgwick, M., "The Concept of Radicalization as a Source of Confusion", Terrorism and Political Violence,v.(22),No.(4),2010, PP.479-494.
16-Borum, R, "Radicalization into Violent Extremism I: A review of social science theories". Journal of Strategic Security, 4 (4): 7-36,2011, p. 8..
17- Borum, R. ,"Radicalization into Violent Extremism II: A Review of Conceptual Models and Empirical Research", Journal of Strategic Security, 4 (4) ,2011, PP.37-62.
١٨- بوبكـر بـو خريسـة، علـم الراديكاليَّـة والإرهـاب (ارهابولوجيـا)، مركـز الكتـاب الأكاديمـي، عـمان، ٢٠١٨، ص١٤٣.
١٩- زينـب غالـب جعفـر، توظيـف القـوة الابتكاريـة في الاسـتراتيجيَّة الشـاملة للولايـات المتحدة الأمريكيَّة وأثرها في الأمـن الـدولي: دمج الأقاليـم أنموذجًا، أطروحـة دكتـوراه (غـير منشـورة)، جامعـة النهريـن، كليَّـة العلـوم السياسـيَّة، ٢٠٢٣، ص١٧٩.
٢٠- فكـرت نامـق، الإرهـاب والسـلوك الإرهـابي (العـلاج والمدخـلات)، مجلـة قضايا سياسـيَّة، جامعـة النهريـن، المجلد(١٧)، العـدد(١)، ٢٠٠٩، ص٣٣.
٢١- انسـام فائـق، ظاهـرة الإرهـاب بـين الواقـع والحلـول المقترحـة، مجلـة قضايـا سياسـيَّة، جامعـة النهريـن، السـنة (١٢)، العـدد(٦٢)، ٢٠٢٠، ص٤٠٧.
٢٢- عزمي بشارة،مصدر سبق ذكره ، ص ٦.
٢٣- الجيلاني بـن طيـب، مفهـوم التطـرف وعلاقتـه بالإرهـاب، مركـز البحـث في العلـوم الإسـلامية والحضـارة - الأغـواط، ٢٠١٦، الشـبكة الدَّوليَّـة للمعلومـات والإنترنيـت، المصـدر متوفِّـر عـلى الرابـط الآتي:
https://www.crsic.dz/
٢٤- إطـار جديـد لفهـم الإرهـاب والتطـرف، الشـبكة الدَّوليَّـة للمعلومـات والانترنيـت، المصـدر متوفـر عـلى الرابـط الآتي:
hattps;\\www. scientificamerican.com.
٢٥-هـادي مشـعان، أزمـة العنـف الطائفـي في العـراق بعـد الإحتـلال الامريكـي ٢٠٠٣، مجلـة

تكريت للعلوم السياسيَّة، المجلد(٣)، السنة(٣)، العدد(٩)، بلا تاريخ، ص١١٧.
٢٦- محمود عزو، أثر التعددية في مواجهة التطرف في العراق، مجلة الدراسات التاريخيَّة والحضاريَّة، المجلد(١١)، العدد(٤٤)، ٢٠٢٠، ص٣٨٥.
٢٧- علي أحمد و أحمد عبد العزيز، دراسات في علم الإجرام، ط١، دار غيداء، عمان، ٢٠١٢، ص١٠٥.
٢٨-خالد عبد الإله، الأسس الفكرية للتطرف العنيف والإرهاب في العراق (دراسة في آليات المواجهة)، مجلة تكريت للعلوم السياسيَّة، المجلد(٤)، العدد(٣٠)،٢٠٢٢، ص٢٠٥.
٢٩- رنا مولود، التطرف العنيف وانعكاساته على منظومة الأمن المجتمعي العراقي، دراسات سياسيَّة واستراتيجية، العدد(٤٥)، ٢٠٢٢، ص١٠٤.
٣٠- مازن قاسم، التطرف وأثره في استقرار السياسي العراق، مجلة دراسات دوليَّة، العدد(٨٥)، ٢٠٢١، ص٢٦٥.
٣١- منقذ داغر، صناعة التطرف في العراق: داعش والحركة الصرخيَّة والاستياء الشعبي، ٢٠٢٢، الشبكة الدَّوليَّة للمعلومات والإنترنيت، المصدر متوفر على الرابط الاتي:
https://www.washingtoninstitute.org/
٣٢- ذياب البداينة وخولة الحسن، نحو تكامل اثني عشر أنموذجًا نظريًّا في تفسير التطرف: الأنموذج العام في التطرف، مجلة دراسات وأبحاث، العدد٢٦، ٢٠١٧، ص ٧-٣٥.
٣٣-حمدان رمضان، التطرف الفكري وسبل مواجهته في المجتمع العراقي المعاصر، مجلة الأنبار للعلوم الإنسانية، المجلد(١)، العدد(١)، ٢٠٢١، ص٣١٤.
٣٤- خير الله سبهان، السياسة الحكومية ودورها في مكافحة التطرف والإرهاب في العراق، مجلة الدراسات التاريخية والحضارية، المجلد(١١)، العدد(٤٤)، ٢٠٢٠، ص٣٢٤.
٣٥- سهاد إسماعيل وعلي فارس، مواجهة التطرف: المداخل -الاستراتيجيَّات-بيئة العمل، مركز النهرين للدراسات الاستراتيجيَّة، سلسلة كتاب النهرين، العدد (٢)، ٢٠٢٠، ص ١١٧.
٣٦- مازن قاسم،مصدر سبق ذكره، ص٢٧٣.
٣٧- نجوان هاني، دور اليونسكو في مواجهة التطرف وتحقيق السلام في العراق، مجلة تكريت للعلوم السياسيَّة، العدد(٤)، ٢٠٢٣، ص٢٦٨.
٣٨- وزارة التخطيط الجهاز المركزي للإحصاء، الشبكة الدَّوليَّة للمعلومات والانترنيت، المصدر متوفر على الرابط الآتي:
https://cosit.gov.iq/ar/2013-01-31-08-48-55

٣٩- سوار احمد، وزارة التخطيط العراقيَّة: نسبة الفقر في البلاد بلغت أكثر من ٢٥ بالمئة خلال عام ٢٠٢٢ ، ٢٠٢٣، الشبكة الدَّوليَّة للمعلومات والانترنيت، المصدر متوفر على الرابط الاتي:

https://www.kurdistan24.net/

٤٠- ميثم عنيدي، التطرف والإرهاب في العراق: بحث في المتغيرات الضابطة لأثر الإرهاب في العراق، مجلة جامعة الدفاع، العدد(٤)، ٢٠٢٣،ص٣٦٦.

٤١- رنا مولود، مصدر سبق ذكره، ص١١٠.

٤٢- عدي حاتم عبد الزهرة، الفكر السياسي لفتوى الجهاد الكفائي عند السيِّد علي الحسيني السيستاني، مجلَّة الباحث، المؤتمر العلمي الدَّولي الأوَّل، ٢٠٢١، ص٨.

٤٣- حيدر محسن سلمان، دور المرجعية في حفظ المجتمع من الإرهاب: فتوى الجهاد الكفائي نموذجًا، الشبكة الدَّوليَّة للمعلومات والإنترنيت، المصدر متوفر على الرابط الآتي:

https://www.researchgate.net/

٤٤- مجاهد منعثر منشد، فتوى الجهاد الكفائي حرب من أجل السلم، الشبكة الدَّوليَّة للمعلومات والإنترنيت، المصدر متوفر على الرابط الآتي:

https://www.researchgate.net/

٤٥- فاضل كاظم، فتوى الجهاد الكفائي وحركة التاريخ الإسلامي عند السيِّد علي السيستاني: دروس وعبر في بناء القدوة الصالحة، الشبكة الدَّوليَّة للمعلومات والإنترنيت، المصدر متوفر على الرابط الآتي:

https://jojurnal.uokufa.edu.iq/

٤٦- نزار علوان، العشائر العراقيَّة ودعمها للحشد الشعبي في ظلِّ فتوى الجهاد الكفائي، كليَّة التربية، الجامعة المستنصرية دراسة طرحت في المؤتمر الدولي العالمي الأوَّل للحشد الشعبي، بعنوان الجهاد الكفائي ومستقبل وحدة العراق، حرم الإمام الحسين، ٢٠١٥، ص ٤٠٣-٤٠٥.

٤٧-عمار ياسر، الأبعاد السياسيَّة والاجتماعيَّة لفتوى الجهاد الكفائي، ط٢، دار زركراف، قم (إيران)، ٢٠١٦، ص٢٧.

٤٨-عمار ياسر عبد ناصر، الأبعاد الوطنيَّة لفتوى الجهاد الكفائي للسيِّد علي السيستاني، الشبكة الدَّوليَّة للمعلومات والإنترنيت، المصدر متوفر على الرابط الآتي:

https://journal.uokufa.edu.iq/

٤٩- حيدر علي حسين، الحشد الشعبي رؤية في الدور المستقبلي، مجلة المستنصريَّة للدراسات العربيَّة والدَّوليَّة،العدد٦٣، المجلد١٥، الجامعة المستنصرية، ص٧.

٥٠- جـواد كاظـم، توظيـف الحشـد الشـعبي في المـدرك السـياسي العراقـي، مجلـة حمـورابي، العـدد ٢٩، ٢٠١٩، ص١٠٨.
٥١- إبراهيـم العـاتي، الأبعـاد السياسـيَّة لفتـوى الإمـام السيسـتاني، ٢٠١٤، الشـبكة الدَّوليَّـة للمعلومـات والإنترنيـت، المصـدر متوفـر عـلى الرابـط الآتي:
https://www.iasj.net/
٥٢- عـلي محمـد حسـن، أثـر المكانـة السياسـة للمرجعيَّـة الدينيَّة في العـراق على الأمـن المجتمعي، مجلـة القادسـية للقانون والعلوم السياسـيَّة، العدد(٢)، المجلـد١١، ٢٠٢٠، ص٤٩٢.
٥٣- زيـاد يوسـف وفنـر عـماد، احتـلال تنظيـم داعـش لمدينـة الموصـل وتداعياتـه عـلى الأمـن الوطنـي العراقـي الأزمـة والنتائـج، مجلَّـة قضايـا سياسـيَّة، العـدد٥٥، ٢٠١٦، ص ١٢٤.
٥٤- جـدل العلاقـة بـين مفهـوم الحـرب الشـعبيَّة وفتـوى الجهـاد الكفائـي في فكـر المرجـع الديني الأعـلى سـماحة آيـة الله العظمـى السـيِّد عـلي السيسـتاني، مركـز حمـورابي للبحـوث والدراسـات الاسـتراتيجيَّة، بغـداد، ٢٠٢٣،ص١٥

المصادر والمرجع

*** أوَّلا: الرسائل والأطاريح**

* زينب غالب جعفر، توظيف القوة الابتكارية في الاستراتيجيَّة الشاملة للولايات المتحدة الأمريكيَّة وأثرها في الأمن الدولي: دمج الأقاليم أنموذجًا، أطروحة دكتوراه (منشورة)، جامعة النهرين، كليَّة العلوم السياسيَّة، ٢٠٢٣.

*** ثانيًا: البحوث والدراسات**

* إنسام فائق، ظاهرة الإرهاب بين الواقع والحلول المقترحة، مجلة قضايا سياسيَّة، جامعة النهرين، السنة (١٢)، العدد(٦٢)، ٢٠٢٠.

* جدل العلاقة بين مفهوم الحرب الشعبية وفتوى الجهاد الكفائي في فكر المرجع الديني الأعلى سماحة آية الله العظمى السيِّد علي السيستاني، مركز حمورابي للبحوث والدراسات الاستراتيجيَّة، ٢٠٢٣،ص١٥

* جواد كاظم، توظيف الحشد الشعبي في المدرك السياسي العراقي، مجلة حمورابي، العدد٢٩، ٢٠١٩.

* حمدان رمضان، التطرف الفكري وسبل مواجهته في المجتمع العراقي المعاصر، مجلة الأنبار للعلوم الإنسانيَّة، المجلد(١)، العدد(١)، ٢٠٢١.

* حمدان رمضان، التطرف الفكري وسبل مواجهته في المجتمع العراقي المعاصر، مجلة جامعة الأنبار للعلوم الإنسانية، المجلد (١)، العدد (١)، ٢٠٢١.

* حيدر علي حسين، الحشد الشعبي رؤية في الدور المستقبلي، مجلة المستنصرية للدراسات العربيَّة والدوليَّة،العدد٦٣، المجلد ١٥.

* خير الله سبهان، السياسة الحكومية ودورها في مكافحة التطرف والإرهاب في العراق، مجلة الدراسات التاريخيَّة والحضارية، المجلد(١١)، العدد(٤٤)، ٢٠٢٠.

* ذياب البداينة وخولة الحسن، نحو تكامل اثني عشر أنموذجا نظريًّا في تفسير التطرف: الأنموذج العام في التطرف، مجلة دراسات وابحاث، العدد٢٦، ٢٠١٧.

* رنا مولود، التطرف العنيف وانعكاساته على منظومة الأمن المجتمعي العراقي، دراسات سياسيَّة واستراتيجيَّة، العدد(٤٥)، ٢٠٢٢.

* زياد يوسف وفنر عماد، احتلال تنظيم داعش لمدينة الموصل وتداعياته على الأمن الوطني العراقي الأزمة والنتائج، مجلة قضايا سياسيَّة، العدد٥٥، ٢٠١٦،.

* سهاد إسماعيل وعلي فارس، مواجهة التطرف:المداخل -الاستراتيجيات- بيئة العمل، مركز النهرين للدراسات الاستراتيجيَّة، سلسلة كتاب النهرين،العدد (٢)، ٢٠٢٠.

* سوار أحمد، وزارة التخطيط العراقيَّة: نسبة الفقر في البلاد بلغت أكثر من ٢٥ بالمئة خلال عام ٢٠٢٢.

* شريف كلاع، انعكاسات عودة المقاتلين من بؤر التوتر على انتشار التطرف العنيف: دراسة حالة منطقة شمال أفريقيا،

مجلة العلوم القانونيَّة والسياسيَّة، المجلد (١٠)، العدد(٢)، ٢٠١٩.
* شريف كلاع، انعكاسات عودة المقاتلين من بؤر التوتر على انتشار التطرف العنيف: دراسة حالة منطقة شمال أفريقيا، مجلة العلوم القانونيَّة والسياسيَّة، المجلد (١٠)، العدد(٢)، ٢٠١٩.
* عالية بنت أحمد، التطرف الديني المعاصر: تعريفه، أسبابه، ومظاهره، ومناهج علاجه، مجلة كليَّة الدراسات الإسلاميَّة بالإسكندرية، الجزء(١)، العدد (٣٩)، ٢٠٢٢.
* عالية بنت احمد، التطرف الديني المعاصر: تعريفه، أسبابه، ومظاهره، ومناهج علاجه، مجلة كليَّة الدراسات الإسلاميَّة بالإسكندرية، الجزء(١)، العدد (٣٩)، ٢٠٢٢.
* عدي حاتم عبد الزهرة، الفكر السياسي لفتوى الجهاد الكفائي عند السيِّد علي الحسيني السيستاني، مجلة الباحث، المؤتمر العلمي الدولي الأوَّل، ٢٠١٢.
* عزمي بشارة، في ما يسمَّى التطرف، مجلة سياسات عربية، العدد(١٤)، ٢٠١٥ .
* علي محمد حسن، أثر المكانة السياسة للمرجعيَّة الدينيَّة في العراق على الأمن المجتمعي، مجلة القادسية للقانون والعلوم السياسيَّة، العدد(٢)، المجلد١١، ٢٠٢٠.
* العياشي عنصر، العولمة والتطرف: نحو استكشاف علاقة ملتبسة، مجلة سياسات عربيَّة، العدد (٢١)، ٢٠١٦.
* فكرت نامق، الإرهاب والسلوك الإرهابي (العلاج والمدخلات)، مجلة قضايا سياسيَّة، جامعة النهرين، المجلد(١٧)، العدد(١)، ٢٠٠٩.
* مازن قاسم، التطرف وأثره في استقرار السياسي العراق، مجلة دراسات دوليَّة، العدد(٨٥)، ٢٠٢١.
* ميثم عنيدي، التطرف والإرهاب في العراق: بحث في المتغيرات الضابطة لأثر الإرهاب في العراق، مجلة جامعة الدفاع، العدد(٤)، ٢٠٢٣.
* نجوان هاني، دور اليونسكو في مواجهة التطرف وتحقيق السلام في العراق، مجلة تكريت للعلوم السياسيَّة، العدد(٤)، ٢٠٢٣.
* نزار علوان، العشائر العراقيَّة ودعمها للحشد الشعبي في ظل فتوى الجهاد الكفائي، كليَّة التربية، الجامعة المستنصرية دراسة طرحت في المؤتمر الدولي العالمي الأوَّل للحشد الشعبي، بعنوان الجهاد الكفائي ومستقبل وحدة العراق، حرم الإمام الحسين، ٢٠١٥.
* يوسف ضامن وعبد السلام محمد، عوامل نمو التطرف في المجتمعات العربيَّة المعاصرة: دراسة سيسولوجية، مجلة علوم الإنسان والمجتمع، المجلد(٨)، العدد(٢)، ٢٠١٩.
* يوسف ضامن وعبد السلام محمد، عوامل نمو التطرف في المجتمعات العربيَّة المعاصرة: دراسة سيسولوجية، مجلة علوم

الإنسان والمجتمع، المجلد(٨)، العدد(٢)، ٢٠١٩.

*** ثالثًا: الكتب العربيَّة**

* أمينة رشيد، الحرية الفكريَّة والأكاديمية في مصر، دار الامين للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠٠٧.

* بوبكر بو خريسة، علم الراديكاليَّة والإرهاب (ارهابولوجيا)، مركز الكتاب الأكاديمي، عمان، ٢٠١٨.

* عبد الحكيم الكعبي، التعددية الفكريَّة وشرعية الاختلاف، ط١، صفحات للدراسات والنشر، دمشق، ٢٠٠٩.

* عمار ياسر، الأبعاد السياسيَّة والاجتماعيَّة لفتوى الجهاد الكفائي، ط٢، دار زركراف، قم (إيران)، ٢٠١٦.

*** رابعًا: المصادر الإلكترونية**

* عدنان عويد، قراءه منهجية في التطرف، نشرة المحرر، ٢٠١٤، الشبكة الدوليَّة للمعلومات والإنترنيت، المصدر متوفر على الرابط الآتي:

https://www.nachrat.co m

* عدنان عويد، قراءه منهجية في التطرف، نشرة المحرر، ٢٠١٤، الشبكة الدوليَّة للمعلومات والإنترنيت، المصدر متوفر على الرابط الآتي:

https://www.nachrat.c m

* مكافحة الإرهاب وحماية حقوق الإنسان: الدّليل (فرسوبيا مكتب المؤسَّسات الديموقراطيَّة وحقوق الإنسان بمنظَّمة الأمن والتعاون بأوروبا، الشبكة الدوليَّة للمعلومات والإنترنيت، المصدر متوفر على الرابط الآتي:

http://www.osce.org/odihr/291 3

* الجيلاني بن طيب، مفهوم التطرف وعلاقته بالإرهاب، مركز البحث في العلوم الإسلاميَّة والحضارة – الأغواط، ٢٠١٦، الشبكة الدوليَّة للمعلومات والإنترنيت، المصدر متوفر على الرابط الآتي:

https://www.crsic.dz

* منقذ داغر، صناعة التطرف في العراق: داعش والحركة الصرخيَّة والاستياء الشعبي، ٢٠٢٢، الشبكة الدوليَّة للمعلومات والانترنيت، المصدر متوفر على الرابط الاتي:

https://www.washingtoninsti-tute.org /

* وزارة التخطيط الجهاز المركزي للإحصاء، الشبكة الدوليَّة للمعلومات والانترنيت، المصدر متوفر على الرابط الآتي:

https://cosit.gov.iq /

* حيدر محسن سلمان، دور المرجعيَّة في حفظ المجتمع من الإرهاب: فتوى الجهاد الكفائي نموذجًا، الشبكة الدوليَّة للمعلومات والإنترنيت، المصدر متوفر على الرابط الآتي:

https://www.researchgate.net/

* مجاهد منعثر منشد فتوى الجهاد الكفائي حرب من أجل السلم، الشبكة الدوليَّة

للمعلومات والإنترنيت، المصدر متوفر على الرابط الآتي:
https://www.researchgate.net/
* فاضل كاظم، فتوى الجهاد الكفائي وحركة التاريخ الإسلامي عند السيِّد علي السيستاني: دروس وعبر في بناء القدوة الصالحة، الشبكة الدوليَّة للمعلومات والإنترنيت، المصدر متوفر على الرابط الآتي:
https://jojurnal.uokufa.edu.iq /
* إبراهيم العاتي، الأبعاد السياسيَّة لفتوى الإمام السيستاني، ٢٠١٤، الشبكة الدوليَّة للمعلومات والإنترنيت، المصدر متوفر على الرابط الآتي:
https://www.iasj.net /
* عمار ياسر عبد ناصر، الأبعاد الوطنيَّة لفتوى الجهاد الكفائي للسيد علي السيستاني، الشبكة الدوليَّة للمعلومات والإنترنيت، المصدر متوفر على الرابط الآتي:
https://journal.uokufa.edu.iq
* رابعًا: المصادر الأجنبيَّة
* Sedgwick، M.، "The Concept of Radicalization as a Source of Confusion"، Terrorism and Political Violence،v.(22)،no. (4).2010،
* Borum، R، "Radicalization into Violent Extremism I: A review of social science theories". Journal of Strategic Security:(4) 4 ، .7-36،2011
* Borum، R. ،"Radicalization into Violent Extremism II: A Review of Conceptual Models and Empirical Research"، Journal of Strategic Security.2011، (4) 4 ،

مرجعيَّة السيستاني ودورها في الحفاظ على الدَّولة ٢٠١٤-٢٠٢٠

م. عقيل فالح سلمان
جامعة القاسم الخضراء

م.م. زهراء فوزي أبو خويط
جامعة القاسم الخضراء

ملخَّص البحث

على مرِّ التاريخ الحديث كانت للمرجعيَّات الدينيَّة الشيعيَّة الدور الكبير والملموس في بناء البلدان، وهذا الدور اختلف عن جميع الأدوار التي تقوم بها المرجعيَّات الدينيَّة الأخرى، خارج الطائفة الشيعيَّة، ولو أخذنا مثال على ذلك في الميرزا محمَّد الشيرازي لوجدنا أنَّ المرجعيَّة المباركة كان لها الدور في إدارة ثورة العشرين، ووضع الأسس الصحيحة في بناء الدَّولة العراقيَّة.

لو انتقلنا إلى مرجعيَّة السيِّد السيستاني (دام ظله) لوجدنا أنَّ مرجعيَّته كانت الحصن الحصين والسد المنيع أمام كلِّ المؤامرات التي حاكت ووجهت إلى الشعب العراقي، بدءًا من عام ٢٠٠٣ وإلى وقتنا الحاضر، فهي دعمت إنشاء دستور مكتوب، وأسهمت في التصويت عليه، وكانت خير من أوقف الزحف الإرهابي عام ٢٠١٤، ولو تكلمنا أكثر لربَّما لا يتَّسع هذا الملخَّص من الأدوار والمواقف المباركة للمرجعيَّة الدينيَّة العليا، الذي سنتناولها من خلال هذا البحث.

الكلمات المفتاحية: السيِّد السيستاني، العراق، الدَّولة، الأمن، الانتخابات.

Abstract

Throughout modern history, the Shia Religious Authorities have played a significant and tangible role in nation-building. This role differs from those played by religious authorities outside the Shia sect. Taking Mirza Muhammad Al-Shirazi as an example, we find the blessed Religious Authority played a role in managing the 1920 Revolution and laying the correct foundations for building the Iraqi state.

Moving to the Religious Authority of Seid. Al-Sistani, may Allah prolong his life , we find that his authority is the fortified stronghold and impregnable fulcrum against all conspiracies woven and directed against the Iraqi people, starting from 2003 to the present. It supported the creation of a written constitution, contributed to its adoption, and was a key force in halting the terrorist encroachment in 2014. This abstract cannot encompass all the blessed roles and stances of the Supreme Religious Authority, which will be addressed throughout this research.

Keywords: Seid. Al-Sistani, Iraq, State, Security, Elections.

المقدِّمة

إنَّ الأهميَّة الكبيرة التي تحظى بها المرجعيَّة المباركة جعلت منها تلعب أدوارًا كبيرة على الساحة السياسيَّة والاجتماعيَّة العراقيَّة، ففي الوقت الذي هي حافظة للأمن بفتواها المباركة، كما هي ناصحة للحكومة في بعض الخطوات، وهذا ما رأيناه في أوقات المظاهرات من خلال الخطب المباركة.

إنَّ المرجعيَّة الدينيَّة أسهمت وبصورةٍ كبيرةٍ في حفظ البلاد من الانزلاق لاسيَّما في عام ٢٠١٩ عندما حدثت تظاهرات تشرين، وقد قدمت النصح عبر منبر الجمعة، وقد تم تقديم استقالة الحكومة واختيار قانون انتخابات جديد كان السبب في أن يهدأ الشارع العراقيَّة، وتعدَّى دور المرجعيَّة ذلك في توجيه المجتمع إلى الانتخابات وحثَّهم عليها، وتحديد اختياراتهم بعناية شديدة.

أهميَّة البحث

تتركَّز أهميَّة البحث في تسليط الضوء على دور المرجعيَّة المباركة في الساحة العراقيَّة، وما كان لهذا الدور من نتائج حقيقية وملموسة.

إشكاليَّة البحث

إنَّ إشكاليَّة البحث تدور حول التساؤلات الآتية:

١. ما هي الأسس الأمنيَّة عنده المرجعيَّة في الحفاظ على الدَّولة؟

٢. ما هي الأسس السياسيَّة والاجتماعيَّة؟

٣. ما هو نتائج دور المرجعيَّة في الدَّولة؟

فرضيَّة البحث

تفترض الدراسة أنَّ المرجعيَّة الدينيَّة في العراق كانت وما زالت صمام الأمان لهذا البلد.

منهجيَّة البحث

من خلال هذا البحث سوف يتم استخدام منهج التحليل النظمي؛ لأنَّ الدراسة تتمثَّل في وجود مجموعة من المدخلات والمخرجات، وهذه المدخلات تمثَّلت بدور سماحة السيِّد السيستاني والمخرجات النتائج التي تحقَّقت بدوره، فضلًا عن استخدام المنهج الوصفي من أجل وصف الظاهرة المدروسة بمواقفها.

أهداف البحث: يهدف البحث إلى تحقيق الأمور الآتية:

١. تبيان حقيقة السيِّد السيستاني (دام ظله) في إسناد بناء الدَّولة.

٢. تسليط الضوء على أن تكون الدَّولة هي الأساس في التصدِّي إلى المخاطر.

٣. تنأوَّل مواقف ورؤى المرجعيَّة الدينيَّة العليا في التعامل مع الظروف على أساس وطني.

التمهيد: السيِّد السيستاني

ولد سماحته في التاسع من شهر ربيع الأوَّل عام ١٣٤٩ للهجرة في المشهد الرضوي الشريف في أسرة علمية معروفة، فوالده هو العالم المقدَّس (السيِّد محمَّد باقر) ووالدته هي العلويَّة الجليلة، كريمة العلَّامة (المرحوم السيِّد رضا المهرباني السرابي)، وجدّه الأدنى هو العالم الجليل (السيِّد علي) انخرط السيِّد علي في الدراسة العلميَّة منذ صباه في مدينة مشهد، فأكمل الأوَّليات، ثمَّ درس العلوم العربيَّة بعدها وهو في العاشرة من عمره، فدرس النحو والبلاغة والبيان عند أساتذة أفاضل، والمسائل الفقهيَّة الأولى على العلَّامة هاشم القزويني، ثمَّ درس المعارف الإلهيَّة عند الميرزا مهدي الأصفهاني وعلومًا أخرى وآدابًا وشعرًا ولغة، وأتقنها وهو لم يتجاوز العشرين من عمره، متوجًا بإجازات أساتذته آلت إليه المرجعيَّة[1].

لقد برز السيِّد السيستاني (دام ظلَّه) في بحوث أساتذته بتفوق بالغ على أقرانه؛ وذلك في قوَّة الإشكال وسرعة البديهة، وكثرة التحقيق والتتبُّع ومواصلة النشاط العلمي وإلمامه بكثير من النظريَّات في مختلف الحقول العلميَّة الحوزويَّة، وممَّا يشهد على ذلك أنَّه منح من بين زملائه وأقرانه في عام ١٩٦٠ وهو في الحادية والثلاثين من عمره ـ (شهادة الاجتهاد المطلق) من قبل أستاذيه السيِّد الخوئي (قدّس سرّه)، والشيخ الحلي (قدّس سرّه)، ولم يمنح السيِّد الخوئي شهادة الاجتهاد إلَّا للنادر من تلامذته منهم: سيِّدنا الأستاذ وآية الله الشيخ علي الفلسفي من مشاهير علماء مشهد المقدَّسة، ولم يمنح الشيخ الحلي إجازة الاجتهاد المطلق لغيره (دام ظلّه)، وقد كتب له أيضًا شيخ محدِّثي عصره العلَّامة الشيخ آغا برزك الطهراني (قدّس سرّه) شهادة يطري فيها على مهارته في علمي الرجال والحديث، وهي مؤرَّخة كذلك في عام ١٣٨٠ هـ/ ١٩٦٠م[٢].

المبحث الأوَّل: الأسس الأمنيَّة في حفظ الدَّولة

وضعت المرجعيَّة بعد عام ٢٠١٤ ولغاية عام ٢٠٢٠ بعض الأسس التي ظهرت على أرض الواقع كحائط صدٍّ عن البلاد، ويمكن أن نتعرَّف على ذلك من خلال الآتي:

المطلب الأوَّل: إصدار فتوى الدفاع الكفائي

عقب مرحلة أفغانستان برز (الجهاد النكائي) أو جهاد النكاية[٣]*، أو ما أطلق عليه بن لادن (قاعدة الجهاد)، وأطلقت عليه الجماعة الإسلاميَّة وتنظيم الجهاد (دفع الصائل)، بعد بروز العولمة، ثمَّ الاحتلال الأمريكي للعراق، أسهم في ظهور ما يسمَّى بـ (الجهاد التضامني)، وظهور الشبكات الجهاديَّة، الذي بدأ بربط التنظيمات المحليَّة بتنظيمات مماثلة إقليميَّة دمجت كل الأبعاد من قتال العدو القريب إلى البعيد، لأوَّل مرَّة في هذه المرحلة ظهرت تنظيمات

تريد حرب العالم أجمع في وقتٍ واحد، ففي الوقت الذى أصرَّت فيه قيادة القاعدة على أولوية قتال العدو كان على تلك التنظيمات في هذه المرحلة التي تريد التمكين أن تقوم بتقويض الأنظمة، وأن تطرح بدائل مناسبة لها، وهذا هو ما نجحت فيه داعش وحدها، التي دمجت بين الفقه السلطاني الوهابي القديم، مع شكل الدَّولة الحديثة، وأنتجت أنموذجًا هجينًا وغريبًا، وهو أنموذج الخلافة، فيما ظلَّ تنظيم القاعدة يستهدف تقويض الدول الغربيَّة من دون طرح بدائل محددة. شكل أنموذج داعش، نقطة جاذبة جمعت آلاف المسلحين والمقاتلين[٤].

وقد برزت "الدَّولة الإسلاميَّة في العراق والشام" التي تسمَّى "داعش"، بعد عام ٢٠١٣ عملت هذه الجماعات في السيطرة على بعض المناطق واسعة من العراق بعد عام ٢٠١٤ وصلت إلى ثلث مساحة العراق، وقد احتلَّت هذه الجماعات كل الموصل وبعض الأراضي من الأنبار وصلاح الدين وديالى، وقد بلغ عدد الضحايا في العراق في عام ٢٠١٤ (٢٠ألفًا و١٦٩)، وعام ٢٠١٥ بلغ (١٧ ألفًا و٥٠٢)، أمَّا عام ٢٠١٦ فقد بلغ (٧ آلاف و٩٥٤) بحسب تقرير للجنة الدائمة في الأمم المتحدة في العراق يونامي، وقد تميَّزت هذه المرحلة بسيطرة الجماعات المسلحة المتطرفة على مساحات واسعة من الأراضي وتوغلها في بعض المدن، الأمر الذي أدَّى نزوح الألف من الأماكن المحتلة، ويعدُّ انسحاب الجيش من المحافظات الغربيَّة والشماليَّة التحدِّي الأبرز الذي سمح بتمرُّد تلك الجماعات بالسيطرة على تلك المدن ممَّا مثَّل تحدِّي أكبر يقع على المستوى الأمني الداخلي العراقي[٥].

وداعش هو تنظيم مسلح إرهابي يدَّعي أنَّه يتبنَّى الفكر السلفي الجهادي (التكفيري)، ويدَّعي المنضمون إليه أنَّه يهدف إلى إعادة ما يسمُّوه "الخلافة الإسلاميَّة وتطبيق الشريعة"، يتَّخذ من العراق وسوريا مسرحا لعمليَّاته

وجرائمه[٦]، وقد شكل أنموذج داعش، نقطة جاذبة جمعت آلاف المسلِّحين والمقاتلين، على سبيل المثال، حين سئل مقاتل أجنبي في الرقة: "لماذا لا ينخرط في الجهاد في موطنه؟ أجاب: "لأنَّ الدَّولة الإسلاميَّة الحقيقيَّة موجودة هنا"، سار داعش باستراتيجيَّة واضحة استغل فيها الإعلام والدعاية ومواقع التواصل وإن كان خطابه وحشيًّا أحيانًا، ومغريًا بالمال في أحيان أخرى[٧].

بعد يومين من توسُّع داعش وفي ١٣ حزيران من ٢٠١٤م، أعلن المرجع السيستاني عن فتوى (الدفاع الكفائي)، وقد تجاوزت قوات الحشد الجيش العراقي نفسه[٨] بوصفه نتيجةً لفتوى الدفاع الكفائي التي أطلقها المرجع الشيعي في أعقاب السيطرة المسلحة على محافظة نينوى[٩]، وأصدرت المرجعيَّة الدينيَّة في النجف فتوى (الدفاع الكفائي) خلال خطبة جمعة ١٣ يونيو/ حزيران ٢٠١٤ التي أعلنها ممثَّل المرجع الشيعي الأعلى علي السيستاني بكربلاء، عبد المهدي الكربلائي، وتضمَّنت الخطبة تمهيدًا للفتوى الشرعيَّة بدعوة "المواطنين الذين يتمكنون من حمل السلاح ومقاتلة الإرهابيين دفاعًا عن بلدهم وشعبهم ومقدَّساتهم عليهم التطوع للانخراط في القوات الأمنيَّة"، وأنَّ هذا الدفاع عن "الوطن وأهله، وأعراض مواطنيه، واجب على المواطنين بالوجوب الكفائي[١٠].

وكانت الفتوى موجهة إلى كل من هو قادر على حمل السلاح للدفاع عن الأرض والمقدَّسات واجبًا كفائيًا، ولم تكن موجهة إلى الشيعة فقط؛ بل إلى السنَّة أيضًا؛ لأنَّ المناطق التي احتلها داعش ذات أغلبيَّة سنيَّة، وعلى الرغم من أنَّ الفتوى كانت دفاعًا كفائيًا أي الاكتفاء بعدد يحقق الغرض المطلوب، إلَّا أنَّه استجاب حوالي مليونين ونصف مليون متطوع، وقد كانت تلك الاستجابة السريعة صدمة عنيفة لداعش[١١].

وتحولت مدرسه المرجع الأعلى من الاستشارة والحكمة والإرشاد إلى التبنِّي والعمل السياسي وبخاصَّة في قضايا الدفاع عن المذهب وأهله، هذه المدرسة

السيستانيَّة الجديدة هي دفاعيَّة جهاديَّة تنتظر الأطروحة المتكاملة في شكل العمل الديني والسياسي التي سوف تتبلور وتظهر بمرور الزمن بفعل الظروف التي تمرُّ بالعراق، ظهر بعد إعلان فتوى الدفاع الكفائي عبر الأمور التالية[١٢]:

١. الفتوى تشخص خطر وجودي على العراق في كيانه الاجتماعي ووحدته القانونيَّة، وهي الدَّولة.

٢. الفتوى تشخص خطر بنيوي هدد المجتمع بعد تهديم أجهزة الردع في الدَّولة.

٣. الفتوى توجه بالدفاع عن الوطن بوصفه مفهومًا جامعًا لكلِّ المواطنين وأهل هذا الوطن المتعدد الاتجاهات كلهم مستهدفون بهذا الخطر الوجودي.

٤. الفتوى تدعو للدفاع عن قضايا شخصيَّة للمواطنين كهتك الأعراض من المعتدين الدواعش.

٥. الفتوى توجب الدفاع على كلِّ المواطنين وليس الشيعة فقط أو مقلِّدي المرجع السيستاني.

٦. الفتوى تختصر الوجوب بوصفه دفعيًّا محدِّدًا بهدف دفع الأعداء بأقلِّ التضحيات؛ لتحرير الأراضي وصيانة الأعراض وحماية الممتلكات.

المطلب الثاني: تحصين الدفاع الكفائي

بسبب دور المرجعيَّة الراسخ في العراق وحرصًا منها على أن يسوده الأمن والأمان؛ لذا فقد كانت المرجعيَّة قريبة جدًّا من كلِّ الأحداث التي تصيب البلاد، وهذا ما رأيناها في كثير من البيانات والخطب التي كانت ترسل فيها رسائل كثيرة، وفي مرحلة الحرب على داعش ظهرت المرجعيَّة وكأنَّها في رحم هذه الأزمة، وقد اتَّخذت مواقف تدعم بناء الدَّولة وتراعي حقوق الإنسان الذي يمكن أن نراه من الآتي:

أوَّلًا: حصر دعوة التطوع

لقد كانت للفتوى المباركة الدور في صدِّ العدوان التكفيري على العراق، وقد عملت المرجعيَّة الدينيَّة على توضيح ما جاء في الفتوى وعبر منابر مختلفة بفتاوى هدفت من خلالها ترسيخ المبادئ الأساسيَّة لحقوق الإنسان منها:

١. أنَّ الغاية الأساسيَّة كانت لغرض حماية العراقيين من مختلف الطوائف والأعراق، وحماية أعراضهم ومقدَّساتهم من الإرهابيين الغرباء، ومن هنا نؤكِّد على الجميع ضرورة الالتزام التام والصارم برعاية حقوق المواطنين جميعًا، وعدم التجاوز على أيّ مواطنٍ بريءٍ مهما كان انتماؤه المذهبي أو العرقي وأيًا كان موقفه السياسي، ونذكِّر الجميع بما قاله النبي المصطفى ﷺ في حجَّة الوداع عندما خاطب الناس بقوله: ((ألا وإنَّ دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا، ألا ليبلغ الشاهد الغائب))، وبقوله ﷺ: ((من أعان على قتل مسلم بشطر كلمة لقى الله عزَّ وجلَّ يوم القيامة مكتوب بين عينيه: آيس من رحمة الله)) فالحذر الحذر من التسبُّب في إراقة قطرة دم إنسانٍ بريءٍ، أو التعدِّي على شيء من أمواله وممتلكاته[١٣].

٢. أنَّ هذه الدعوة كانت موجَّهة إلى جميع المواطنين من غير اختصاص بطائفةٍ دون أخرى؛ إذ كان الهدف منها هو الاستعداد والتهيؤ لمواجهة الجماعة التكفيريَّة المسَّماة بداعش التي أصبح لها اليد العليا والحضور الأقوى فيما يجري في محافظات عدَّة، وقد أعلنت بكلِّ صراحة ووضوح أنَّها تستهدف بقيَّة المحافظات العراقيَّة حتَّى مثل النجف الأشرف وكربلاء المقدَّسة كما أعلنت بكلِّ صراحةٍ أنَّها تستهدف كلَّ ما تصل إليه يدها من مراقد الأنبياء والأئمَّة والصحابة والصالحين فضلًا عن معابد غير المسلمين من الكنائس وغيرها، فهي إذًا تستهدف مقدَّسات جميع العراقيين بلا اختلاف بين أديانهم ومذاهبهم

كما تستهدف بالقتل والتنكيل كل من لا يوافقها في الرأي ولا يخضع لسلطتها حتَّى من يشترك معها في الدين والمذهب[١٤].

ثانيًا: الدعوة لإسراع تشكيل حكومة

كثيرًا ما كانت المرجعيَّة ترسل الرسائل الخاصَّة بتشكل الحكومة عبر منبر الجمعة، وقد وضحت في أحد الخطب على أنَّ التباطؤ يعرض البلد إلى المشاكل، وقد جاء في نصِّ الخطبة: إنَّ الإسراع في تشكيل الحكومة الجديدة وفقًا للأطر الدستوريَّة مع رعاية أن تحظى بقبولٍ وطنيٍّ واسعٍ في غاية الأهميَّة، كما أنَّ من المهم أن يكون الرؤساء الثلاثة منسجمين فيما بينهم في وضع السياسات العامَّة لإدارة البلد، وقادرين على العمل سويَّةً في حلِّ المشاكل التي تعصف به، وفي تدارك الأخطاء الماضية التي أصبح لها تداعيات خطيرة على مستقبل العراقيين جميعًا، إنَّ الجهود المبذولة في رعايتهم والتخفيف من معاناتهم لا تزال دون المستوى المطلوب. إنَّ الحكومة الاتحاديَّة تتحمَّل مسؤوليَّة كبيرة تجاه هؤلاء المهجَّرين والنازحين، وأنَّ حكومة إقليم كردستان والمنظَّمات الدوليَّة مدعوَّة إلى بذل المزيد من الاهتمام بهم[١٥].

ثالثًا: الاهتمام بالنازحين

وخصَّصت المرجعيَّة الدينيَّة من اهتماماتها بالنازحين من المناطق التي استهدفها تنظيم داعش كمحافظة نينوى، ومحافظة الأنبار، وديالى، وصلاح الدين، وغيرها في إطار تخفيف من معاناتهم، وتوفير من مستلزمات العيش، والصحة، أشار ممثِّل المرجعيَّة الدينيَّة العليا في كربلاء المقدَّسة الشيخ عبد المهدي الكربلائي في خطبة الجمعة المصادف الخامس والعشرين من تموز/ يوليو ٢٠١٤ تأكيد المرجعيَّة الدينيَّة العليا بالنجف الأشرف على الجهات المعنيَّة من دوائر الدَّولة، والمنظَّمات الدوليَّة، والمحليَّة للاهتمام أكثر بمسألة العناية الطبيَّة بالنازحين؛ إذ خلَّفت رحلة النزوح لديهم خصوصًا مع هذه الظروف الصعبة، من شدَّة الحر، وعدم توفر

العناية الطبية إلى إصابة كثير من الأطفال، وكبار السن بحالات مرضيَّة أدَّت إلى وفاة كثير منهم، وأكَّدت المرجعيَّة الدينيَّة العليا في خطبة الجمعة ليوم العاشر من تشرين الأوَّل/ أكتوبر ٢٠١٤ التي ألقاها ممثِّل المرجع السيستاني السيِّد أحمد الصافي ضرورة دعم النازحين بالقول ((على الحكومة الإسراع في توفير أماكن مناسبة للنازحين، ولاسيَّما أن البعض منهم سكنوا في المدارس، والحسينيَّات، وأصبحوا يطالبون بإخلائها لحلول الموسم الدراسي، واقتراب موسم عاشوراء " داعيًا الدَّولة أن تعطي هذا الموضوع أولويَّة))[١٦].

لم يتوقف سماحة السيِّد في ترصين الدفاع الكفائي وإنَّما ذهب إلى دعم القوات الأمنيَّة، وقال إنَّ منتسبي القوات المسلحة أمام مسؤوليَّة تاريخيَّة ووطنيَّة وشرعيَّة، وخاطبهم قائلًا: اجعلوا قصدكم ونيَّتكم ودافعكم هي الدفاع عن حرمات: العراق ووحدته وحفظ الأمن للمواطنين وصيانة المقدَّسات من آلهتك، ودفع الشر عن هذا البلد المظلوم وشعبه الجريح. والمرجعيَّة تحثُّكم على التحلِّي بالشجاعة والبسالة والثبات والصبر. وإنَّ من يضحي منكم في سبيل الدفاع عن بلده وأهله وأعراضهم، فإنَّه يكون شهيدًا إن شاء الله تعالى، والمطلوب أن يحثَّ الأب ابنه والأم ابنها والزوجة زوجها على الصمود والثبات؛ دفاعًا عن حرمات هذا البلد ومواطنيه"[١٧].

إنَّ عظمة الشهادة هو كبير، وما قام به المرجع الأعلى أخذ يدفع المقاتلين إلى الدفاع والتضحية عن هذا البلد وتقديم الغالي والنفيس لأجله.

المبحث الثاني: الأسس الاجتماعيَّة السياسيَّة

إنَّ مرجعيَّة السيِّد دام ظله هدفها البناء، والبناء بحاجة إلى كثير، وقد استثمرت المرجعيَّة الشارع نفسها؛ لتمده بما يُسهم من بناء الدَّولة، فقد عملت على الحفاظ على التظاهرات السلميَّة؛ فضلًا عن حثِّ النَّاس على الانتخاب، ففي الوقت الذي كانت تنادي بالسلميَّة وعدم التعرُّض للقوات الأمنيَّة، كانت تحثُّ النَّاس على التغيير الذي لابدَّ منه، وسنتعرف على ذلك بالآتي:

المطلب الأوَّل: التظاهرات

أدَّت المرجعيَّة الدينيَّة في النجف الأشرف دورًا كبيرًا في رسم ملامح النظام السياسي العراقي بعد عام ٢٠٠٣ على الرغم من عدم تدخلها بصورة مباشرة في العمل السياسي، إلَّا بعض المواقف التي اتَّخذتها كانت كفيلة أن تكون نقطة انطلاق، فمنذ اللحظة الأولى كان هدف الاحتلال الأمريكي، اختيار زعماء من العراق موالين للولايات المتحدة من خلال نظام آخر غير النظام الديموقراطي للأحزاب، وتدفعهم في التصدِّي لمهمَّة إدارة البلد، إلَّا تصدِّي المرجع الأعلى بدعوته الانتخابات، واختيار ممثِّلي عن الشعب بالطرق الديمقراطيَّة ضربة كبيرة للأمريكان.

لذا وعلى مرِّ الأعوام كانت المرجعيَّة الدينيَّة الحصن الحصين والسد المنيع أمام كلِّ المؤامرات التي تحاك ضد البلد، وفي المرحلة من عام ٢٠١٤_٢٠٢٠ حدثت تظاهرات عدَّة كانت أبرزهم وأكثرهم اهتمام، تظاهرات تشرين ٢٠١٩ الذي كانت بدايتها هي ضرب حملة الشهادات العليا المطالبين بفرص عمل بالماء الحار والهراوات، في الوقت الذي كان الفساد ينخر جسد البلد، فكانت هذه الخطوة هي البداية في تظاهرات تشرين[١٨].

لم تقف المرجعيَّة الدينيَّة في الحفاظ على الأمن الوطني العراقي عند الحرب على عصاب داعش فحسب؛ وإنَّما ذهبت أبعد من ذلك عند بدء تظاهرات تشرين ٢٠١٩ وما تعرَّضت له الشباب من اعتداء، وفي أوَّل بيان أصدرته المرجعيَّة الدينيَّة بصدد المظاهرات أعربت عن رفضها وإدانتها للاعتداءات على المتظاهرين السلميين وعلى القوات الأمنيَّة والممتلكات العامَّة والخاصَّة، ووصفت أعمال الشغب والصدامات الدامية أنَّها شبيهة بما حصل في الأعوام السابقة بما تضمَّنته من مشاهد مؤلمة ومؤسفة جدًا[١٩]، ويمكن إجمال بيانات المرجعيَّة الدينيَّة في الحفاظ على الأمن الوطني العراقي من خلال الجدول رقم(٢).

جدول رقم(٢) بيانات المرجعيَّة الدينيَّة في أوقات تظاهرات تشرين ٢٠١٩_٢٠٢٠

البيانات	التاريخ	هدف البيانات
البيان الأوَّل	الجمعة ٢٠١٩/١٠/٤	أوَّل بيان أصدرت المرجعيَّة أعربت عن رفضها وإدانتها للاعتداءات على المتظاهرين السلميين.
البيان الثاني	الجمعة ٢٠١٩/١٠/١١	تأكيدها على إدانتها الاعتداءات المتبادلة وأدانت حرق وإتلاف مؤسَّسات الدَّولة.
البيان الثالث	الجمعة ٢٠١٩/١٠/٢٥	الدعوة إلى السلمية وعدم الانجرار إلى العنف وأعمال الشغب.
البيان الرابع	الجمعة ٢٠١٩/١١/١	ندَّدت المرجعيَّة بما حصل بين المتظاهرين والمعتصمين ورجال الأمن، ووصفت الدماء التي سالت أنَّها غالية، دعت إلى عدم انزلاق البلد إلى الهاوية.
البيان الخامس	الجمعة ٢٠١٩/١١/٨	الثناء على المتظاهرين ودعت القوى إلى استجابة للمطالب، والمتظاهرين التمسك بالسلمية.
البيان السادس	الجمعة ٢٠١٩/١١/١٥	وضَّحت موقفها الراسخ من المظاهرات، مساندة الاحتجاجات، والتأكيد على سلميَّتها، ذكرت الحكومة أنَّها تستمد شرعيَّتها من الشعب، وأنَّها إلى الآن لم تطبق ما وعد به للمتظاهرين.
البيان السابع	الجمعة ٢٠١٩/١١/٢٢	أكَّدت موقفها من السلميَّة، والعنف والتخريب والتشدد على حرمة الدم العراقي، والتأكيد على ما جاء في الخطب السابقة.
البيان الثامن	الجمعة ٢٠١٩/١١/٢٩	تتابع المرجعيَّة ببالغ الأسى والأسف أنباء الصدامات الأخيرة، في الناصرية والنجف من إراقة دماء، أكَّدت على حرمة الاعتداء على المتظاهرين والأموال العامَّة والخاصَّة.
البيان التاسع	الجمعة ٢٠١٩/١٢/٦	أكَّدت على الحراك الشعبي، وتوسعه في تحقيق المطالب، والشرط الأساس هو السلميَّة وعدم الانجرار إلى العنف والفوضى.

البيان العاشر	الجمعة ١٣/ ١٢/ ٢٠١٩	استذكرت الانتصار على داعش ودور العراقيون فيه، وأكَّدت ضرورة بناء القوات المسلحة على وفق منهج رصين لحماية الوطن والدفاع عنه.
البيان الحادي عشر	الجمعة ٢٠/ ١٢/ ٢٠١٩	أشارت المرجعين إلى أمرين هامَّين: الأوَّل تعرُّض بعض فاعلين المتظاهرات إلى القتل، الآخر إجبار العديد من الدوائر الحكوميَّة إلى غلق أبوابها، وعرجت على قانون الانتخابات وعرقلته.
البيان الثاني عشر	الجمعة ٣/ ١/ ٢٠٢٠	نص بيان" استنكرت الاعتداء على المقاتلين في مدينة الاعتداء بالقرب من المطار واستشهاد قادة النصر على داعش"
البيان الثالث عشر	الجمعة ١٠/ ١/ ٢٠٢٠	أشارت إلى التعاون والتكاتف، وبيَّنت الاعتداءات المتكرِّرة على سيادة البلد وضعف السلطات المعنيَّة بحماية البلد هو جزء من الأزمة.
البيان الرابع عشر	الجمعة ٢٤/ ١/ ٢٠٢٠	بيَّنت المرجعيَّة ثلاث نقاط، أوَّلها احترام سيادة العراق واستقلاله، ثانيًا تنفيذ إصلاحات حقيقية طالب الشعب بها، ثالثًا تشكيل حكومة جديدة، واختتمت بأنَّ الفرقاء العراقيين أن يعوا حجم الخطر.
البيان الخامس عشر	الجمعة ٣١/ ١/ ٢٠٢٠	بدأت بالحراك الذي بدأ قبل أربعة أشهر، وأكَّدت إدانتها للعنف والخطف وفض التظاهرات واستمرار الأزمة ليس من مصلحة البلد والرجوع إلى الصناديق هو الخيار.
البيان السادس عشر	الجمعة ٧/ ٢/ ٢٠٢٠	نددت المرجعيَّة بأمرين الأوَّل: على الرَّغم من نداءاتها ضد العنف إلَّا أنَّ الموضوع ما زال قائم، والآخر حدَّدت في خطب سابقة المخرج لهذه الأزمة، والحكومة الجديدة هي الحل.

المصدر: من إعداد الباحث بالاعتماد على

- نص الخطبة الثانية التي ألقاها ممثِّل المرجعيَّة الدينيَّة العليا فضيلة العلَّامة السيِّد أحمد الصافي في يوم الجمعة (١٧/ ربيع الأوَّل/ ١٤٤١هـ) الموافق (١٥/ ١١/ ٢٠١٩).
- العتبة الحسينيَّة المقدَّسة، خطب الجمعة، ٢٠١٩-٢٠٢٠، الرابط:

https://2u.pw/SbRCT

- قاسم حسين صالح، الحاكم والمحكوم في العالم العربي: تحليل نفسي-اجتماعي للسلطة وفلسفتها في المجتمعات العربيَّة، دار رسلان للطباعة، ٢٠٢٣، ص١٦٥.
- شبكة الكفيل، خطب الجمعة، الرابط:

https://2u.pw/77X4y

- حيدر محمَّد وعلي لفتة، دور المرجعيَّة في مظاهرات تشرين، المركز الإسلامي للدراسات الاستراتيجيَّة، النجف، ٢٠٢١، صفحات مختلفة.

من خلال ما تقدم يتَّضح أنَّ المرجعيَّة الدينيَّة كانت وما زالت هي صمام الأمان والحافظة للأمن، وهي الحل في وقت تقف فيه الحلول، لذا كانت وما زالت مصلحة هذا البلد هي على سلم أوليَّاتها، وأمنها هو الأساس في مخرجاتها، ويرى الباحث أنَّ العمل بخطب المرجعيَّة يسهم في خلاص البلد من المحن الكثيرة التي يعاني منها، وأنَّ الاحتكام إلى توجيهاتها هو الفعل الصائب.

وقالت بعثة الأمم المتحدة لمساعدة العراق (يونامي) إنَّ الاحتجاجات التي يشهدها العراق تواجه انتهاكات وخروقات جسيمة لحقوق الإنسان، وأكَّدت البعثة في تقريرها الثاني لمتابعة الاحتجاجات في العراق استمرار وقوع انتهاكات وخروقات جسيمة لحقوق الإنسان في أثناء موجة المظاهرات التي اجتاحت العراق مؤخرًا، وأشار التقرير المنشور على الحساب الرسمي

للأمم المتحدة على "فيسبوك" إلى أنَّ العنف المرتبط بالمظاهرات في المدَّة من ٢٥ تشرين الأوَّل/ أكتوبر إلى ٤ تشرين الثاني/ نوفمبر ٢٠١٩م قد تسبَّب في مقتل ٩٧ شخصًا آخرين وإصابة الآلاف، وأضاف التقرير ... على الرغم من إبداء قوات الأمن العراقيَّة المزيد من ضبط النفس عما كانت عليه في احتجاجات أوائل شهر تشرين الأوَّل / أكتوبر ٢٠١٩م خاصَّة في بغداد إلَّا أنَّ الاستخدام غير المشروع للأسلحة الفتاكة والأقل فتكًا من جانب قوات الأمن والعناصر المسلحة يستدعي اهتمامًا عاجلًا، وقالت الممثِّلة الخاصَّة للأمين العام في العراق "جينين هينيس بلاسخارت" إنَّ هذا التقرير[٢٠].

وقد واجه العراق كثير من التحديات على مستوى ملف حقوق الإنسان والالتزامات الدوليَّة الموقعة معه، سيَّما بعد خسارتنا لعضويَّة مجلس حقوق الإنسان في منظَّمة الأمم المتحدة، بسبب تضييق الحكومة العراقيَّة على حريَّة الرأي العام وقمعها للمظاهرات ٦ تشرين الأوَّل ٢٠١٩[٢١].

من خلال ما تقدَّم يتَّضح أنَّ المرجعيَّة الدينيَّة قد دعت إلى السلميَّة في المظاهرات وعبر منابر كثيرة من الجمعة نادت بالسلميَّة في الوقت نفسه إشارات إلى عمليات القتل والخطف الذي يحدث للمتظاهرين، وقد تحقَّق كثير ممَّا أكَّده هذا البيان منها استقالتها حكومة رئيس الوزراء السابق عادل عبد المهدي، واختيار قانون انتخابات مجلس النواب رقم ٩ لسنة ٢٠٢٠، لذا إنَّ أيَّ عمل يقوم به سماحة السيِّد المبارك فيمكن أن يتحقق بصورة مباشرة في العراق لاسيَّما إذا كان هنالك ضغط جماهيري على الحكومة.

المطلب الثاني: حث المجتمع على المشاركة في الانتخابات

إنَّ للسيِّد السيستاني دورًا كبيرًا بإتقان وكفاءة في الانتخابات، وأنَّ الدور الذي يقوم به يتجاوز أدوار المراجع الدينيَّة التي سبقته بحيث صارت الكلمة

التي تخرج من مقرِّه محدِّدًا أساسيًّا للخطوات التي تسير عليها كثير من القوى السياسيَّة، علاوة على الملايين من أتباعه، وقد تحقَّقت مطالب المرجع الأعلى بعد أقلِّ من عامين من الاحتلال، وقد كان لفتوى المرجع الأعلى الدور الأكبر في نجاح الانتخابات البرلمانيَّة في المنطقتين: الوسطى والجنوبية، وفي ٣٠ كانون الثاني ٢٠٠٥ توجه ملايين العراقيين إلى صناديق الاقتراع[٢٢].

أوَّلًا: انتخابات عام ٢٠١٤

دعت المرجعيَّة الدينيَّة العليا الناخبَ العراقيّ إلى المشاركة الواسعة في الانتخابات واختيار الأصلح على وفق المعايير، مطالبةً القوائم المرشحة للانتخابات وضع حلول جِدّية لمسألة الفقر ضمن برنامجهم الانتخابي والعمل عليه، جاء هذا في خطبة الجمعة الثانية الجمعة (١٨ جمادى الآخرة ١٤٣٥هـ) الموافق لـ(١٨ نيسان ٢٠١٤م) التي أُقيمت في الصحن الحسيني الشريف بإمامة الشيخ عبد المهدي الكربلائي؛ إذ تطرَّق فيها إلى أمرين:

الأوَّل: يتعلَّق بالانتخابات؛ إذ بيَّن: "نودّ أن نؤكّد ما ذكرناه سابقًا في ظلّ الأوضاع الحاليَّة التي يمرُّ بها البلد، فهناك حاجة ضروريَّة وماسَّة لإحداث التغيير نحو الأفضل، وأن نرسم مستقبلًا مشرقًا لنا ولأولادنا، وهذا التغيير الذي نحن بأمسِّ الحاجة إليه لا يتحقَّق إلَّا بأيديكم أيُّها الأخوة المواطنون، وهو مسؤوليتكم جميعًا". وقد حدَّدت المرجعيَّة من خلال هذه الخطبة نقاط مهمة عدَّة منها [٢٣]:

١. أنَّ التغيير يتحقَّق بالمشاركة الواسعة الواعية في الانتخابات والمبنيَّة على المعايير الصحيحة التي وجَّهت إليها المرجعيَّة الدينيَّة العليا".

٢. أنَّ هذا التغيير نحو الأفضل من الممكن أن نحقِّقه؛ ولكن نحتاج إلى الإرادة نحو التغيير، وهذه الإرادة يجب أن تُبنى على وجود أمل.

٣. أيُّها المواطنون بأيديكم التغيير، فكيف ستختارون وكيف ستنتخبون مَنْ

ستنتخبون؟ وعلى أيِّ معايير تعتمدون، وهل هذه هي المعايير الصحيَّة التي وجَّهت إليها المرجعيَّة الدينيَّة العليا، أم معايير تعتمد على الانتماء العشائري والارتباط العاطفي والفئوي وغيرها من المعايير الخاطئة".

٤. صلاح مجلس النواب القادم والحكومة مبنيٌّ على كيفيَّة اختياركم، فكيفما ستنتخبون سيُولَّى عليكم، والمواطن حينما يبحث ويدقّق سيصل".

٥. لا وجود للحيرة اسأل وابحث وفتِّشْ، فإن لم تجد اسأل الأخيار من أهل الخبرة والعقل والحكمة والرأي، مَنْ مِنْ هؤلاء يصلح أن يكون عضوًا في مجلس النواب القادم والحكومة القادمة؟.

من خلال ما تقدَّم يتَّضح أنَّ المرجعيَّة الدينيَّة عملت على تحفيز الشارع العراقي على المشاركة؛ لكنَّها لم تلزمه في الوقت نفسه، وجهته نحو التغيير من أجل خلق حكومة تسهم في الحد من مشاكل المجتمع، لاسيَّما وأنَّ الشق الثاني من الخطبة كان يتكلَّم عن الفقر ووجود ٦ ملايين شخص تحت خط الفقر.

ثانيًا: انتخابات عام ٢٠١٨

قبل حدوث الانتخابات البرلمانيَّة لعام ٢٠١٨ وفي ظلِّ الأجواء المضطربة، التي تمثَّلت في الانتصارات المتتالية على داعش الإرهابي، وبداية ظهور مظاهرات بسيطة، أصدر مكتب سماحة السيِّد بيان يعبِّر فيه عن موقف المرجعيَّة مع اقتراب موعد الانتخابات النيابيَّة يسأل كثير من المواطنين الكرام عن موقف المرجعيَّة الدينيَّة العليا عن هذا الحدث السياسي المهم، وبهذا الصدد ينبغي بيان أمور ثلاثة:

أوَّلًا: لقد سعت المرجعيَّة الدينيَّة منذ سقوط النظام الاستبدادي السابق في أن يحَّل مكانه نظامٌ يعتمد التعدُّديَّة السياسيَّة والتداول السلمي للسلطة عبر الرجوع إلى صناديق الاقتراع، في انتخابات دوريَّة حرَّة ونزيهة؛ ولكن من الواضح أنَّ المسار الانتخابي لا يؤدِّي إلى نتائج مرضية إلَّا مع توفُّر شروط

عـدَّة، منهـا[٢٤]:

١. أن يكـون القانـون الانتخـابي عـادلًا يرعـى حرمـة أصـوات الناخبين ولا يسـمح بالالتفـاف عليها.

٢. أن تتنافـس القوائـم الانتخابيَّـة عـلى برامـج اقتصاديَّـة وتعليميَّـة وخدميَّـة قابلـة للتنفيـذ بعيـدًا عـن الشـخصنة، والشـحن القومـي أو الطائفـي والمزايـدات الإعلاميَّـة.

٣. أن يُمنـع التدخـل الخارجـي في أمـر الانتخابـات سـواء بالدعـم المـالي أو غـيره، وتُشـدّد العقوبـة عـلى ذلـك.

٤. وعـي الناخبـين لقيمـة أصواتهـم ودورهـا المهـم في رسـم مسـتقبل البلـد فـلا يمنحونهـا لأنـاسٍ غـير مؤهلـين إزاء ثمـن بخـسٍ ولا اتِّباعًـا للأهـواء والعواطـف أو رعايـةً للمصالـح الشـخصيَّة أو النزعـات القَبليَّـة أو نحوهـا.

ثانيـا: أنَّ المشـاركة في هـذه الانتخابـات حـقٌّ لـكلِّ مواطـن تتوفَّـر فيـه الـشروط القانونيَّـة.

ثالثًـا: أنَّ المرجعيَّـة الدينيَّـة العليـا تؤكِّـد وقوفهـا عـلى مسـافة واحـدة مـن جميـع المرشـحين ومـن كافَّـة القوائـم الانتخابيَّـة.

مـن خـلال قـراءة معمَّقـة للبيـان نجـد أنَّ المرجعيَّـة الدينيَّـة ركَّـزت عـلى أهميَّـة التـداول السـلمي للسـلطة مـن طريـق صناديـق الاقـتراع، وجعلتـه أمـرًا ملزمًـا وضروريًّـا لاسـتقرار العـراق والمحافظـة عـلى مسـتقبله، ودعـت إلى أن يكـون القانـون الانتخـابي عـادلًا ويحافـظ عـلى أصـوات الناخبـين، وأن يكـون التنافـس بـين الكتـل السياسـيَّة عـلى أسـاس تقديـم برامـج خدميَّـة قابلـة للتنفيـذ، وأن تبتعـد تلـك الكتـل عـن الشـحن الطائفـي والقومـي. وبيَّنـت المرجعيَّـة أنَّ مـا حـدث مـن اسـتغلال للسـلطة ونـشر الفسـاد، وهـدر المـال العـام مـا هـو إلَّا نتيجـة طبيعيَّـة لعدم الالتـزام بالـشروط الانتخابيَّـة مـن نزاهـة وحـرص عـلى مصالـح الدَّولـة. ولم تلـزم

المرجعيَّة في بيانها المواطنين بالمشاركة في الانتخابات وإنَّما أوكلت هذا الأمر إلى قناعاتهم ونبهتهم إلى أنَّ هذا الأمر يمنح فرصة لأشخاص غير مؤهلين للفوز بالمقاعد البرلمانيَّة. ونأت المرجعيَّة بنفسها عن دعم أي جهةٍ وأكَّدت أنَّها تقف على مسافةٍ واحدةٍ من الجميع، ودعت المواطنين إلى التأكُّد من السيرة الذاتيَّة للمرشحين ورؤساء قوائمهم، وهي بذلك وضعت صورة ما يجري في البلد أمام المواطنين على الرغم من كلِّ هذه التوجيهات إلَّا أنَّ الكتل السياسيَّة دخلت في صراع جديد من أجل الفوز برئاسة الحكومة، وبعد شد وجذب ومخاض عسير تشكَّلت حكومة جديدة الرابع والعشرين من تشرين الأوَّل ٢٠١٨ عادل عبد المهدي[٢٥].

المبحث الثالث: نتائج دور المرجعيَّة

كانت وما زالت للمرجعيَّة الكلمة الفصل، والكلام المؤثِّر، فهي الذي حمت البلاد بعد أن استحلَّت أرضه، وهي من أسندت المتظاهرين بعد أن تعرَّضوا لأبشع أنواع التهديد والاغتيال وغيرها، وهي من كان لها كلمة النصح والإرشاد وسنتعرَّف على نتائج دور المرجعيَّة من خلال المطالب الآتية:

المطلب الأوَّل: نجاح العمليات الأمنيَّة ودحر داعش

بعد الدور الكبير الذي قدَّمته المرجعيَّة المباركة، أسهم ذلك في دحر تنظيم داعش الإرهابي ونجاح العمليَّات العسكريَّة، لتحرير آخر منطقة في العراق من سيطرة التنظيم، وقد أبلت القوات المشاركة دورًا كبيرًا في هذه العمليَّة، وكانت الحكمة المباركة للمرجعيَّة العليا هي صمام الأمان، وتوجيهاته تصدح في النفوس فكانت الانتصارات تأتي متلاحقة.

أظهرت مشاركة هذه القوات في عمليات المدن استراتيجيَّة عسكريَّة وفكر عالٍ، لذا اتَّسمت العمليَّات العسكريَّة التي شارك فيها الحشد الشعبي مع بقيَّة القوات الأمنيَّة باحترافيَّة عالية ورافقها جهود إنسانيَّة في كثيرٍ من الأحيان لم

تكن موجودة في الحروب، عندما قلَّلت قواتنا من عملياتها، وتقدمها لإجلاء المدنيِّين حتَّى لا يتمكَّن داعش من استخدامهم كدروع بشريَّة. إنَّ وجود الحشد الشعبي ومشاركته القوات الأمنيَّة والجيش العراقي في تحرير الأراضي من سيطرة التنظيم الإرهابي يشكِّل حالة من حالات الضرورة العسكريَّة، والمقاومة الشرعيَّة التي تبرِّر إيقاف العدوان الإرهابي ورده[٢٦].

المطلب الثاني: النتائج المترتبة على التظاهرات

أوَّلا: استقالة الحكومة العراقيَّة

استقالته بعد تصاعد الضغط الشعبي الناتج من التظاهرات المستمرة منذ ١ اكتوبر ٢٠١٩، واستجابةً لدعوة المرجعيَّة الدينيَّة الشيعيَّة، وبعد مقتل أكثر من ٦٠٠ متظاهر وحدوث مجازر عدَّة بحقِّ المحتجين، رفع عادل عبد المهدي إلى مجلس النواب الكتاب الرسمي بطلب الاستقالة من رئاسة الحكومة، وقد جاءت الاستقالة بعد البيان الذي قدمته مرجعيَّة السيِّد دام ظله من خلال منبر الجمعة والذي جاء في أبرزها[٢٧]:

١. تتابع المرجعيَّة الدينيَّة العليا ببالغ الأسى والأسف أنباء الاصطدامات الأخيرة في عدد من المدن ولا سيَّما الناصرية الجريحة والنجف الأشرف.

٢. حرمة الاعتداء على المتظاهرين السلميين ومنعهم من ممارسة حقِّهم في المطالبة بالإصلاح، وتؤكِّد أيضًا على رعاية حرمة الأموال العامَّة والخاصَّة، وضرورة أن لا تترك عرضة لاعتداءات المندسين وأضرابهم.

٣. عجز واضح في تعامل الجهات المعنيَّة مع مستجدات الشهرين الأخيرين بما يحفظ الحقوق ويحقن الدماء، فإنَّ مجلس النواب الذي انبثقت منه الحكومة الراهنة مدعو إلى أن يعيد النظر في خياراته بهذا الشأن ويتصرَّف بما تمليه مصلحة العراق والمحافظة على دماء أبنائه، وتفادي انزلاقه إلى دوامة العنف والفوضى والخراب.

وقد ختم هذا البيان بالعبارة "إنّ المرجعيَّة الدينيَّة ستبقى سندًا للشعب العراقي الكريم، وليس لها إلَّا النصح والإرشاد إلى ما ترى أنَّه في مصلحة الشعب، ويبقى للشعب أن يختار ما يرتئي أنَّه الأصلح لحاضره ومستقبله بلا وصاية لأحد عليه"، وقد نتج عن هذا البيان وبصورة مباشرة، أن نشر رئيس الوزراء الأسبق على منصَّة الفيس بوك وبصفحته الشخصيَّة خبر استقالته بناء على ما تمَّ طرحه في خطبة ٢٩/ ١١/ ٢٠١٩[٢٨].

ثانيًا: تشريع قانون انتخابات مجلس النواب

إنَّ من أهمِّ الأسباب التي دفعت مجلس النواب العراقي على تبنِّي قانون الانتخابات الجديد رقم ٩ لسنة ٢٠٢٠، هو ضغط الشارع وتوجيه سماحة السيِّد مجلس النواب باختيار قانون يحقِّق للشعب العراقي مطامحه من خلال نصِّ بيان الخطبة التي ألقيت في العتبة الحسينية المقدَّسة" وأنَّه مدعوّ إلى الإسراع في إقرار حزمة التشريعات الانتخابيَّة بما يكون مرضيًّا للشعب تمهيدًا لإجراء انتخابات حرَّة ونزيهة تعبِّر نتائجها بصدق عن إرادة الشعب العراقي[٢٩]".

لذا تمَّ اختيار هذا القانون الذي يقوم على أساس الدائرة الانتخابيَّة، كل منطقةٍ محدَّدة خُصِّص لها عدد من المقاعد على وفق أحكام قانون الانتخابات[٣٠]، وحدَّد هذا القانون الكوتا النسائيَّة "ضمن نظام الكوتا تحقيق نسبة مقاعد للنساء لا تقل عن (٢٥٪) خمسة وعشرون بالمائة من المقاعد الكليَّة في مجلس النواب، أي ما لا يقل عن (٨٣) ثلاثة وثمانون مقعدًا من أصل (٣٢٩) ثلاثمائة وتسعة وعشرون مقعدًا، ويضمن أيضًا تحقيق ذات النسبة من عدد أعضاء مجلس النواب في كلِّ محافظة"[٣١]، وتمَّ أيضًا توزيع المقاعد على أساس التواجد فيها وعلة محافظات محدَّدة[٣٢].

وقد كانت نسبة المشاركة في الانتخابات بحسب المفوضيَّة العليا للانتخابات

بلغت ٤٤٪ من أصل أكثر من ٢٢ مليون ناخب يحقُّ لهم الإدلاء بأصواتهم، وتمكَّنت حركة "امتداد" -في أوَّل تجربةٍ انتخابيَّة تخوضها- من الفوز بـ٩ مقاعد، وفازت "إشراقة كانون" بـ٦ مقاعد، وتعد هاتان القوتان من إفرازات الاحتجاجات الشعبيَّة التي شهدها العراق العامين الماضيين[٣٣].

وقد أفرزت هذه الانتخابات تغييرات كبيرة؛ إذ حصل التيار الصدري على النسبة العاليَّة من الأصوات وأتى بعده دولة القانون، وباقي التحالفات، إنَّ ما يهمُّنا هنا هو ليس الأحزاب وماذا حصلت بقدر ما كان لسماحة السيِّد من دور وضغط على القوى السياسيَّة واختيار قانون انتخابي يلبِّي طلبات الشارع العراقي، وهذا ما أسفرت عنه نتائج انتخابات عام ٢٠٢١ النيابيَّة، التي أطاحت بعددٍ كبيرٍ من القوائم، مقابل بروز قوى جديدة على الساحة.

الخاتمة

ممَّا تقدَّم يتَّضح أنَّ مرجعيَّة السيِّد السيستاني دام ظله تمثِّل نبراسًا يضيء في سماء البلد، ونحن بحاجة إلى السيِّد السيستاني؛ لما له من أثرٍ كبيرٍ في الساحة السياسيَّة العراقيَّة وسنتعرَّف على ذلك من الاستنتاجات الآتية:

١. أنَّ سماحة السيِّد لعب دورًا غير مباشر في العراق بعد عام ٢٠٠٣ وما زال، ويتمثَّل هذا الدور في الخطِّ والبيانات التي يصدرها.

٢. تترقَّب جميع الفرق السياسيَّة للبيانات التي تصدر من مكتب سماحته، ويعملون على تطبيقها.

٣. عملت المرجعيَّة للمرحلة من عام ٢٠١٤-٢٠٢٠ على مواضيع عدَّة مهمَّة بعضها كان على الصعيد الأمني والآخر على الصعيد السياسي.

٤. كانت للمرجعيَّة الدور الكبير على الصعيد الأمني بإطلاقها فتوى الدفاع الكفائي، وما تمَّ تلبيته من المحبِّين، في الوقت الذي عملت على أن تُتبع هذه الفتوى ببيانات متعاقبة.

٥. كانت المرجعيَّة الدينيَّة العليا لها الدور على المستوى الأمني والسياسي، وتمثَّل ذلك في توجيه المظاهرات والعمل على المحافظة على سلميَّتها، في الوقت الذي هي تدعو باستمرار للمشاركة الفاعلة بالانتخابات واختيار الشخص المناسب بناء على معايير مهمة.

٦. انعكس دور المرجعيَّة في العراق بحفظه من الانزلاق، فلولا بيان المرجعيَّة والنصح الذي تقدمه إلى الشارع العراقيَّة والحكومة، فقد يكون ذلك مدعاة لتدخل جهات خارجيَّة أو انزلاق البلد إلى أماكن لا نتمنى الوصول إليها.

٧. كانت استجابة الحكومة بالاستقالة، يمثِّل دور صارخ للمرجعيَّة، وتطبيق قانون يلبِّي مصالح الناس يمثِّل دورًا أكبر، الأمر الذي أنتج قانون رقم ٩ لسنة ٢٠٢٠ والخاص بالانتخابات.

التوصيات

١. الحفاظ على المرجعيَّة المباركة.

٢. استلهام الحكم والعبر المباركة منها، من خلال مواقفها الثابتة.

٣. إدخال مواقف المرجعيَّة الدينيَّة العليا في المناهج الدراسية.

٤. إنشاء موقع لتحليل خطب المرجعيَّة ونشرها إلى المجتمع بين حين وآخر.

٥. التركيز على خطب النصح والإرشاد في أوقات الانتخابات.

الهوامش

١-صالح حسن الفضالة، الجوهر العفيف في معرفة النسب النبوي الشريف، دار الكتب العلميَّة، دار الكتب العلميَّة، عمان، ٢٠١٣، ص٤٢٨.

٢-ينظر: السيرة الذاتيَّة، موقع مكتب سماحة مرجع الديني الأعلى السيِّد علي الحسيني السيستاني، الرابط:

https://www.sistani.org/arabic/data/1/

٣- جهاد النكاية: هو جهاد الاستضعاف، أو رد فعل الأمَّة الدفاعي عندما يغيب الهيكل المؤسَّساتي العسكري، ويكون مقصده الاثخان في العدو المتغلب وإيذائه قدر المستطاع: ينظر: ليث مزاحم خضير، أيديولوجيَّة العُنف المُسلَّح في تصورات الأُصوليَّة الإسلاميَّة المُعاصِرة - دراسة نماذج، دار الاكاديميون، عامن، ٢٠٢٢، ص٢٢٥.

٤-ماهر فرغلي، داعش والقاعدة: العقل والإستراتيجية، دار دلتا للنشر، مصر، ٢٠١٧، ص٨٤.

٥-ينظر: هشام الهاشمي، الدولة الإسلاميَّة في العراق والشام، لندن، دار الحكمة ، ٢٠١٦، ص١٢_١٥.

٦-صابر سعيد بقور، داعش برؤية الجزيرة عبر الفيسبوك، دار الخليج للنشر والتوزيع، عمان، ٢٠١٧، ص١١٦.

٧-ماهر فرغلي، داعش والقاعدة: العقل والإستراتيجية، دلتا للنشر، مصر، ٢٠١٧، ص٨٤.

٨-حاتم يوسف أبو زايدة، الظاهرة الإسلاميَّة في المشرق العربي والمستقبل، ط٢، مركز دراسات المستقبل، لندن، ٢٠١٨، ص٢٠٧.

٩-عبد الرحيم رحموني، مركز الكتاب الأكاديمي، القضايا العربية المعاصرة: الرهانات والتحديات، عمان، ٢٠٢٠، ص١٥٢.

١٠-الحشد الشعبي... خلفيات التشكيل، الدور والمستقبل، مركز الفكر الاستراتيجي للدراسات، الرابط:

https://books.google.iq/books?id=dgJTEAAAQBAJ&pg=PAAC

١١-أسعد حميد، السياسة الأمريكيَّة تجاه السلطة الدينيَّة للسيِّد السيستاني قبل وبعد قرار الدفاع الكافي، مجلة العميد، العتبة العباسيَّة، ٢٠١٨، ص١١٧_١١٨.

١٢-عدي حاتم عبد الزهرة، الفكر السياسي لفتوى الجهاد الكفائي عند السيِّد علي الحسيني السيستاني (دراسة السلطة)، مجلة الباحث، عدد خاص، ٢٠٢١، ص٥٨.

١٣-نص ما ورد بشأن الأوضاع الراهنة في العراق في خطبة الجمعة لممثل المرجعيَّة الدينيَّة العليا الشيخ عبد المهدي الكربلائي في (١٢/ رمضان / ١٤٣٥ هـ)/ الموقع الرسمي لمكتب سماحة المرجع الديني الأعلى السيِّد السيستاني دام ظله، الرابط:

https://www.sistani.org/arabic/archive/24925/
١٤-نصّ ما ورد بشأن الأوضاع الراهنة في العراق في خطبة الجمعة التي ألقاها فضيلة العلَّامة السيِّد أحمد الصافي في يوم(٢١/ شعبان/ ١٤٣٥هـ)الموافق(٢٠١٤/ ٦/ ٢٠م) الموقع الرسمي لمكتب سماحة المرجع الديني الأعلى السيِّد السيستاني دام ظله، الرابط
https://www.sistani.org/arabic/archive/24915/
١٥-نصّ ما ورد بشأن الوضع الراهن في العراق في خطبة الجمعة التي ألقاها فضيلة العلَّامة السيِّد أحمد الصافي في يوم (٥/ رمضان/ ١٤٣٥هـ) الموافق (٤/ تموز/ ٢٠١٤م) الموقع الرسمي لمكتب سماحة المرجع الديني الأعلى السيِّد السيستاني دام ظله، الرابط:
https://www.sistani.org/arabic/archive/24921/
١٦-جاسم يونس الحريري، الدور الخليجي في العراق دراسة حالة أحداث الموصل ٢٠١٤، دار الجنان للنشر والتوزيع، عمان، ٢٠١٦، ص٩٢_٩٥.
١٧-حسن الزين، وثائق الربيع العربي والصحوة الإسلاميَّة، مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي، بيروت، ٢٠١٤، ص٢٠٦.
١٨-جاد صعب، ربيع جديد خريطة انتفاضات شمال أفريقيا وغرب آسيا (٢٠١٨-٢٠٢٠)، دار صفصافة، الجيزة، ٢٠٢١، ص١١٤.
١٩-حيدر محمد وعلي لفتة، دور المرجعيَّة في مظاهرات تشرين، المركز الإسلامي للدراسات الاستراتيجيَّة، النجف، ٢٠٢١، ص٢١.
٢٠-بسيوني محمد، الثورة العربية في المنظمات الدوليَّة، مصر، ٢٠٢٣،ص١٧٤.
٢١-مروان سالم العلي، أمن المجتمعات في الدراسات الأمنيَّة الحديثة: نينوى نموذج/ في كتاب: العراق التحديات الوطنيَّة والدوليَّة وسبل مواجهتها: رؤى مستقبليَّة، دار المعتز للنشر والتوزيع ، ٢٠٢٤، ص ٢٠٨.
٢٢-حسين علي مكطوف، الأدوار المتعددة للمرجعيَّة الدينيَّة في العراق بعد عام ٢٠٠٣ "الإمام السيستاني نموذجاً، مجلة العلوم السياسيَّة، بغداد، العدد ٨، ٢٠٢٣، ص٣٣١.
٢٣-نص الخطبة الثانية التي ألقاها ممثل المرجعيَّة الدينيَّة العليا فضيلة العلَّامة الشيخ عبد المهدي الكربلائي في يوم، الجمعة ١٨ جمادي الثاني ١٤٣٥ هـ الموافق ١٨ نيسان ٢٠١٤ م
٢٤-البيانات الصادرة، بيان مكتب سماحة السيِّد (دام ظلّه) حول الانتخابات النيابيَّة في العراق عام ٢٠١٨.
٢٥-عبد الحميد شندي وأحمد كاظم، موقف المرجعيَّة الدينيَّة من الانتخابات التشريعيَّة في العراق ٢٠٠٥-٢٠١٨ مرجعيَّة السيِّد السيستاني أنموذج، مجلة كليَّة التربيَّة الأساسيَّة، الجامعة المستنصريَّة، العدد ١٢٤، ٢٠٢٤، ص٢٥٩.

٢٦-جميل محسن وعلي بشار، دور الحشد في تعزيز السلم الاجتماعي ومواجهة التحديات الأمنيَّة بعد عام ٢٠١٤، مجلة مركز دراسات الكوفة، أعمال المؤتمر العلمي الدَّولي الحادي والعشرون لمركز دراسات الكوفة وتحت عنوان (ذاكرة الحشد الشعبي وأمن المجتمع ثنائيَّة الحياة والبناء) - عدد خاص بتاريخ ٢٧ - ٢٨ / آذار / ٢٠٢٢ م ، ص٢٥٧_٢٥٩.

٢٧-نص الخطبة الثانية التي ألقاها ممثل المرجعيَّة الدينيَّة العليا فضيلة العلَّامة السيِّد أحمد الصافي في يوم الجمعة (٢/ ربيع الآخر/ ١٤٤١هـ) الموافق (٢٩/ ١١/ ٢٠١٩)

٢٨-نص بيان استقالة عادل عبد المهدي، الذي نشر على صفحته في موقع الفيس بوك، ٢٠١٩، الرابط:

https://www.facebook.com/AdilAbdAlMahdi1/posts/%D8%A8%D8

٢٩-نص الخطبة الثانية التي ألقاها ممثل المرجعيَّة الدينيَّة العليا فضيلة العلَّامة السيِّد أحمد الصافي في يوم الجمعة (٢/ ربيع الآخر/ ١٤٤١هـ) الموافق (٢٩/ ١١/ ٢٠١٩)

٣٠-ينظر: المادة ١ من قانون الانتخابات رقم ٩/ لسنة ٢٠٢٠

٣١-ينظر: المادة ١٦/ أولًا/ ثانيا/ من قانون الانتخابات رقم ٩/ لسنة ٢٠٢٠

٣٢-ينظر: المادة ١٣ من قانون الانتخابات رقم ٩/ لسنة ٢٠٢٠

٣٣-نتائج الانتخابات العراقيَّة النهائيَّة تؤكِّد فوز الكتلة الصدريَّة، موقع الجزيرة، ٢٠٢١، الرابط:

https://www.aljazeera.net/politics/2021/11/30/%D9%86%D8%AA%D8%A7%D8%A6%D8%AC-%D8%A7%D9%84%D8%A7%D9%86%D8%AA%D8%AE%D8%A7%D8%A8%D8%A7%D8%AA-%

المصادر والمرجع

* القرآن الكريم

* **أوَّلا: القوانين**

* قانون الانتخابات رقم ٩/ لسنة ٢٠٢٠

* **ثانيًا: الكتب**

* أحمد السورجي، خسائر الجيش الأمريكي على أيدي المقاومين العراقيين من ٢٠٠٣ – ٢٠١١ م، دار غيداء، عمان، ٢٠٢٠.

* بسيوني محمَّد، الثورة العربيَّة في المنظمات الدوليَّة، مصر، ٢٠٢٣.

* جاد صعب، ربيع جديد خريطة انتفاضات شمال أفريقيا وغرب آسيا (٢٠١٨-٢٠٢٠)، دار صفصافة، الجيزة، ٢٠٢١.

* جاسم يونس الحريري، الدور الخليجي في العراق دراسة حالة أحداث الموصل ٢٠١٤، دار الجنان للنشر، عمان، ٢٠١٦.

* حاتم يوسف أبو زايدة، الظاهرة الإسلاميَّة في المشرق العربي والمستقبل، ط٢، مركز دراسات المستقبل، لندن، ٢٠١٨.

* حسن الزين، وثائق الربيع العربي والصحوة الإسلاميَّة، مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي، بيروت، ٢٠١٤.

* صابر سعيد بقور، داعش برؤية الجزيرة عبر الفيسبوك، دار الخليج للنشر والتوزيع، عمان، ٢٠١٧.

* صالح حسن الفضالة، الجوهر العفيف في معرفة النسب النبوي الشريف، دار الكتب العلميَّة، عمان، ٢٠١٣.

* عبد الرحيم رحموني، مركز الكتاب الأكاديمي، القضايا العربيَّة المعاصرة: الرهانات والتحديات، عمان، ٢٠٢٠.

* فارس كمال مازن حاتم، احتجاجات تشرين ٢٠١٩ في العراق من منظور المشاركين فيها، مركز البيان، بغداد، ٢٠٢٢.

* ماهر فرغلي، داعش والقاعدة: العقل والاستراتيجيَّة، دار دلتا للنشر، مصر، ٢٠١٧.

* مروان سالم العلي، أمن المجتمعات في الدراسات الأمنيَّة الحديثة: نينوى نموذج/ في كتاب: العراق التحديات الوطنية والدوليَّة وسبل مواجهتها: رؤى مستقبلية، دار المعتز للنشر والتوزيع، ٢٠٢٤

* هشام الهاشمي، الدَّولة الإسلاميَّة في العراق والشام، لندن، دار الحكمة، ٢٠١٦.

* **ثالثًا: المجلات والدوريات**

* أسعد حميد، السياسة الأمريكيَّة تجاه السلطة الدينيَّة للسيِّد السيستاني قبل وبعد قرار الدفاع الكافي، مجلة العميد، العتبة العباسية، ٢٠١٨.

* حسين علي مكطوف، الأدوار المتعددة للمرجعيَّة الدينيَّة في العراق بعد عام ٢٠٠٣ "الإمام السيستاني نموذجًا، مجلة العلوم السياسيَّة، بغداد، العدد ٨، ٢٠٢٣.

* عبد الحميد شندي وأحمد كاظم، موقف المرجعيَّة الدينيَّة من الانتخابات التشريعيَّة في العراق ٢٠٠٥-٢٠١٨ مرجعيَّة السيِّد

السيستاني أنموذج، مجلة كليَّة التربية الأساسيَّة، الجامعة المستنصريَّة، العدد ١٢٤، ٢٠٢٤.
* عدي حاتم عبد الزهرة، الفكر السياسي لفتوى الدفاع الكفائي عند السيِّد علي الحسيني السيستاني (دراسة السلطة)، مجلَّة الباحث، عدد خاص، ٢٠٢١.

*** رابعًا: البيانات والخطب**

* نص ما ورد بشأن الأوضاع الراهنة في العراق في خطبة الجمعة لممثل المرجعيَّة الدينيَّة العليا الشيخ عبد المهدي الكربلائي في (١٢/ رمضان / ١٤٣٥ هـ).
* نصّ ما ورد بشأن الأوضاع الراهنة في العراق في خطبة الجمعة التي ألقاها فضيلة العلَّامة السيِّد أحمد الصافي في يوم(٢١/ شعبان/ ١٤٣٥هـ)الموافق(٢٠١٤/ ٦/ ٢٠م).
* نصّ ما ورد بشأن الوضع الراهن في العراق في خطبة الجمعة التي ألقاها فضيلة العلَّامة السيِّد أحمد الصافي في يوم (٥/ رمضان/ ١٤٣٥هـ) الموافق (٤/ تموز/ ٢٠١٤م) .
* نص الخطبة الثانية التي ألقاها ممثل المرجعيَّة الدينيَّة العليا فضيلة العلَّامة الشيخ عبد المهدي الكربلائي في يوم الجمعة (٢٣/ ربيع الآخر/ ١٤٤١هـ) الموافق (٢٠/ ١٢/ ٢٠١٩).
* نص الخطبة الثانية التي ألقاها ممثل المرجعيَّة الدينيَّة العليا فضيلة العلَّامة الشيخ عبد المهدي الكربلائي في يوم، الجمعة ١٨ جمادي الآخرة ١٤٣٥ هـ الموافق ١٨ نيسان ٢٠١٤ م
* البيانات الصادرة، بيان مكتب سماحة السيِّد (دام ظلّه) حول الانتخابات النيابية في العراق عام ٢٠١٨.
* نص الخطبة الثانية التي ألقاها ممثِّل المرجعيَّة الدينيَّة العليا فضيلة العلَّامة السيِّد أحمد الصافي في يوم الجمعة (٢/ ربيع الآخر/ ١٤٤١هـ) الموافق (٢٩/ ١١/ ٢٠١٩)

*** خامسًا: المواقع الإلكترونيَّة**

* الحشد الشعبي... خلفيَّات التشكيل، الدور والمستقبل، مركز الفكر الاستراتيجي للدراسات، الرابط:
https://books.google.iq /books?id=dgJTEAAAQBAJ&pg=PAAC
* نص بيان استقالة عادل عبد المهدي، الذي نُشر على صفحته في موقع الفيس بوك، ٢٠١٩، الرابط:
https://www.facebook.com/AdilAbdAlMahdi1/posts/%D8%A8%D8
* نتائج الانتخابات العراقيَّة النهائيَّة تؤكِّد فوز الكتلة الصدرية، موقع الجزيرة، ٢٠٢١، الرابط :
https://www.aljazeera.net/politics/2021/11/30/%D9%86%D8%AA%D8%A7%D8%A6%D8%AC-%D8%A7%D9%84%D8%A7%D9%86%D8%AA%D8%AE%D8%A7%D8%A8%D8%A7%D8%AA-%

قيم أخلاقيَّة أوصى بها السيِّد السيستاني (دام ظله الوارف)، لأفراد الحشد الشعبي (المقدَّس)، وأوجب الالتزام بها

م.م. ظاهر حبيب موسى
المديريَّة العامَّة للتربية في محافظة ذي قار / قسم الإشراف الاختصاص

ملخَّص البحث

يهدف البحث إلى التعرُّف على القيم الأخلاقيَّة التي أوصى بها السيِّد السيستاني (دام ظله الوارف) لأفراد الحشد الشعبي، ومعرفة مدى التزام المتطوعين من أفراد الحشد الشعبي بهذه القيم، إضافة إلى معرفة الأهميَّة النسبيَّة أو الترتيب النسبي لتلك القيم الأخلاقيَّة التي أوصى بها السيِّد السيستاني، وذلك بحسب الوسط المرجح والوزن المئوي المرجح لها .ومن أجل تحقيق أهداف البحث، اعتمد الباحث على أسلوبَي تحليل المحتوى والاستبيان. فقد تمَّ تحليل محتوى نصائح وتوجيهات السيِّد السيستاني للمقاتلين في ساحات الجهاد (الصادرة بتاريخ ١٢/ ٢/ ٢٠١٥ من مكتب سماحته)، إضافة إلى بعض خطب الجمعة التي أعقبت فتوى الجهاد الكفائي، التي تتزامن مع الذكرى السنويَّة للفتوى، للأعوام الممتدَّة من ٢٠١٤ ولغاية ٢٠٢٠. وقد توصَّل من هذا التحليل إلى (٣٦) فقرة، تمَّ تفريغها في استمارة استبيان شكَّلت الصيغة الأوليَّة له. وبعد التأكُّد من الخصائص السيكو مترية للاستبيان (من حيث الصدق والثبات)، تمَّ استبعاد (١١) فقرة غير صالحة؛ ليصبح عدد فقرات الاستبيان في صيغته النهائيَّة (٢٥) فقرة .تمَّ تطبيقه على عيِّنة مكوَّنة من (٥٠) فردًا من أفراد الحشد الشعبي. وبعد إجراء التحليل الإحصائي لاستجابات أفراد عيِّنة البحث على فقرات الاستبيان، توصَّل الباحث إلى نتائج تمثَّلت في الحصول على (٢٥) فقرة، تمثِّل كل واحدة منها قيمة أخلاقيَّة .وقد تبيَّن أنَّ

أفـراد الحشـد الشـعبي ملتزمـون بتلـك القيـم الأخلاقيَّـة التـي أوصى بهـا السـيِّد السيستاني (دام ظلـه الـوارف). ومـن ثـمَّ، تـمَّ ترتيـب القيـم الأخلاقيَّـة (الفقـرات) بحسـب وسـطها المرجـح ووزنهـا المئـوي المرجـح؛ إذ حصلـت بعـض الفقـرات على الترتيـب الأوَّل والثـاني .وفي ضـوء هـذه النتائـج، تـمَّ وضـع عـدد مـن التوصيـات والمقترحـات.

Abstract

The research aims to identify the ethical values recommended by Seid. Al-Sistani (May Allah prolong his life) for members of the Al-Hashd, to determine the extent to which these values are adhered to, and to ascertain the relative importance or ranking of these values based on their weighted mean and percentage weight.

To achieve the research objectives, the researcher adopted the methods of Content Analysis and Questionnaire. The content of Seid. Al-Sistani's advice and recommendations to fighters in the fields of Jihad (issued on 12/2/2015 from his office), as well as Friday sermons following the Sufficient Jihad Edict (coinciding with the Edict's anniversary from 2014 to 2020), were analyzed. This analysis yielded (36) items, which were drafted into a preliminary questionnaire. After verifying the psychometric properties of the questionnaire (validity and reliability), (11) invalid items were excluded, resulting in a final version of (25) items. This was applied to a sample of 50 Al-Hashd members.

After statistically analyzing the responses, the researcher concluded that each of the 25 items stands for an ethical value. It was found that members of Al-Hashd are committed to the moral values recommended by Seid. Al-Sistani. Subsequently, the ethical values (items) were ranked according to their weighted mean and weighted percentage, with certain items reaching the first and second ranks. Considering these findings, several recommendations were formulated.

الفصل الأوَّل:

مشكلة البحث:

لقد مرَّ العراق بظروفٍ وأحداثٍ مؤلمة ومريرة، وكان من أهمِّ تلك الأحداث سيطرة تنظيم داعش الإرهابي على ثُلث مساحة العراق عام ٢٠١٤، إلَّا أنَّ حكمة المرجعيَّة الرشيدة وحنكتها، والمتمثِّلة بسماحة السيِّد السيستاني (دام ظلّه)، كان لها كلمة الفصل في إنهاء هذه الظروف والأحداث المؤلمة، من خلال فتوى مباركة كانت ثمرتها تشكيل هذا الحشد الشعبي المبارك الساعي لإنقاذ العراق وأهله. إلَّا أنَّ تشكيل الحشد الشعبي كان يشكِّل تحدِّيًا كبيرًا لمن لا يُريد الخير للعراق، وقد جعل هذا التحدّي من المتربّصين بالعراق يكيلون الاتهامات والإساءة إلى هذا المكوّن، بوصفه مكوِّنًا جديدًا. وهنا جاءت توجيهات المرجعيَّة الرشيدة من أجل المحافظة على سمعة الحشد المبارك، على شكل توصيات عبَّرت عن "دستور أخلاقي" لهم، ينضبطون ويسترشدون به. وبالتأكيد، فإنَّ هذا الدستور الأخلاقي يحمل كثيرًا من المضامين الخيِّرة والطيِّبة التي تنمُّ عن حرص المرجعيَّة الرشيدة على سلامة أفراد الحشد والمواطنين. من هنا جاءت مشكلة البحث الحالي الموسومة: (قيم أخلاقيَّة أوصى بها السيِّد السيستاني (دام ظلّه الوارف) لأفراد الحشد الشعبي (المقدّس) وأوجب الالتزام بها).

أهميَّة البحث:

على الرغم من اختلاف وجهات النظر حول القيم الأخلاقيَّة، إلَّا أنَّ مكانتها لا تتغير، نظرًا لأهميتها بالنسبة للفرد والمجتمع. فبالنسبة للفرد، تلعب القيم دورًا وأهميَّة كبيرة في تشكيل السلوك الإنساني، إذ يتفق الجميع على أثرها البالغ في تكوين شخصيَّة الفرد وتعريفه بذاته. وتُعدّ القيم جوهر الكيان الإنساني، فهي المُكوّن الأساس عند بناء الشخصيَّة الإنسانيَّة وحقيقتها؛

فبالقيم يصير الإنسان إنسانًا، وبدونها يفقد إنسانيته. تورث القيم الفاضلة لصاحبها طاقة إيجابية فاعلة، فتكسبه وضوح الرؤية والبصيرة، فينتقل من نجاح إلى نجاح، ومن إنجاز إلى إنجاز، ولا يقف عند حدٍّ معيّن، مما يضمن له السعادة، والرضا الذاتي، والطمأنينة النفسية. لذلك أنَّ بناء "السياج القيمي" يحفظ الإنسان من الانحراف النفسي والجسدي والاجتماعي، ومن دونه يكون عبدًا لغرائزه وأهوائه. أما بالنسبة للمجتمع، فالقيم تحظى بأهميَّة بالغة في حياة الأمم والشعوب، فالمجتمع الإنساني محكوم بمعايير تحدد طبيعة العلاقات القائمة بين أفراده، وأنماط التفاعل فيما بينهم في مختلف مجالات الحياة. وتحفظ القيم للمجتمع بقاءه واستمراريَّته، وهويَّته وتميّزه عن غيره من المجتمعات. فالمجتمعات تختلف بعضها عن بعضها الآخر بما تتبنَّاه من أصول ثقافيَّة ومعايير قيميَّة؛ لذلك فإنَّ المحافظة على هذه القيم يضمن الحفاظ على هويَّة المجتمع، وأنَّ اختلال هذه المنظومة القيميَّة يؤدِّي إلى اضمحلال تلك الهويَّة. وممَّا يزيد من أهميَّة القيم بالنسبة للمجتمع، أثرُها في الحفاظ على بناء مجتمع نظيف، صحي، وخالٍ من السلوكيَّات السلبيَّة (الجلاد، ٢٠٠٧: ص٣٩-٤٦). إذ تبرز أهميَّة القيم الأخلاقيَّة التي تحافظ على بعض من السلام والأمان حتَّى في أحلك الظروف، وأنَّ الحاجة إلى القيم الأخلاقيَّة تكون في أشدِّها عندما يشتد الظلام، وفي ظروف الفوضى، والحروب. عندما تتفاقم الأوضاع، وتشتد النزاعات؛ إذ إنَّ الأخلاق في مثل تلك الظروف والأوقات ليست مجرَّد ترف يمكن تجاوزه؛ بل هي الأساس الذي يحدِّد الفرق بين السلوك الإنساني والسلوك الوحشي. فالأخلاق في الحرب ليست مجرد نظريات فحسب؛ بل هي قواعد تحكم التصرفات وتحد من الدمار غير الضروري. أخذ مثالًا من التاريخ، فلو قبلنا بمقولة "لا أخلاق في الحرب"، لكان علينا أن نبرر الأعمال الوحشيَّة التي ارتكبها أدولف هتلر خلال الحرب العالميَّة الثانية، بما في ذلك

جريمة الهولوكوست التي أودت بحياة ملايين الأبرياء. وينبغي علينا أن نبرِّر المذابح التي ارتكبها جوزيف ستالين ضد أعدائه وخصومه من شعبه مرحلة حكمه. هذه الأعمال لم تكن مجرد استراتيجيَّات حربيَّة فحسب؛ بل كانت خروقات جسيمة للأخلاق والإنسانيَّة. وعلى النقيض من ذلك لنا في التاريخ أمثلة مضيئة من التمسُّك بالأخلاق في الحروب، ويتجلَّى ذلك فيما أظهره نبينا محمَّد ﷺ من جوانب الرحمة والإنسانيَّة في حروبه مع أعدائه؛ إذ كانت من وصاياه لقادة السرايا لا تغدروا، ولا تغلوا، ولا تمثلوا، ولا تقتلوا الولدان، ولا أصحاب الصوامع؛ إذ كانوا فاتحين متحلين بأعلى درجات الأخلاق حتَّى في أشد مواقع الخصومة والاختلاف.

(المرواني، 2025: https://www.koul-alarab.com).

(فالتوصيات التي جاء بها سليل الدوحة المحمَّديَّة سماحة آية الله العظمى السيِّد علي الحسيني السيستاني دام ظله الوارث إلى مجاهدي الحشد الشعبي ما هي إلَّا امتدادي لوصايا نبينا محمَّد ﷺ).

تعد هذه الوصايا نوعًا من القوانين الدستوريَّة وأنَّ مقاومة العدو ليست مطلقة في الإسلام فحسب، بل يجب أن تخضع لقواعد الشرع والأخلاق (حب الله،2025: https://hobbollah.com/p/50212). فالأخلاق في الحروب كما تنظر لها المرجعيَّة الرشيدة المتمِّثلة بسماحة آية الله العظمى السيِّد علي الحسيني السيستاني (دام ظله الوارث) ليست مجرد شعارات فحسب؛ بل هي ضرورة للحفاظ على الكرامة الإنسانيَّة وتقليل المعاناة. وتفرض الأخلاق حدودًا على الأعمال الوحشيَّة، وتقدم إطارًا يحافظ على بعض من الإنسانيَّة حتَّى في أحلك الأوقات. فالأخلاق في الحروب هي جوهر الإنسانيَّة الذي يحافظ على كرامة البشر. وأنَّ تجاهلها في القتال يعيد البشريَّة إلى حالة من الوحشيَّة والفوضى. هذه الأفكار عن الأخلاق في الحروب هي دروس يجب

أن تبقى راسخةً في الأذهان؛ لتكون منارة تهدي السلوك الإنساني في أوقات الشدة والصراع. (المرواني،2025:https://www.koul-alarab.com).

أهداف البحث: يهدف البحث إلى التعرف على:

- القيم الأخلاقيَّة التي أوصى بها السيِّد السيستاني (دام ظله الوارف) لأفراد الحشد الشعبي.

- مدى التزام المتطوعين من أفراد الحشد الشعبي بهذه القيم الأخلاقيَّة التي أوصى بها السيِّد السيستاني.

-الأهميَّة النسبيَّة أو الترتيب النسبي لتلك القيم الأخلاقيَّة على وفق الوسط المرجَّح والوزن المئوي المرجَّح لها.

حدود البحث:

يتحدَّد البحث بنصائح وتوجيهات السيِّد السيستاني للمقاتلين في ساحات الجهاد (١٢/ ٢/ ٢٠١٥)، والصادرة عن مكتب سماحته، إضافة إلى بعض خطب الجمعة التي أُلقِيَت بعد فتوى الجهاد الكفائي، التي تتزامن مع الذكرى السنويَّة للفتوى، للأعوام من ٢٠١٤ ولغاية ٢٠٢٠.

تحديد المصطلحات:

- **القيم الأخلاقيَّة:**

هي ظاهرة اجتماعيَّة تُصاغ بصورةٍ واعيةٍ وهادفة، بما يتوافق مع المتطلبات التاريخيَّة في كل مرحلة من مراحل تطور المجتمعات البشريَّة. وهي أيضًا شكل من أشكال الوعي الاجتماعي، تؤدِّي مهمَّة ضبط سلوك الأفراد وتنظيمه في مختلف مجالات الحياة الاجتماعيَّة من دون استثناء، سواء في السياسة، أو العلم، أو العمل، أو في البيت، أو في الأماكن العامة. (الصوراني، 2019: https:// www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=656148)

- **السيِّد السيستاني (دام ظله الوارف)**: هو آية الله العظمى السيِّد علي الحسيني السيستاني (١٩٣٠-) المرجع الديني الأعلى للشيعة في العراق، وأحد أبرز المرجعيَّات الدينيَّة لدى الشيعة في العالم الإسلامي على العموم. يعيش حياة بسيطة في مدينة النجف، خَلَف آية الله السيِّد أبا القاسم الخوئي في زعامة حوزة النجف الأشرف، وهي من أهمِّ المراكز في العالم للدراسات الدينيَّة لدى الشيعة الاثني عشريَّة الأصولي. (https: / /www.marefa.org).

- **الحَشْدُ الشَّعْبِيّ**: هي قوات نظاميَّة عراقيَّة، وجزء من القوات المسلحة العراقيَّة، تأتمر بإمرة القائد العام للقوات المسلحة ومؤلفة من حوالي ٦٧ فصيلًا، شُكِّلَتْ بعد فتوى الجهاد الكفائي التي أطلقتها المرجعيَّة الدينيَّة في النجف الأشرف، وذلك بعد سيطرة تنظيم الدولة الإسلاميَّة (داعش) على مساحات واسعة في عدد من المحافظات الواقعة شمال بغداد، وأقر قانون هيئة الحشد الشعبي بعد تصويت مجلس النواب العراقي بأغلبيَّة الأصوات لصالح القانون في ٢٦ نوفمبر ٢٠١٦. (موقع مجلس النواب)

الفصل الثاني:

أوَّلًا - الإطار النظري:

لا شَّك في أنَّ القيم والأخلاقيَّات في كلِّ مجتمعٍ هي نتاج تطور تاريخي وحضاري، لهذا فهي ضروريَّة في تكوين المجتمع، وفي الاستقرار والمحافظة على حياته الاجتماعيَّة، ولقد طالبت كلُّ الأديان السماويَّة الإنسان أن يتَّصف بالأخلاق الحميدة، ووضعت له هذه الأخلاق والنتائج الإيجابيَّة المترتبة على اتِّباعها. ونظرًا لأهميَّة الجوانب الأخلاقيَّة لأيِّ مجتمعٍ فإنَّ كثيرًا من المجتمعات وضعت لنفسها دستورًا أخلاقيًا، أو ميثاق شرف أو لوائح تحدِّد النهج السليم الذي يقود الأفراد إلى أداء واجباتهم. ودورهم في المنظومة الإنتاجيَّة التي ينتمون إليها. وهي إلى جانب ذلك السياج المنيع الذي يحميهم من الخطأ والزلل، ويحول بينهم وبين ارتكاب

أي عمل يخالف الضمير، أو يتنافى مع المبادئ، وهي تمثِّل دستورًا أخلاقيًّا يجب على كلِّ فردٍ وجماعةٍ في المجتمع أن يحترمه ويتبعه. (نبيل،2019: https:// www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=625930، وهي مجموعة الأفعال والتصرفات التي يقوم بها الإنسان التي تحدِّد سلوكه، (شمعون، 2021: / / www.ahewar.org /debat /show.art. asp?aid=٧٠٨٨٤٥) وأنَّها تعبير عن المعتقدات الشخصيَّة للفرد، وهي التي تحدِّد ما يجب فعله أو تجنبه وما هو صحيح أو خطأ، وهي التي توجه سلوكنا مع الآخرين، أو أنَّها الإيمان بأفكار وبمعتقدات معيَّنة ومن ثمَّ الاعتقاد أن نمط سلوك معين هو الأفضل (كريم، ٢٠٢٥). فالإنسان يستمد قيمه الأخلاقيَّة من مصادر متعددة ومتنوعة فمنها المصدر الديني، والاجتماعي، والاقتصادي، والتربوي، والثقافي، والأسري. وأنَّ هذه القيم الأخلاقيَّة تتأثَّر بعددٍ من العوامل منها السياسات والأنظمة والقوانين فلسفة الإدارة البيئة الداخليَّة للتنظيم البيئة الخارجيَّة سلوك الجماعة النمط القيادي المتبع اختلاف مستوى الإدراك والفهم مقدرة الفرد على إيجاد نوع من التوازن، (كريم، 2025: https://www.riadhkraiem.com/ad-ministrative-topics/business-ethics/ethical-values).

الحشد الشعبي:

بالفتوى المُباركة أُنشئ الحشد الشعبي الذي هو نفثة مُباركة من أنفاس المرجعيَّة الدينيَّة العُليا.. أنَّ فتوى المرجع الأعلى السيِّد السيستاني، التي أطلقها يوم الجمعة ١٣/ ٦/ ٢٠١٤، لقتال داعش، هي مَن أسَّست الحشد الشعبي، وأنَّ قدسيَّة الحشد إنَّما كانت بسبب كونه "نفثة مُباركة من أنفاس المرجعيَّة الدينيَّة العُليا" لاغير(بيعي،2017: http://holy-fatwa.com/news/read/4556)

الحشد الشعبي العراقي هذا الكيان المستحدث، وهو القوَّة التي تمَّ تأسيسها بموجب فتوى المرجع الشيعي الأعلى بعد انهيار معظم القوات الأمنيَّة في العراق عام ٢٠١٤، التي كان قوامها عشرات الآلاف من العراقيين، الذين نظموا لاحقًا بقانون عام ٢٠١٦، يفسِّر طبيعة عملهم وارتباطهم الرسمي بالدولة وتمويلهم لمحاربة تنظيم داعش .(خضير، 015:https:// www.aljazeera.net/blogs/2025/2/11/). هذا الحشد الذي انبثق مِن بُعدينِ لا ثالث لهما، وجَّهت المرجعيَّة الخطاب إلى عموم الشعب العراقي بلا تمييز، داعية إيَّاهم إلى تحمُّل المسؤوليَّة الوطنيَّة والشرعيَّة والتاريخيَّة، عبر قولها إنَّ "المسؤوليَّة في الوقت الحاضر هي حفظ بلدنا العراق ومقدَّساته من هذه المخاطر، وكانت المرجعيَّة تعي تمامًا أنَّ البُعد الأوَّل للفتوى الجهاديَّة قد انطلق، من وضع الأمَّة، الشعب العراقي، أمام مسؤوليَّاتها. ولكي يتسنَّى للمرجعيَّة العليا أن تقوم بأعباء تطبيق الفتوى الجهاديَّة، من موقع الريادة والقدوة، بالتخطيط والإشراف والمتابعة المستمرة والبذل، حتَّى تحقيق غرض الفتوى الحقيقي، الذي هو قتال داعش وإنهاء خطره من العراق، كانت تنتظر وهي الواثقة من ذلك، استجابة جماهير الشعب العراقي لنداء الفتوى وبه تحقق البُعد الثاني (بيعي، ٢٠١٧: http: / / holyfatwa.com /news / read/ ٤٥٥٦). في الثالث عشر من حزيران من عام ٢٠١٤ـ انقاذًا للوطن الغالي وفداءً للحرمات والمقدَّسات، كانت فتوى الجهاد الكفائي التي اطلقتها المرجعيَّة العليا في النجف بعد سيطرة داعش على بعض المدن العراقيَّة التي تجلَّت فيها البطولة بأروع صورها وأسمى معانيها، وقد قدَّموا في هذا الطريق عشرات الآلاف من الشهداء وأضعاف ذلك من الجرحى، تكللت جهودهم بالنصر المؤزَّر وتمكَّنوا من دحر الإرهابين وتخليص الأراضي المغتصبة من رجس المعتدين والقضاء على دولتهم المزعومة. لم يكن ليتحقق هذا الانجاز

التاريخي العظيم لولا تكاتف العراقيين وتلاحمهم وتوحيد صفوفهم، وتجاوز القوى السياسيَّة لخلافاتهم وصراعاتهم، وتعاليهم على المصالح الشخصيَّة والفئويَّة والقوميَّة والمناطقيَّة أمام المصلحة العليا للوطن والمواطنين من مختلف المكوِّنات.. وبعد ذلك الواجب هنا يتحتَّم على الجميع تطبيع الأوضاع في تلك المناطق وتوفير الأمن فيها على أسسٍ مهنيَّة تراعي حرمة المواطن وتمنحه فرصة العيش بعزٍّ وكرامة، وتمنع من التعدِّي والتجاوز على حقوقه القانونيَّة يتَّسم بالضرورة القصوى، وبخلاف ذلك تزداد مخاطر العود بالبلد إلى الظروف التي لا تنسى آلامها ومآسيه، ولا يسمح بأيِّ إهمال أو تقصير. **(الصافي، ٢٠١٩)**. إنَّ خطب الجمعة التي تتولَّى إلقاءها ممثليَّة المرجعيَّة الدينيَّة العليا في العتبة الحسينيَّة المقدَّسة تمثِّل حاضنة ثقافيَّة وتمثِّل أيضًا دستورًا ينطوي على قواعد أخلاقيَّة وسياسيَّة ودينيَّة واجتماعيَّة حقيقةً أخذت بيد المواطن العراقي من موارد الهلكة إلى موارد الأمان، وكانت الخطب تكشف النقاب عن مسألة استشراف الأفق المستقبلي لسماحة المرجع الديني الأعلى السيِّد السيستاني (دام ظله الوارف) وكيف أن يضع الحلول قبل وقوع المخاطر". وإنَّ "سنة ٢٠١٤ تمثَّل سنة حاسمة فيما يتعلَّق بمستقبل العراق السياسي والاقتصادي والتربوي وكل الخطب التي تناولتها الدراسة أوضحت أنَّ خطرًا محتدمًا كان يمكن أن يضيع العراق، وأن يورد المواطن العراقي موارد الهلكة، وهو خطر داعش ومسألة الفتوى التاريخيَّة الكبرى فتوى الجهاد الكفائي التي خلصت العراق بعد أن عجز العالم بأسره عن محاولة تخليص العراق من براثن هذا الوحش الكاسر. "إنَّ خطب الجمعة التي توالت بعد خطبة الجمعة التي أعلن فيها الجهاد الكفائي وظَّفت منهجًا معرفيًّا جديدًا ألا وهو المنهج التداولي اعتمدت على معرفة المقاصد أكثر من معرفة المعاني لذلك نحن في خطب الجمعة بدأنا نحلِّل ما يسمَّى المقاصد، وما يريده سماحة المرجع الديني

وإلى ما يهدف وإلى أين يريد الوصول بنا مثالها (الجهاد الكفائي) لوجدنا فيه إرثًا حضاريًّا؛ امتدادًا لثورة الإمام الحسين ﷺ وفتوى سماحة السيِّد السيستاني (دام ظله الوارف) هي الإطار الثاني للجهاد، وهذه تعد مسألة وجود مسألة دم مسألة بقاء مسألة عقيدة". و"أنَّ الفتوى المباركة حافظت على بنية المجتمع وما زالت تحافظ؛ ولكن حينما هدَّد الوطن وهدَّدت حضارته وهدَّد دينه، وهدَّد مستقبله وجدت هذه الفتوى التي تحترم الجهد الوطني داخل أفراد المجتمع العراقي على كافة المستويات؛ لأنَّ هذه الفتوى لم تشمل الشيعي فقط وإنَّما شملت أبناء المجتمع بصورة عامة".(**مهدي،٢٠٢١**) ـ فخطبة الجهاد الكفائي في عام ٢٠١٤جاء بمثابة ثروة معرفيَّة تضاف إلى رصيد جمعيَّة العميد عبر محطّاتٍ علميَّة متنوِّعة وأكانت تمثِّل الخطاب الاستشرافي في خطب الجمعة، عبر الاستشراف السياسي والأخلاقي والمعرفي والموضوعي كما كانت وما زالت تمدُّ القرَّاء والباحثين لرفد جديد دراساتهم بالأفكار من مفردات كلماتها وعباراتها، كما جاءت إثراءً للمكتبة العلميَّة وزيادةً في الثروة المعرفيَّة، لتكون بمثابة حاضنة معرفيَّة للإبداعات المتميّزة.(مهدي، 2021: https:// (alameedcenter.iq/articles/view/details?id=210

الفصل الثالث- ويتضمَّن:

مجتمع البحث: يتكوَّن مجتمع البحث من خطب الجمعة التي تزامنت مع الذكرى السنويَّة لفتوى الجهاد الكفائي بعد عام ٢٠١٤، إضافة إلى وصايا وتوجيهات السيِّد السيستاني للمقاتلين والمتطوعين في صفوف الحشد الشعبي، ضمن مركز محافظة ذي قار.

عيِّنة البحث: تكوّنت عيِّنة البحث من تحليل خطبة الجمعة الموسومة "نصائح وتوجيهات للمقاتلين في ساحات الجهاد"، الصادرة بتاريخ ١٢/ ٢/ ٢٠١٥، الموافق الثاني والعشرين من شهر ربيع الآخر عام ١٤٣٦هـ،

إضافة إلى (٥٠) متطوِّعًا من أفراد الحشد الشعبي في مركز محافظة ذي قار.

أداة البحث: من أجل تحقيق أهداف البحث، كان لا بدَّ للباحث من اعتماد أدوات مناسبة، ولذلك تمَّ اعتماد منهج تحليل المحتوى لتحليل خطبة عيِّنة البحث الموسومة: "نصائح وتوجيهات للمقاتلين في ساحات الجهاد"، بتاريخ ١٢/ ٢/ ٢٠١٥. وتمَّ استخدام الاستبيان كأداة ثانية لجمع البيانات؛ لما له من شيوع واسع في الدراسات الاجتماعيَّة، لا سيَّما الدراسات الوصفيَّة التي تهدف إلى تحليل الظواهر المدروسة والكشف عن مختلف جوانبها (يحري، خرموش، ٢٠١٩، ص ٣٤٣-٣٥٣). ومن خلال تحليل مضمون الخطبة، توصَّل الباحث إلى عدد من الفقرات التي تمَّ تفريغها في استمارة استبيان أوليَّة مكوَّنة من (٣٦) فقرة؛ إذ تمثِّل كل فقرةٍ قيمة أخلاقيَّة محددة الملحق(١). وهنا لابدَّ من التحقق من خصائص الاستبيان السيكو مترية المتمثِّلة بالصدق والثبات.

الخصائص السيكو مترية للأداة:

أوَّلًا -الصدق الظاهري: لغرض التحقق من صدق الاستبيان، فقد اعتمد الباحث الصدق الظاهري، وذلك من خلال عرض الاستبيان بصيغته الأوليَّة، المكوَّن من (٣٦) فقرة تعبِّر كلّ منها عن قيمة أخلاقيَّة الملحق(١) على عدد(٥) من المتخصِّصين في التربية وعلم النفس بعد أن حدَّد نسبة اتفاق المتخصِّصين بـ (٨٠٪) معيارًا للإبقاء على الفقرة أو استبعادها وحدَّد بدائل الإجابة على فقرات الاستبيان بثلاثة خيارات، وهي: دائماً وزنها / ٣، وغالبًا ووزنها/ ٢، وأحيانًا ووزنها/ ١

وبناءً على نتائج هذه الخطوة، تمَّ استبعاد (١١) فقرة بسبب عدم صلاحيتها أو لتشابهها وتكرار مضمونها، وهي الفقرات ذات الأرقام: (٦، ٧، ٨، ١١، ١٤، ١٨، ٢٠، ٢٦، ٣٣، ٣٤، ٣٦) (انظر الملحق ٢).

ثانيًا- الثبات: قام الباحث بإيجاد ثبات فقرات الاستبيان من خلال تطبيق

الاستبيان على عيِّنة عشوائيَّة من أفراد الحشد بلغت (٢٠) شخص وباستخدام معادلة ألفا كرونباخ بلغت قيمة معامل الثبات (٨١٪).

ثالثًا- العيِّنة الاستطلاعيَّة: من أجل معرفة وضوح فقرات الاستبيان والوقت المستغرق للإجابة عليه فقد طُبِّق الاستبيان على عيِّنة استطلاعيَّة مكوَّنة من (١٥) فرد من أفراد الحشد الشعبي وتبيَّن من خلال هذا الأجراء أنَّ جميع فقرات الاستبيان كانت واضحة ومفهومة، وكان الوقت المستغرق للإجابة على فقرات الاستبيان بين (٨ - ١٠) دقائق وبمتوسط حسابي(٩) دقائق، وبعد هذه الإجراءات أصبح الاستبيان مكون بصيغته النهائيَّة من (٢٥) فقرة ملحق (٢)، وجاهزًا للتطبيق على عيِّنة البحث الأساسيَّة المكوَّنة من (٥٠) شخص من أفراد الحشد الشعبي.

الوسائل الاحصائيَّة:

- النسب المئوية لإيجاد الصدق الظاهري للاستبيان.
- معادلة الفا كرونباخ لإيجاد الثبات.
- الوسط المرجح والوزن المئوي لإيجاد الترتيب النسبي للفقرات.

-الفصل الرابع:

يتضمَّن هذا الفصل تحليل النتائج وتفسيرها بحسب الأهداف وكما يأتي:

-الهدف الأوَّل: التعرُّف على القيم الأخلاقيَّة التي أوصى بها السيِّد السيستاني (دام ظلّه الوارف) لأفراد الحشد الشعبي، وأوجب الالتزام بها:

من أجل تحقيق هذا الهدف، قام الباحث بتحليل نصوص عيِّنة البحث، وتوصَّل من خلال هذا التحليل إلى (٢٥) فقرة، تمثِّل كلَّ فقرةٍ منها قيمة أخلاقيَّة محددة، كما هو موضح في الجدول (١).

جدول(١)

يوضّح عدد القيم الأخلاقيَّة التي أوصى بها السيِّد السيستاني (دام ظلّه

الـوارف) لأفـراد الحشـد الشـعبي وأوجـب الالتـزام بهـا.

ت	القيم أي (الوصايا)	ت	القيم أي (الوصايا)
١	كنَّا لانقتل أحد بغير حق.	١٤	كنا نحرص أن نتعامل مع الناس بخُلُق النبي وأهل ﷺ بيته في الحرب والسلم
٢	كنا نحترم حرمة عامّة الناس	١٥	كنا نستعين بذكر الله سبحانه وتلاوة كتابه.
٣	كنا لا نقاتل المستضعفين من الشيوخ والنساء والأطفال حتَّى من ذوي الدواعش	١٦	كنا نهتم بصلاتنا الواجبة
٤	كنا لا نتهم الناس	١٧	كنا نندفع في المعارك بحذر وتروي وتحوّط ومهنيّة
٥	كنا لا نتعرّض لغير المسلمين أيًّا كان دينه ومذهبه.	١٨	كنا نهتم بتنظيم صفوفنا وتنسيقها في أثناء تواجدنا في المعارك
٦	كنا لا نأخذ أي شخص بذنب غيره .	١٩	كنا متمسكين بمكارم الأخلاق مع الجميع
٧	كنا لا نمع الناس من حقوقهم وإن أبغضونا	٢٠	كنا نتجنب ظلم الآخرين والإساءة لهم
٨	كنا نعمل على توفير ادوات المعارك ومقتضياتها	٢١	كنا نساعد الضعفاء لأنَّهم إخواننا
٩	كنا لا نيأس من بعض الخسارة	٢٢	كنا نراعي الموازين والقيم النبيلة في تعاملنا مع الاخرين
١٠	كانا نعمل بالمعروف والمسامحة مع الجميع	٢٣	كنا حماة للناس وناصحين لهم حتَّى يأمنوا ويعينوننا على عدوّنا

١١	كان قصدنا ونيتنا هو الدفاع حرمات العراق ووحدته	٢٤	كنا نبتعد عن روح الانتقام والحقد.
١٢	كنا نسعى لتوفير وحفظ أمن المواطنين	٢٥	كنا نمتلك الشجاعة والبسالة والثبات والصبر.
١٣	كنا نحافظ أموال الناس وممتلكاتهم .		

تبيّن أنَّ هذه الفقرات كانت الأكثر تكرارًا في غالبيَّة خطب الجمعة والوصايا الصادرة عن مكتب السيِّد المرجع (دام ظلّه الوارف).

ويُفسّر الباحث هذه النتيجة أنَّ لسماحة السيِّد السيستاني رؤية واضحة وشاملة عمَّا يجري في المناطق التي كانت تحت سيطرة تنظيم "داعش"، وكذلك في المناطق التي يتواجد فيها الحشد الشعبي، إضافة إلى إدراكه الدقيق لما يُروّجه الإعلام المغرض بهدف الإساءة إلى صورة الحشد الشعبي. لذا، جاءت توصياته منسجمة مع طبيعة التحدِّيات القائمة، وهادفة إلى قطع الطريق أمام محاولات التشويه والتضليل، عبر التأكيد على الالتزام بالقيم الأخلاقيَّة التي تعكس الصورة الحقيقيَّة لأفراد الحشد الشعبي.

-**الهدف الثاني**: التعرُّف على مدى التزام المتطوعين من أفراد الحشد الشعبي بالقيم الأخلاقيَّة التي أوصى بها السيِّد السيستاني (دام ظلّه الوارف):

من أجل تحقيق هذا الهدف، قام الباحث بمقارنة الوسط الحسابي المرجّح والوزن المئوي المرجّح لكلِّ فقرةٍ من فقرات الاستبيان، مع الوسط الحسابي المرجّح الفرضي المقدّر بـ (٢)، والوزن المئوي المرجّح الفرضي المقدّر بـ (٦٧٪). وقد أظهرت النتائج أنَّ جميع فقرات الاستبيان حصلت على أوساط حسابيَّة وأوزان مئوية مرجّحة تفوق القيم الفرضيَّة، ما يشير إلى أنَّ أفراد عيّنة البحث من المتطوعين في الحشد الشعبي ملتزمون بالقيم الأخلاقيَّة التي أوصى بها السيِّد السيستاني (دام ظلّه الوارف). الجدول (٢).

الجدول (٢):

يوضِّح الوسط الحسابي والوزن المئوي المرجّحين لكلِّ فقرةٍ من فقرات الاستبيان.

ت	الفقرات	التكرارات البدائل وأوزانها			الوسط المرجح	الوزن المئوي
		دائماً ٣	غالباً ٢	احياناً ١		
١	كنا لانقتل أحد بغير حق.	٣٨	٩	٣	٢،٧	٪٩٠
٢	كنا نحترم حرمة عامّة الناس	٣٥	١٣	٢	٢،٧	٪٩٠
٣	كنا لا نقاتل المستضعفين من الشيوخ والنساء والأطفال حتَّى من ذوي الدواعش	٢٦	٢٢	٢	٢،٤٨٨	٪٨٣
٤	كنا لا نتهم الناس بدينهم	٤١	٥	٤	٢،٧٤	٪٩١
٥	كنا لا نتعرّض لغير المسلمين أيًّا كان دينه ومذهبه.	٢٩	١٧	٤	٢،٥	٪٨٣
٦	كنا لا نأخذ أي شخص بذنب غيره .	٢٥	٢٣	٢	٢،٥	٪٨٣
٧	كنا لا نمع الناس من حقوقهم وإن أبغضونا	٢٤	١٩	٧	٢،٣٤	٪٧٨
٨	كنا نعمل على توفير أدوات المعارك ومقتضياتها	٢٥	٢٣	٢	٢،٤٦	٪٨٢
٩	كنا لا نيأس من بعض الخسارة	٣١	١٨	١	٢،٦	٪٨٦
١٠	كانا نعمل بالمعروف والمسامحة مع الجميع	٣٥	١٣	٢	٢،٦٦	٪٨٩

١١	كان قصدنا ونيتنا هو الدفاع حرمات العراق ووحدته	٥٠		٠	٣	٪١٠٠
١٢	كنا نسعى لتوفير وحفظ أمن المواطنين	٤٩	١	٠	٢،٩٨	٪٩٩
١٣	كنا نحافظ أموال الناس وممتلكاتهم .	٢٧	١٦	٧	٢،٤	٪٨٠
١٤	كنا نحرص أن نتعامل مع الناس بخُلُق النبي وأهل بيته في الحرب والسلم	٢٥	١٧	٨	٢،٣٤	٪٧٨
١٥	كنا نستعين بذكر الله سبحانه وتلاوة كتابه.	٤٩	١	٠	٢،٩٨	٪٩٩
١٦	كنا نهتم بصلاتنا الواجبة	٤٤	٦	٠	٢،٨٨	٪٩٦
١٧	كنا نندفع في المعارك بحذر وتروي وتحوّط ومهنيّة	٣٠	٥	١٥	٢،٣	٪٧٧
١٨	كنا نهتم بتنظيم صفوفنا وتنسيقها في أثناء تواجدنا في المعارك	٢٩	١٧	٤	٢،٥	٪٨٣
١٩	كنا متمسكين بمكارم الأخلاق مع الجميع	٢٤	٢٢	٦	٢،٤٤	٪٨١
٢٠	كنا نتجنب ظلم الآخرين والإساءة لهم	٣٢	١٧	١	٢،٦٢	٪٨٧
٢١	كنا نساعد الضعفاء لأنَّهم إخواننا	٣٣	١٠	٧	٢،٥٢	٪٨٤
٢٢	كنا نراعي الموازين والقيم النبيلة في تعاملنا مع الآخرين	٢٧	١٦	٧	٢،٤	٪٨٠
٢٣	كنا حماة للناس وناصحين لهم حتَّى يأمنوا ويعينوننا على عدوّنا	٤١	٥	٤	٢،٧٤	٪٩١

٢٤	كنا نبتعد عن روح الانتقام والحقد.	٣٣	١٠	٧	٢،٥٢	٨٤٪
٢٥	نمتلك الشجاعة والبسالة والثبات والصبر	٤٦	٣	١	٢،٩	٩٧٪

-**الهدف الثالث**: التعرف على الأهميَّة النسبيَّة أو الترتيب النسبي لتلك القيم الأخلاقيَّة التي أوصى بها السيِّد السيستاني.

من أجل تحقيق هذا الهدف اعتمد الباحث الوسط المرجح والوزن المئوي المرجح لكل فقرة من فقرات الاستبيان؛ إذ كان ترتيب الفقرات محصورًا بين (١-١٦). فحصلت الفقرة (١١)، وهي "كان قصدنا ونيتنا هو الدفاع عن حرمات العراق ووحدته"، على الترتيب الأول بوسط مرجح يقدر بـ (٣) ووزن مئوي مرجح مقدر بـ (١٠٠٪). وحصلت الفقرة (١٢) على المرتبة الثانية بوسط مرجح يقدر بـ (٢ , ٩٨) وبوزن مئوي يقدر بـ (٩٩٪). ويفسر الباحث حصول هاتين الفقرتين على المرتبة الأولى والثانية أنَّ فتوى الجهاد الكفائي التي أُعلنت في أوَّل خطبة جمعة كانت تدعو العراقيين للدفاع عن الوطن والمقدَّسات، وأعادت الأمن إلى المحافظات التي استباحها تنظيم داعش الإرهابي. وهكذا توالت الفقرات كما في جدول (٣)، حتَّى وصلت إلى الفقرة (١٧)، وهي "كنَّا نندفع في المعارك بحذر وتروي وتحوط ومهنيَّة"، التي حصلت على أقلِّ ترتيب بوسط مرجح يقدر بـ (٢ , ٣) ووزن مئوي يقدر بـ (٧٧٪). ويفسِّر الباحث حصول هذه الفقرة على أقلِّ ترتيب أنَّ أفراد الحشد الشعبي هم مشاريع استشهاد، لذلك لا يخطر ببالهم الخوف والحذر.

جدول (٥):

يوضِّح الأهميَّة النسبيَّة لترتيب الفقرات بحسب الوسط المرجح والوزن المئوي

ت	الفقرات	التكرارات البدائل وأوزانها			الوسط المرجح	الوزن المئوي	ترتيب الفقرات
		دائماً ٣	غالباً ٢	احياناً ١			
١	كنا لانقتل أحد بغير حق.	٣٨	٩	٣	٢،٧	٪٩٠	٦
٢	كنا نحترم حرمة عامّة الناس	٣٥	١٣	٢	٢،٧	٪٩٠	٦
٣	كنا لا نقاتل المستضعفين من الشيوخ والنساء والأطفال حتَّى من ذوي الدواعش	٢٦	٢٢	٢	٢،٤٨٨	٪٨٣	١١
٤	كنا لا نتهم الناس بدينهم	٤١	٥	٤	٢،٧٤	٪٩١	٥
٥	كنا لا نتعرّض لغير المسلمين أيًّا كان دينه ومذهبه.	٢٩	١٧	٤	٢،٥	٪٨٣	١١
٦	كنا لا نأخذ أي شخص بذنب غيره .	٢٥	٢٣	٢	٢،٥	٪٨٣	١١
٧	كنا لا نمع الناس من حقوقهم وإن أبغضونا	٢٤	١٩	٧	٢،٣٤	٪٧٨	١٥
٨	كنا نعمل على توفير أدوات المعارك ومقتضياتها	٢٥	٢٣	٢	٢،٤٦	٪٨٢	١٢
٩	كنا لا نيأس من بعض الخسارة	٣١	١٨	١	٢،٦	٪٨٦	٩
١٠	كانا نعمل بالمعروف والمسامحة مع الجميع	٣٥	١٣	٢	٢،٦٦	٪٨٩	٧
١١	كان قصدنا ونيتنا هو الدفاع عن حرمات العراق ووحدته	٥٠		٠	٣	٪١٠٠	١
١٢	كنا نسعى لتوفير أمن المواطنين وحفظهم	٤٩	١	٠	٢،٩٨	٪٩٩	٢

١٣	كنا نحافظ على أموال الناس وممتلكاتهم .	٢٧	١٦	٧	٢،٤	٪٨٠	١٤
١٤	كنا نحرص أن نتعامل مع الناس بخُلُق النبي وأهل بيته في الحرب والسلم	٢٥	١٧	٨	٢،٣٤	٪٧٨	١٥
١٥	كنا نستعين بذكر الله سبحانه وتلاوة كتابه.	٤٩	١	٠	٢،٩٨	٪٩٩	٢
١٦	كنا نهتم بصلاتنا الواجبة	٤٤	٦	٠	٢،٨٨	٪٩٦	٤
١٧	كنا نندفع في المعارك بحذر وتروي وتحوّط ومهنيَّة	٣٠	٥	١٥	٢،٣	٪٧٧	١٦
١٨	كنا نهتم بتنظيم صفوفنا وتنسيقها في أثناء تواجدنا في المعارك	٢٩	١٧	٤	٢،٥	٪٨٣	١١
١٩	كنا متمسكين بمكارم الأخلاق مع الجميع	٢٤	٢٢	٦	٢،٤٤	٪٨١	١٣
٢٠	كنا نتجنب ظلم الآخرين والإساءة لهم	٣٢	١٧	١	٢،٦٢	٪٨٧	٨
٢١	كنا نساعد الضعفاء؛ لأنَّهم إخواننا	٣٣	١٠	٧	٢،٥٢	٪٨٤	١٠
٢٢	كنا نراعي الموازين والقيم النبيلة في تعاملنا مع الآخرين	٢٧	١٦	٧	٢،٤	٪٨٠	١٤
٢٣	كنا حماة للناس وناصحين لهم حتَّى يأمنوا ويعينوننا على عدوّنا	٤١	٥	٤	٢،٧٤	٪٩١	٥

٢٤	كنا نبتعد عن روح الانتقام والحقد.	٣٣	١٠	٧	٢،٥٢	٨٤٪	١٠
٢٥	نمتلك الشجاعة والبسالة والثبات والصبر	٤٦	٣	١	٢،٩	٩٧٪	٣

التوصيات والمقترحات:

أوَّلًا- التوصيات:

إقامة ورش عمل لأفراد القوات المسلحة، وخاصَّة الحشد الشعبي، بهدف توعيتهم بهذه الوصايا.

دمج هذه الوصايا في المناهج الدراسيَّة للمدارس، وكذلك في مناهج الكليَّة العسكريَّة وكليَّة الشرطة، لتصبح دستور عمل لهم، أو تُدرج ضمن دستور أخلاقيَّات المهنة.

تُعدّ هذه الوصايا بمثابة نصوص قانونيَّة، لذا ينبغي على مكاتب مفوضيَّة حقوق الإنسان في المحافظات الأخذ بها ضمن برامجهم التوعوية.

إعداد كرَّاسات صغيرة تتضمَّن هذه الوصايا، تُوزّع في المدارس بهدف توعية الطلبة بها، أو لاستخدامها في تفعيل لجان حقوق الإنسان داخل المدارس

ثانيًا-المقترحات:

إجراء نفس البحث ليشمل عينات أكبر.

إجراء دراسات وبحوث تحليلية لكلِّ خطب الجمعة ما بعده فتوى الجهاد الكفائي.

المصادر والمراجع

* بيعي، نجاح: السيِّد السيستاني هو من أنشأ الحشد الشعبي، موقع فتوى الجهاد الكفائي،
2017: http://holyfatwa.com/news/read/4556

* الجلاد، ماجد، ٢٠٠٧: تعلم القيم وتعليمها، ط ٢، دار المسيرة، عمان .

* حب الله، حيدر: أخلاقيّات الحرب في الإسلام ـ رؤية فقهيَّة معاصرة، مجلَّة "شذرات"، العدد الأول العتبة العلويَّة، العراق، العدد الأوّل، ٢٠٢٥ .

* خضير، عمار: الحشد الشعبي وليلة السكاكين الطويلة،
2015:https://www.aljazeera.net/blogs//

* الصافي، (الذكرى السنويَّة الخامسة استذكار فتوى الجهاد الكفائي ٢٠١٤.)، ٢٠١٩.

* السلمي، أحلام عتيق مغلي: مفهوم القيم وأهميتها في العملية التربوية وتطبيقاتها السلوكية من منظور إسلامي، مجلة العلوم التربوية والنفسية، العدد الثاني، المجلد الثالث،٢٠١٩.

* شمعون، دانيال: الأخلاق والسلوك، موقع الحوار المتمدن، محور الفلسفة وعلم النفس وعلم الاجتماع، العدد/ ٦٨١١، ٢٠٢١.

* الاشقر، أيمن محمود: القيم التربويَّة المتضمنة في كتب الرياضيات الفلسطينية للصفوف (١-٤)، ٢٠١٧.

* الصافي، أحمد: خطبة الجمعة ١٤ من عام ٢٠١٩ الذكرى السنويَّة الخامسة استذكار فتوى الجهاد الكفائي ٢٠١٤.

* الصوراني، غازي: التطور الفلسفي لمفهوم الأخلاق وراهنيته في المجتمع الفلسطيني، الحوار المتمدن-العدد: 6412 – 2019: https://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=656148

* كاظم، علي مهدي: القيم النفسية والعوامل الخمسة للشخصية، مجلة العلوم التربوية والنفسية، مجلد / ٣، العدد/ ٢، ٢٠٠٢ .

* كريم، رياض مهدي: القيم الأخلاقيَّة،
2025: https://www.riadhkraiem.com/administrative-topics/business-ethics/ethical-values

* المرواني، محمَّد بن احمد، أهميَّة الأخلاق في أوقات الحروب،
2024:https://www.koul- alarab.com

* مهدي، نيران فالح: الخطاب الاستشرافي في خطب الجمعة دراسة تداولية لخطب المرجعيَّة الدينيَّة العليا لعام ٢٠١٤م)، كليَّة الإمام الكاظم، في موسوعة خطب الجمعة مرجعًا لنيل شهادة الماجستير، ٢٠٢١ .

* مهدي، نيران فالح: موسوعة خطب الجمعة مرجعًا لنيل شهادة الماجستير، مركز العميد الدولي للبحوث والدراسات،

2021: https://alameedcenter.iq/articles/view/details?id=210
* موقع مجلس النواب العراقي (http://www.parliament.iq/)، المادة الأولى من قانون الحشد الشعبي).ـ
* https: / /www.marefa.org
* موقع شبكة الكفيل العالميَّة، الخطاب الاستشرافي في خطب الجمعة، إصدارٌ جديد لجمعيَّة العميد العلميَّة والفكريَّة، 2023:https://alkafeel.net/news/index?id=17818&lang=ar
* -نبيل، بلعروسي: هل القيم الأخلاقيَّة ثابتة على مرِّ العصور؟ وكيف هي من زمن لآخر، موقع الحوار المتمدن، العدد/ ٦١٢٦، ٢٠١٩:

الملاحق:

ملحق (١)

يوضح فقرات الاستبيان بصيغتها الأوليَّة

ت	الفقرات	صالحة	غير صالحة	بحاجة إلى تعديل
١	إيّاك والدماء وسفكها بغير حق.			
٢	الله الله في حرمات عامَّة الناس			
٣	لا تقاتلوا المستضعفين من الشيوخ والولدان والنساء حتَّى إذا كانوا من ذوي المقاتلين			
٤	لا تتهموا الناس في دينهم نكاية بهم واستباحة لحرماتهم			
٥	إيَّاكم والتعرُّض لغير المسلمين أيًّا كان دينه ومذهبه.			
٦	عليكم بالحرمات كلّها فإيَّاكم والتعرُّض لها			
٧	لا تنتهكوا أي شيء بلسان أو يد			
٨	انظروا أهل بيت نبيّكم فالزموا سمتهم واتبعوا أثرهم			
٩	احذروا أخذ امرئ بذنب غيره			
١٠	لا تمنعوا قومًا من حقوقهم وإن أبغضوكم			
١١	عليكم في الصفح في موضعه			
١٢	عليكم توفير ادوات المعارك ومقتضياتها وضمان الثبات			

١٣	لا تيأسوا من بعض الخسارة العاجلة أحيانًا فإنّها أكثر بركة وأحمد عاقبة وأرجى نتاج				
١٤	إنَّ وقعت الفتنة فحاولوا إطفاءها وتجنّبوا إذكاءها				
١٥	أعملوا بالمعروف والصفح				
١٦	اجعلوا قصدكم ونيتكم ودافعكم هو الدفاع عن حرمات العراق ووحدته				
١٧	**حفظ الأمن للمواطنين صيانة المقدسات**				
١٨+٣٦	يؤكِّد على التضحية والشهادة في سبيل الوطن				
١٩	الله الله في أموال الناس.				
٢٠	عليكم بالحذر هو كثر ما يراهن عليه عدوّكم هو استرسالكم في مواقع الحذر				
٢١	احرصوا على أن تعملوا بخُلُق النبي وأهل بيته (صلوات الله عليهم) مع الآخرين في الحرب والسلم جميعًا				
٢٢	استعينوا على أنفسكم بكثرة ذكر الله سبحانه وتلاوة كتابه.				
٢٣	لا يفوتنكم الاهتمام بصلواتكم المفروضة				
٢٤	لا تندفعوا في المعارك بغير تروي ام من غير تحوّط ومهنيّة				
٢٥	اهتموا بتنظيم صفوفكم والتنسيق بين خطواتكم				
٢٦	تجاوزوا عن بعضكم البعض				
٢٧	تمسّكوا بمكارم الأخلاق				
٢٨	تجنبوا الظلم والإساءة والعدوان				

٢٩	أعينوا ضعفائهم ما استطعتم، فإنّهم إخوانكم			
٣٠	يجب رعاية للموازين والقيم النبيلة			
٣١	كونوا لمن قِبَلكم من الناس حماة ناصحين حتَّى يأمنوا جانبكم ويعينوكم على عدوّكم			
٣٢	ابتعدوا عن روح الانتقام والحقد			
٣٣	ولا يظن أحدٌ أنَّ في الجور علاجًا لما لا يتعالج بالعدل			
٣٤	دفعوا الشر عن هذا البلد			
٣٥	عليكم التحلي بالشجاعة والبسالة والثبات والصبر			
٣٦	الدفاع عن الوطن واجب على المواطنين			

ملحق (٢)

فقرات الاستبيان بصيغته النهائيَّة

ت	الفقرات	دائمًا	غالبًا	أحيانًا
١	كنا لانقتل أحد بغير حق.			
٢	كنا نحترم حرمة عامَّة الناس			
٣	كنا لا نقاتل المستضعفين من الشيوخ والنساء والأطفال حتَّى من ذوي الدواعش			
٤	كنا لا نتهم الناس			
٥	كنا لا نتعرّض لغير المسلمين أيًّا كان دينه ومذهبه.			
٦	كنا لا نأخذ أي شخص بذنب غيره .			
٧	كنا لا نمع الناس من حقوقهم وإن أبغضونا			

٨	كنا نعمل على توفير ادوات المعارك ومقتضياتها				
٩	كنا لا نيأس من بعض الخسارة				
١٠	كانا نعمل بالمعروف والمسامحة مع الجميع				
١١	كان قصدنا ونيتنا هو الدفاع حرمات العراق ووحدته				
١٢	كنا نسعى لتوفير وحفظ أمن المواطنين				
١٣	كنا نحافظ أموال الناس وممتلكاتهم .				
١٤	كنا نحرص ان نتعامل مع الناس بخُلُق النبي وأهل بيته في الحرب والسلم				
١٥	كنا نستعين بذكر الله سبحانه وتلاوة كتابه.				
١٦	كنا نهتم بصلاتنا الواجبة				
١٧	كنا نندفع في المعارك بحذر وتروي وتحوّط ومهنيّة				
١٨	كنا نهتم بتنظيم صفوفنا وتنسيقها اثناء تواجدنا في المعارك				
١٩	كنا متمسكين بمكارم الأخلاق مع الجميع				
٢٠	كنا نتجنب ظلم الآخرين والإساءة لهم				
٢١	كنا نساعد الضعفاء لأنهم اخواننا				
٢٢	كنا نراعي الموازين والقيم النبيلة في تعاملنا مع الاخرين				
٢٣	كنا حماة للناس وناصحين لهم حتَّى يأمنوا ويعينوننا على عدوّنا				
٢٤	كنا نبتعد عن روح الانتقام والحقد.				
٢٥	كنا نمتلك الشجاعة والبسالة والثبات والصبر.				